دور الأسرة في تطبيق
الشريعة الإسلامية

أ.د. بشير صالح الرشيدي

دور الأسرة في تطبيق
الشريعة الإسلامية

أ.د. بشير صالح الرشيدي

أ.د. بشير صالح الرشيدي

دور الأسرة في تطبيق
الشريعة الإسلامية

دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية

الناشر: إنجاز العالمية للنشر والتوزيع.

الكويت ـ حولي ـ شارع تونس ـ مجمع البرازيلية.
هاتف: ٢٦٤٣٣١٣ _ ٢٦٤١٤٩٩ _ ٢٦٢٨٤١٥ (٠٩٦٥).
فاكس: ٢٦٢٨٤١٦ (٠٩٦٥).
البريد الإلكتروني: info@injazgrpup.com
الموقع على شبكة الإنترنت: www.injazgroup.com

الطبعة الأولى، ٢٠٠٨
© جميع الحقوق محفوظة للناشر ٢٠٠٨ - ١٤٢٩.
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.
فهرسة مكتبة الكويت الوطنية.
250 الرشيدي، بشير صالح.
دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية/ بشير صالح الرشيدي.-ط1.- الكويت: مجموعة إنجاز العالمية للنشر، 2008
312، 24 سم
ردمك: 3-7-656-99906-978
1. الشريعة الإسلامية 2.الأسرة في الإسلام أ.العنوان

ردمك: 3-7-656-99906-978
رقم الايداع: 112-2008

دور الأسرة في تطبيق
الشريعة الإسلامية

أ.د. بشير صالح الرشيدي

إهداء

إلى أخي الدكتور خالد المذكور.

عرفتك ملتزماً، آمر بالمعروف، ناهياً عن المنكر، محباً لوطنك، مستثمراً عملك ووقتك في سبيل دينك.

لقد تعلمت منك الكثير منذ ثلاثين عاماً، ومازلت لك تلميذاً، فاقبل مني بعضاً من ثمار غرسك.

بسم الله الرحمن الرحيم

موضوعات الكتاب

تقديم

الفصل الأول: حول مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت.

الفصل الثاني: الشريعة الإسلامية ودلالتها للأسرة.

الفصل الثالث: الأسرة: سياق اجتماعي فاعل في التأثير على الشخصية.

الفصل الرابع: الأسرة: تنظيم اجتماعي فاعل في تطبيق الشريعة الإسلامية.

فهرس المحتويات

هذا الكتاب ١٨

تقديم ٢١

الفصل الأول

حول مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت ٣٩

أولاً: تجربة فريدة ونقلة حضارية ٤٣

ثانياً: قضية الذات الكويتية ٤٦

ثالثاً: التيارات الفكرية المضادة ٤٨

(أ) الحق أحق أن يتبع ٤٨

(ب) الناس أدرى بشؤون دنياهم ٥٣

رابعاً: أوجه الاختلافات ٥٧

(أ) مناهج التطبيق ٥٧

(ب) ظروف التطبيق ٥٩

(ج) مسؤولية التطبيق ٦٠

(د) مستويات التطبيق ومداخله ٦٢

(هـ) نتائج في التطبيق ٦٥

خامساً: تاريخ النظام يثبت صدق التوجه وسلامة النتائج ٧٠

سادساً: أين الحقيقة؟ ٧٣

سابعاً: الأسرة: ذلك العملاق الغائب ٧٧

مصادر ومراجع الفصل الأول.. ٨٠

الفصل الثاني

الشريعة الإسلامية ودلالتها للأسرة.................................٨٣

أولاً مفهوم الشريعة الإسلامية...٨٥

ثانياً: مقاصد الشريعة الإسلامية ودلالتها للأسرة......................٨٩

ثالثاً:خصائص الشريعة الإسلامية ودلالتها لدور الأسرة في التطبيق...٩١

(١) الربانية..٩١

(٢) الأخلاقية...٩٣

(٣) الواقعية..٩٦

(٤) الإنسانية..٩٨

(٥) التناسق..١٠١

(٦) الشمول.. ١٠٤

رابعاً: الأسرة في دائرة اهتمام الدين الإسلامي.......................... ١٠٨

(أ) أهمية الدين في حياة الأسرة.. ١٠٨

(ب) خصائص اهتمام الشريعة الإسلامية بالأسرة...................١١٢

مراجع ومصادر الفصل الثاني...١١٨

الفصل الثالث

الأسرة: سياق اجتماعي فاعل في التأثير على الشخصية. ١٢٣

أولاً: مفهوم الأسرة ووظائفها.. ١٢٥

ثانياً: قوة الرابطة الأسرية.. ١٣٠

ثالثاً: دور الأسرة في اشباع حاجات الأفراد.. ١٣٥

(أ) الأسرة وإشباع حاجات الأبوين.. ١٣٥

(ب) دور الأسرة في إشباع حاجات الطفل.. ١٦٧

مراجع ومصادر الفصل الثالث.. ١٧٦

الفصل الرابع

الأسرة: تنظيم اجتماعي فاعل في تطبيق الشريعة الاسلامية.. ١٧٩

المبحث الأول: تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجي... ١٨٥

المبحث الثاني: الأسرة والتربية الإسلامية للأبناء.. ١٩٠

التربية البدنية.. ١٩٢

التربية العقلية.. ١٩٦

التربية الإيمانية.. ١٩٩

التربية الوجدانية.. ٢٠٣

التربية الاجتماعية.. ٢٠٧

المبحث الثالث: دور الأسرة في غرس مفاهيم العقيدة وممارسة العبادات الإسلامية ٢١١
المبحث الرابع: دور الأسرة في تطبيق الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفرادها ٢١٩
(أ) الحقوق والواجبات المشتركة للزوج والزوجة ٢٢٠
(ب) حقوق الزوج على الزوجة ٢٢٢
(ج) حقوق الزوجة على الزوج ٢٢٦
(د) حقوق الأبناء على الوالدين ٢٢٨
(هـ) حقوق الوالدين على الأبناء ٢٣٥
المبحث الخامس: دور الأسرة في تطبيق الأخلاق الإسلامية في المعاملات ٢٣٨
الصدق ٢٤٣
الأمانة ٢٤٦
تعلم العلم ٢٤٧
الوفاء ٢٤٩
الإخلاص ٢٥١
أدب الحديث ٢٥٢
سلامة الصدر من الأحقاد ٢٥٤

النظافة والأخذ بأسباب الصحة ٢٥٦
الجود والكرم ٢٥٨
الحلم والصفح ٢٦١
الصبر ٢٦٤
القصد في الترف ٢٦٥
الحياء ٢٦٧
الترابط ٢٦٩
العلاقة بالآخرين ٢٧١
العمل والانتفاع بالوقت ٢٧٤
العزة ٢٧٧
الرحمة ٢٧٩
القوة ٢٨١
مراجع ومصادر الفصل الرابع ٢٨٤
خاتمة ٢٩٥

هذا الكتاب

ينطلق من فكرة أهمية دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. إن المرسوم الأميري الكريم بتشكيل اللجنة العليا لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية يؤكد صدق توجه الدولة في هذا الشأن. والأسرة تقع عليها مسؤولية التطبيق العملي لهذا التوجه. فتطبيق الشريعة الإسلامية إنما يكون من خلال الأسرة قبل أن يكون بموجب قرار سياسي أو مرسوم أميري. فالأسرة هي التكوين الاجتماعي والامتزاج النفسي الأول. وهي المحضن الأول للتربية والتنشئة. وعلى الزوجين مسؤولية تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجي. وعليهما أيضا مسؤولية غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الأبناء وتنشئتهم وفق النظام التربوي الإسلامي. وعلى أفراد الأسرة تقع مسؤولية الوفاء المتبادل بالحقوق والواجبات الأسرية كما يقررها الشرع. والالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية في المعاملات بوجه عام.

إن الأسرة مطالبة بتطبيق تعاليم الإسلام في إطارها. وكذلك في علاقتها بالمجتمع. امتثالاً لأمر الله عز وجل وحفاظاً على قوة أفرادها وعزتهم - حينئذ تكون الأسرة

على مستوى صدق توجه الدولة في سعيها نحو استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

(الروم: ٢١)

تقديم

بقلم الدكتور: عبد الله معتوق المعتوق

الحمد لله الذي هدانا بنور العلم، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد رسول الإنسانية وخاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد...

فقد جاء التشريع الإسلامي لإصلاح الفرد والجماعة، بما يحقق لهم النفع والسعادة في الدنيا والمثوبة والرضوان في الآخرة، وبيَّن للناس طريق الخير ليفعلوه، كما بيَّن لهم طريق الشر ليجتنبوه، فمن اتبع هدى الإسلام فازَ وعزَّ ومن ابتعد عنه خاب وضلَّ، ولما كان الله عز وجل، هو العالم بما يصلح شؤون عباده فقد شرع لهم ما يصلحهم، وحملوا أمانة الالتزام بهذا التشريع.

ومما جاء به التشريع الإسلامي ما يتعلق «بالأسرة» باعتبارها أساس المجتمع الإنساني، ويتوقف على صلاحها صلاح هذا المجتمع، فالترابط بين الأسرة والمجتمع هو ترابط عضوي، والزواج أساس الأسرة، وقوامه المودة والرحمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

لقد أخبرنا الله عز وجل بأنه جعل الرحمة والمودة بين الزوجين، ليسكن كل منهما إلى الآخر، ولينجبا الذرّية الصالحة بما يكفل استمرار النوع الإنساني إلى ما شاء الله.

والأسرة ليست مجرد إشباع لحاجات فطرية. إنها بجانب ذلك تنظيم اجتماعي تقع عليه مسؤولية الالتزام بما شرعه الله. فإذا التزم أفراد الأسرة بهذا الشرع كان ذلك وفاءً بمسؤوليتهم الاجتماعية في بعدها الديني والدنيوي على السواء، وتأثير الأسرة في شخصية الفرد له خصائص العمق الزمني، مثلما له خصائص الاتساع الموضوعي والسلوكي، بما يجعل الأسرة ذات إمكانيات هائلة في تشكيل شخصية الفرد من كافة الجوانب بما في ذلك الجانب الديني. هذه «الإمكانيات الهائلة» تقابلها «مسؤولية هائلة» فيما يتعلق بالالتزام بما جاء به الدين. هذا الالتزام هو ما يجسد دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية.

في هذا الإطار يسعدنا أن نقدم لقرائنا الأعزاء كتاب "دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية" لمؤلفه الدكتور/ بشير

الرشيدي أستاذ علم النفس التربوي بجامعة الكويت.

لقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب، ووجدت فيه إضافة حقيقية إلى المنتوجات الفكرية التي تتم في إطار العمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجمع الكويتي منذ أن صدر المرسوم الأميري الكريم بتشكيل لجنة عليا لهذا الغرض في العام ١٤١٢هجرية الموافق ١٩٩١ميلادية.

يبدأ كتاب "دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية" بالفصل الأول تحت عنوان (حول مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت)، وينطلق هذا الفصل من فكرة أساسية هي علاقة التأثير والتأثر المتبادلين بين الأسرة والمجتمع، وبالتالي فإن فعالية الأسرة تجاه القضايا المختلفة تتأثر بظروف المجتمع وما فيه من مواقف، كما أن فاعلية المجتمع تجاه القضايا نفسها إنما هي ناتج فعاليات أفراد الأسر التي يتكون منها هذا المجتمع، بطبيعة الحال هناك عوامل وسيطة بمعنى أن تلك العوامل (تتوسط) علاقة الأسرة بالمجتمع، وتؤثر فيهما بدرجات متفاوتة، وبالتالي في موقفهما وقدراتهما بشأن القضايا العامة أو القضايا الجوهرية.

وفي تناول الفكرة يقوم الفصل الأول من الكتاب على الموضوعية والارتباط اللصيق بالواقع الكويتي. ويتعمق المؤلف في مناقشة الفكرة من العام إلى الخاص. من الكلّي إلى الجزئي - في سياق تحليلي علمي ليصل إلى الإجابة على تساؤل رئيسي هو: أين الحقيقة؟ ومن هذه الحقيقة يصل إلى جوهر الموضوع الذي يتناوله الكتاب. والحقيقة التي يبيِّنها الكاتب تتلخص في أن اختلاف الرؤى والأطروحات حول تطبيق الشريعة الإسلامية في أي مجتمع هو أمر طبيعي، كما أن هذا الاختلاف في المجتمع الكويتي كمجتمع مسلم ليس اختلافاً حول الدين ولكنه يفسر في ضوء مدى الإلمام بالشريعة ومدى استيعاب الظروف المجتمعية المختلفة. وطبيعة الخلفية الفكرية والثقافية للأفراد وتجاربهم المباشرة وغير المباشرة... كل ذلك يشكل (صورة ذهنية) معيَّنة عن الشريعة عند تطبيقها. إن لدى كل فرد صورة ذهنية معينة عن القضايا والموضوعات والأشخاص تختلف عن نظيرتها لدى الآخرين. وإذا كانت طبيعة الصورة الذهنية عن أية قضية تختلف من فرد إلى آخر. فمعنى ذلك وجود نوع من الاختلاف حول بعض جوانب القضية حتى ولو كان هناك اتفاق على الأساسيات.

ومن واقع تحليل الرؤى والأطروحات حول تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي يخلص الكاتب إلى أن الصورة الذهنية لأصحاب هذه الرؤى والأطروحات هي صورة جزئية أو مختزلة فالشريعة أعم وأشمل من مجرد تطبيق الحدود، أو منع الاختلاط....إلخ، إن الشريعة تشمل كل حياة الإنسان: المحسوسة وغير المحسوسة، الظاهرة والمستترة، وعليه، فإن تطبيق الشريعة الإسلامية لا يكون بمجرد قرار سياسي وكفى، وإنما لا بد من تعميق هذا التطبيق من خلال التنظيمات الاجتماعية بما في ذلك هذا الوسط الاجتماعي الذي يستقبل الفرد منذ ولادته ويظل ملازماً له طوال حياته، فكأن هذا الوسط الاجتماعي هو المناسب والشامل من حيث التأثير في حياة الفرد، فهو بذلك يلتقي مع مقتضيات تطبيق الشريعة.

ولكن ما هو هذا الوسط الاجتماعي الذي يعنيه مؤلف الكتاب؟

إن هذا الوسط هو «الأسرة»، ويصفها المؤلف بأنها (العملاق الغائب) ويرى أن أصحاب الرؤى والأطروحات المتعلقة بتطبيق الشريعة الإسلامية قد غاب عن أذهانهم وجود ذلك

العملاق الذي يلازم كل فرد بكرةً وعشيّاً، منذ ميلاده وحتى مماته. إنه عملاق في الوجود، عملاق في التأثير والنتيجة، وسوف يجد كل المباركة والتشجيع إذا ما سارت خطواته في طريق التربية والتنشئة وفق الشريعة الإسلامية.

أما الفصل الثاني من الكتاب فيجيب على تساؤل رئيسي: **ما هي دلالة الشريعة الإسلامية للأسرة؟** ويتضمن الفصل إجابة دقيقة عن هذا السؤال، حيث يبدأ بتحديد مفهوم الشريعة الإسلامية باعتبارها «ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق ونظم الحياة لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة». وفي هذا الإطار يوضح المؤلف طبيعة الشريعة الإسلامية وما تتضمنه من أحكام ضرورية وحاجية وتحسينية، مع تبيان دلالة ذلك للأسرة، ثم يعرض الكتاب لمسألة أشد دلالة وهي خصائص الشريعة ودلالتها لدور الأسرة في تطبيق هذه الشريعة وتتمثل هذه الخصائص في : الربانية، الأخلاقية، الواقعية، الإنسانية، التناسق، الشمول، لقد عولجت هذه الفكرة بمنطقية وبلاغة من حيث دلالتها للأسرة حيث تم توظيف الأسلوب المعروف «بتحليل مسار البرهنة»، بالاعتماد على ما ورد في الكتاب والسنة، وذلك من أجل توضيح فكرة رئيسية وهي أن خصائص الشريعة

الإسلامية ترتبط بمقاصدها وغاياتها ويتلاقى الاثنان على اتجاه واحد هو إسعاد الأسرة، أي إسعاد المجتمع وإسعاد البشرية.

وفي الجزئية الأخيرة من الفصل الثاني يناقش الكتاب موقع الأسرة في دائرة اهتمام الدين الإسلامي، وذلك تحت عنوانين فرعيين، الأول: أهمية الدين في حياة الأسرة، والثاني: خصائص اهتمام الشريعة الإسلامية بالأسرة. وتحت العنوان الأول يوضح الكتاب أن الشريعة الإسلامية قد شملت حياة الأسرة من كافة الجوانب، والشريعة في ذلك تلبي حاجات الأسرة لتحيا حياة طيبة مادياً ونفسياً.

ولتوضيح أهمية هذه الفكرة للمجتمعات المعاصرة يستعين الكاتب بنتائج الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة التي قام بها علماء بارزون في المجتمعات الغربية العلمانية والتي يعترفون فيها بأن الأسرة في هذه المجتمعات لن تستقيم أمورها بغير الدين. ومن خلال تخصصه الأكاديمي كأحد علماء النفس الكويتيين يوضح الكاتب أن الدول الغربية العلمانية التي تحصر الدين في أضيق الحدود، أدركت خطورة ذلك وفداحته على الفرد والمجتمع، وأصبح

هناك اتجاه قوي في الإرشاد والعلاج النفسي يقوم على الدين في التعامل مع مشكلات الأسرة والأفراد.

أما العنوان الثاني وهو خصائص اهتمام الشريعة الإسلامية بالأسرة، فيؤكد على أن مشكلات الأسرة المعاصرة لم تكن لتوجد أصلاً لو التزمت الأسرة بما جاء به الدين لأن الإسلام في اهتمامه بالأسرة جاء بنظرة دقيقة، ورؤية فاحصة شاملة بما يضمن سلامتها باعتبارها دعامة المجتمع والحلقة الأساسية في بنائه.

ولكن لماذا كان للأسرة دور أساسي في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية؟ الفصل الثالث من الكتاب يجيب على هذا التساؤل، إن الإجابة تبدو واضحة وحاسمة من واقع عنوان هذا الفصل (الأسرة سياق اجتماعي فاعل في التأثير على الشخصية)، إن الشخصية كمفهوم نفسي واجتماعي، إنما تتأثر بالأسرة في أبعادها الوراثية والبيئية، فالأسرة هي البيئة الاجتماعية والنفسية الأولى التي يتخلَّق فيها الفرد، وهي التي توفر له الحماية، وتقوم على تنشئته وتشكيله وفق ثقافتها بما في ذلك العادات والتقاليد والمعتقدات والقيم والاتجاهات.. الخ، وتتجسد في الرابطة

الأسرية كافة الأسس التي يقوم عليها الترابط الإنساني بكل صوره وأشكاله. من جهة أخرى، فإن الأسرة تشبع حاجات لا حصر لها لدى الأفراد، سواء الوالدين أو الأبناء، وقد بيّن المؤلف هذه الفكرة بعمق وشمول واضحين من المنظور السيكولوجي وبما يؤكد أن الإسلام دين الفطرة عندما أباح الزواج ووضع له القواعد والتنظيمات التي تكفل استمراره ونجاحه، فالأسرة تشبع حاجات الوالدين ابتداء من الحاجة إلى الاستثارة الحسية مروراً بالحاجة إلى المعرفة والفهم، والحاجة إلى الأمن...الخ وحتى الدوافع الجمالية. كما أن الأسرة تشبع حاجات الطفل إلى الأمن، والحاجة إلى الانتساب والانتماء، والحاجة إلى الحب والمحبة، والرعاية والتوجيه، والاستقلالية واحترام الذات، وتعلُّم المعايير السلوكية ..الخ. فالأسرة إذن تؤثر في شخصية الفرد تأثيراً شاملاً وعميقاً بما يجعلها في موقع القوة والنفوذ في تطبيق الشريعة إذا أرادت ذلك. فهي ليست في حاجة إلى إلزام خارجي، وإنما هي في حاجة إلى إرادة وسلوك من جانب أفرادها أنفسهم.

أخيراً يأتي الفصل الرابع من الكتاب موضحاً بأسلوب لا لبس فيه ولا غموض كيف تقوم الأسرة بتطبيق الشريعة الإسلامية. ويتكون الفصل من خمسة مباحث، يختص

كل منها بجانب معين فالأسرة يمكنها تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال إعمال معايير الإسلام في الاختيار الزواجي، فإذا تم اختيار الزوجين لبعضهما البعض حسب الشروط والمواصفات التي وضعها الإسلام يكون في ذلك ضمان أساسي لصلاح الأسرة. وعندما يتم الإنجاب يتسع دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية، إن عليها مسؤولية تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة إسلامية وفي هذه الجزئية يتناول المؤلف مفهوم التربية والتنشئة الإسلامية، وأبعادها، وكيف تقوم الأسرة بممارستها بما يتفق مع الإسلام ومع نظريات النمو في الدراسات النفسية الحديثة.

وعلى الرغم من أن غرس مفاهيم العقيدة وممارسة العبادات الإسلامية يدخل في نطاق التربية والتنشئة إلا أن المؤلف قد أفرد لذلك مبحثاً مستقلاً تأكيداً لأهمية غرس العقيدة وممارسة العبادات الإسلامية من جهة، وتبياناً لدور الوالدين من جهة ثانية. وفي المبحث الأخير من الفصل الرابع، يعرض الكاتب لجانب أساسي من جوانب دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية من خلال الالتزام بما قرره الإسلام من حقوق وواجبات متبادلة في إطار الأسرة. فهناك حقوق للزوج على الزوجة، وحقوق للزوجة على الزوج،

وهناك أيضاً حقوق للوالدين على الأبناء، وحقوق للأبناء على الوالدين . بجانب الواجبات المشتركة بين أفراد الأسرة. في توضيح هذه القضية ينطلق الكاتب من رؤية إسلامية متكاملة مستمدة من القرآن الكريم والسنة والاجتهاد وسيرة السلف الصالح.

هذه نظرة عامة على كتاب "دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية". ونود توضيح بعض الجوانب التي تعبر عن رأينا في هذا الكتاب:

١- الكتاب يمثل إضافة حقيقية، إنه يعبر عن استيعاب دقيق لعلم النفس المعاصر وذلك من منظور إسلامي يرتبط بواقع الأمة الإسلامية بوجه عام، والمجتمع الكويتي بوجه خاص، وما أشد حاجة هذه الأمة إلى علماء بارزين في مجال تخصصهم الأكاديمي وخبراتهم الميدانية. وثقافتهم الواسعة. على أن يتفاعل ذلك مع واقع مجتمعهم بما ينتج عنه العلم النافع للناس.

٢- والكتاب معالجة فكرية، لقضية أساسية. تطرح في المجتمعات الإسلامية وهي تطبيق الشريعة في أنظمتها وممارستها. وقد أكد المؤلف على أهمية الأسرة المسلمة في

استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية لتكون منهج حياة لكل المسلمين.

٣- إن استكمال تطبيق الشريعة في الأسرة مهمة شاقة، تحتاج إلى التزود المستمر من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لمواصلة عرض القيم الإسلامية، ورعايتها، وتهذيب انحراف السلوك عنها، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد نجح ﷺ في إقامة مجتمع الصحابة الذي بدأ بأفراد عرفوا الدين، وغرفوا من معينه والتزموا بتعاليمه فكانوا خير أمة أخرجت للناس، والمهمة تكون أشق وأصعب في عصر تتدفق فيه الأفكار المتضاربة عبر وسائل الإعلام، والتي تبث الغث والسمين، وتتصارع فيما بينها للوصول إلى عقول الناس، وتشكيل حياتهم، الأمر الذي يمثل تحديات حقيقية للمجتمع الإسلامي.

٤- إن التصدي لتيارات الانحراف الوافدة، والتي تستهدف المجتمعات الإسلامية يحتاج إلى وضوح في الأهداف التربوية المطلوبة من الأسر المسلمة ووضوح كيفية الوصول إلى تحقيق تلك الأهداف. وهذا الأمر يتطلب الإحساس بالمسؤولية تجاه الذرية في تشكيل شخصياتهم الغضة كما أرشد

المصطفى ﷺ حين قال: ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، إن تأثير الأبوين على شخصية الطفل يكون من خلال التفاعل اليومي معه، والاندماج في شؤونه الحياتية.

٥- لا شك أن إحداث تغييرات سلوكية في حياة الأفراد يحتاج إلى وجود نماذج بشرية يتعاملون معها وتكون قدوة، ورغم قناعتنا بأن الكمال لله وحده إلا أن هذا لا يمنع من وجود حد أدنى من الالتزام بالدين وتعاليمه ليكون للكلمات معاني.

وللممارسات محتوى ومصداقية، ففاقد الشيء لا يعطيه، فمن أراد أن يغيّر أبناءه أو من يعول، فلابد أن يغير نفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وهذه الآية الكريمة منهج سلوكي للعلاقة بين الناس وواقعهم، والدعوة إلى استكمال الشريعة تبدأ من الأفراد وتتفاعل وتترعرع في الأسرة، ويرعاها المجتمع!.

٦- إن استكمال تطبيق الشريعة في الأسرة المسلمة هو حماية للأفراد من الانحرافات السلوكية ومحافظة على مشاعرهم وعقولهم من التشتت في متاهات التيارات

الفكرية المتضاربة، وتنمية لشخصياتهم في مجتمعات متغيره.

٧- إن أهمية العمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية تأتي من كونها استثمار بعيد المدى، فقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ما معناه: إذ مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». فهذا التوجيه يحث على التوجه الصادق نحو الاستثمار في هذه المجالات الثلاثة، وحيث إن مجال الاستثمار في العلم والصدقة محدود، فإن مجاله في الولد الصالح غير محدود.

ولهذا جاءت الدعوة ماسة إلى الاستثمار البشري في غرس القيم الإسلامية في أذهان الأبناء ليكونوا صالحين يدعون للإنسان في حياته وبعد مماته.

٨- إن مهمة تطبيق الشريعة ليست أمراً سهلاً لأنها تبدأ قبل الزواج عندما يبحث الإنسان عن شريك حياته، وعندما يضع معايير الارتباط به، فإذا كانت قضية تطبيق الشريعة في بيته ذات أولوية فإنَّ معيار الدين يأخذ أهميته في ترجيح الدين على المعايير الأخرى، وإن كان ذلك لا يمنع من توافر كل

المعايير الصالحة.

٩- إن إحداث نقلات حضارية، في حياة المجتمعات ليس أمراً سهلاً، وإنما يحتاج إلى وضوح في الرسالة التي يحملها، والأهداف التي يريد تحقيقها، والممارسات التي يتعامل بها، والعمل في الأسرة المسلمة لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية من خلالها عمل جليل وفضله عظيم فهو من الأعمال الحميدة التي تكفر الذنوب، وترفع الدرجات فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»، وهذه النفقة قد تكون مالاً ينفقه على سكنه أو إطعام أهله أو تعليم أولاده كما قد تكون وقتاً يقضيه في بيته يلاحظ أولاده، يعلمهم، ويكون لهم مصدر معرفة، وقدوة حسنة، كما قد يكون هذا الإنفاق جهداً يبذل من أجل الأبناء ليصل بهم إلى مراتب عالية من الخلق وحسن الأدب. وقد فطن إلى هذا المعنى العالم الكبير المجاهد عبد الله بن المبارك حيث كان مع إخوانه في إحدى الغزوات الإسلامية، قال : «أتعلمون أفضل ما نحن فيه؟ قالوا: ما نعلم ذلك، قال: أنا أعلم، قالوا: ما هو؟ قال: رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه، فعمله أفضل ما نحن فيه». إن نظرة ابن المبارك، ذات

قيمة وأهمية في التعامل مع الأسرة في ميزان الأعمال.

١٠- إن استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الأسرة المسلمة ينطلق من كونها عملية تشكيل السلوك الاجتماعي وإعداد الأبناء ليكونوا عناصر صالحة في مجتمعات صالحة، الانحراف فيها استثناء، والاستقامة والانضباط أصل. وهذا العمل يحتاج إلى جهود مضنية وأوقات طويلة يقضيها الإنسان مع أسرته ليساهم في تشكيل تلك الأسرة بالصورة التي يرضى عنها الإسلام.

هذه هي الأفكار التي أردت توضيحها تعليقاً على كتاب «دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية». ونؤكد على أن هذا الكتاب بمثابة مساهمة فكرية طيبة في مجال استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في مجتمع الكويت، لكنه ليس كتاباً للأسرة لتستفيد منه في رعاية أبنائها، ولهذا أدعو لجنة استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية إلى نشر كتب للأسرة عن كيفية التعامل مع أبنائها وطرق معالجة المشاكل التي تواجه الوالدين، إذ إن ذلك يمثل لبنة في مجال تهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية. وأخيراً فإني لا أملك إلا الدعاء أن يوفق الله المؤلِّفَ لاستثمار

تخصصه في مجال علم النفس لخدمة وطنه ودينه. فاللهُ نعمَ المولى ونعمَ النصير.

د. عبد الله معتوق المعتوق

الفصل الأول

حول مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت

إن الحديث عن دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية يستلزم مناقشة خصائص البيئة الاجتماعية والتيارات الفكرية في الإطار الأوسع لهذا الدور. فالأسرة لا تنفصل عن المجتمع بما فيه من تيارات فكرية، تطرح تصورات معينة بشأن تطبيق الشريعة الإسلامية، والأسرة لا تنفصل عن ظروف ومعطيات المجتمع بكامل أبعادها. إن رصد وتحليل الجوانب الأساسية في المجتمع الكويتي فيما يخص تطبيق الشريعة الإسلامية يمثل مقاربة تبين لنا موقع الأسرة من هذا التطبيق. فمشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي يمثل نقلة حضارية في إطار تجربة متفردة، كما أن المشروع يرتبط بالذات الجماعية للأمة، والمشروع أيضا تتباين تجاهه المواقف والتيارات.... ما هي الحقيقة المستخلصة من كل ذلك؟

وأين موقع دور الأسرة في حلبة تطبيق الشريعة الإسلامية؟

الفصل الحالي يناقش الخطوط العريضة لمشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي من خلال النقاط الآتية:

أولاً: تجربة فريدة ونقلة حضارية.

ثانياً: قضية الذات الكويتية.

ثالثاً: التيارات الفكرية المتضادة.

رابعاً: أوجه الاختلافات.

خامساً: تاريخ النظام يثبت صدق التوجه وسلامة النتائج.

سادساً: أين الحقيقة؟

سابعاً: الأسرة: ذلك العملاق الغائب.

أولاً: تجربة فريدة ونقلة حضارية

تعيش الكويت في حاضرها مرحلة تاريخية متميزة، فقد حررها الله من براثن العدوان الغاشم الآثم، وأعاد إليها سيادتها وعزتها ومجدها، لتستأنف مسيرة التنمية والديمقراطية التي تميزت بها عن سواها من دول الجوار، فكانت منارة حرية ودوحة رخاء، وواحة أمن اجتماعي، ووحدة وطنية من خلال التعدد. وقد توجت هذه المرحلة التاريخية بإصدار مرسوم تشكيل اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وجاءت تبعيتها للديوان الأميري، ونص المرسوم على مهمتها بأن (تتولى اللجنة وضع خطة لتهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مع مراعاة واقع البلاد ومصالحها، ولها في سبيل ذلك دراسة القوانين السارية في مختلف المجالات واقتراح ما تراه بشأنها لضمان توافقها مع أحكام الشريعة الإسلامية) وهذه نقلة حضارية تخطوها دولة الكويت لتأكيد هوية الأمة من خلال العمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

وتأتي أهمية هذه الخطوة الحضارية كونها صادرة عن أمير البلاد الذي يرعى أحوال الأمة ويتلمس الصالح لها.

وهي خطوة تنقل الاهتمام بالشريعة من المستويات العامة إلى المستويات الرسمية، وتحوّل المطالب الشعبية إلى إجراءات تنفيذية من خلال أجهزة الدولة، وتضع آمال الأمة وأحلامها في أطر واقعية تحفظ للشريعة سلامة الفهم وحسن التطبيق، بعيداً عن التخبط أو المزايدات بين أطراف قد لا يكون لها نصيب في فهم تطبيق الشريعة وفق أصولها، إن هذه الخطوة الحضارية الهادئة المراعية لظروف الأمة وواقعها هي التي تحفظ للشريعة قدسيتها، وتصونها من أخطاء التطبيق من جانب البشر، فشريعة الله ذات معان قدسية منزهة عن الخطأ والفشل، وإنما يوصف بالفشل أولئك القائمون على التطبيق، ولهذا جاءت الإشارة واضحة جلية للتريث والمراجعة وتهيئة الأجواء التربوية والاجتماعية والنفسية في مجالات الحياة لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية.

ومشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي يأخذ أهميته أيضاً من خصوصية هذا المجتمع ونظام الحكم فيه، فالمجتمع الكويتي مجتمع مسلم تمارس فيه الديمقراطية بكل أشكالها وتعرف به الحرية بإيجابياتها وسلبياتها، ولهذا فإن مشروع استكمال تطبيق

الشريعة الإسلامية لم يأت على صورة ثورة اجتماعية أو شعارات سياسية تغييرية، وإنما جاء كحلقة من سلسلة التنمية في المجتمع الكويتي واستكمال جوانب القصور فيه، لكي ينعم هذا المجتمع بمزيد من ثمار التنمية مادياً ومعنوياً. إن الأفكار والممارسات التي تطرح في المجتمعات الديمقراطية بناء على حكمة ودراسة، تأتي دائماً في إطار العمليات التنموية الطموحة لتحقيق أهداف الشعوب في مسارها المتصل نحو الاستقرار المادي والنفسي، ولهذا فإن تجربة الكويت تمثل تجربة فريدة من نوعها في العالم، وهذا التفرد ينطلق من خصوصية المجتمع الكويتي الذي يأتي مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية متجاوباً مع هذه الخصوصية في صميم جوانب حياة هذا المجتمع.

ثانياً: قضية الذات الكويتية

إن مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية إنما يجسد الذات الكويتية بكل ما يحمله ذلك من معان، فالمجتمع الكويتي مجتمع مسلم، والاهتمام بالشريعة هو اهتمام عام، لكن تطبيق الشريعة له أبعاد مختلفة عند الناس، والاختلاف ينشأ من تباين الخلفيات الثقافية والتربوية ومدى البعد أو القرب من عملية الممارسة للتعاليم الإسلامية، فالناس في هذا المجال أجناس، كل يأخذ من الدين ما يراه مناسباً له، ويقف منه الموقف الذي يتلاءم مع معتقداته ومواقفه التي يؤمن بها. واختلاف الناس أمر طبيعي في مجتمع تمارس فيه الحريات، ويتلقى أفراده مختلف الثقافات، ويتفاعلون مع كل التيارات العالمية والعربية، ويأخذون دورهم في المساهمة في تلك التيارات، وما مشروع استكمال تطبيق الشريعة في المجتمع الكويتي إلا واحد من المشاريع ذات المصادر للاختلاف، وهو ليس خلافاً حول الدين الإسلامي أو أهميته وإنما اختلاف في وجهات نظر حول مفهوم تطبيق الشريعة الإسلامية وانعكاسات تلك التطبيقات على المنجزات في المجتمع الكويتي وعلاقاته مع الأطراف الأخرى. والقضية قد أخذت

مداها، واستفرغت محتواها، ولكن أطروحات التيارات الفكرية تجعل صانع القرار السياسي على بينة من الأمر وعلى بصيرة فيما يترتب على هذا القرار من آثار.

ويكون دور لجنة استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية مراعاة واقع البلاد ومصالحها من خلال دراسة ذلك الواقع، والاتصال بالقائمين عليه لمعرفة أفضل السبل، لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال المقترحات الفعّالة، ذات الأهداف السامية التي تصلح العباد والبلاد، وفي ذلك عزم على نجاح التطبيق، وإصرار على تهيئة الظروف المناسبة التي تجعل هذه التجربة الفريدة ناجحة بكل مقاييس النجاح، ونسميها فريدة وليست جديدة لتفرد المجتمع الكويتي، من حيث طبيعته، ونظام الحكم فيه.

ثالثاً: التيارات الفكرية المضادة

إن مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية يكتسب أهمية أيضاً بالنظر إلى واقع المجتمع الكويتي الذي يشهد تيارات متعددة تتعايش معاً. ولها مواقفها من الشريعة. من هذا المنظور، ومن قبيل التبسيط هناك التيار المؤيد، والتيار المعارض. وفي إطار كل منهما تتعدد الرؤى بما يخرج عن نطاق اهتمام الدراسة. لكننا نجد أن التيار المؤيد ينطلق عادة من مقولة "إن الحق أحق أن يتبع". والشريعة الإسلامية هي الحق. فهي بالتالي لابد أن تطبق. أما التيار المعارض (بصرف النظر عن درجة هذا الرفض) فهو ينطلق عادة من مقولة: الناس أدرى بشؤون دنياهم.

(أ) الحق أحق أن يتبع

فهناك رؤية مفادها أن تطبيق الشريعة واجب بغض النظر عن قبول الناس أو رفضهم، لأن شرع الله أحق أن يتبع وقد ألزمنا سبحانه بطاعة رسله، واتباع شرعه، وجعل هذه الطاعة هي العبادة المفروضة علينا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا

جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ) (المائدة: ٤٨) وهذا يدل على أن شريعة الله جميعها واجبة الاتباع سواء منها ما يتعلق بالعبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج أو ما يتعلق بالمعاملات أو الآداب أو الحدود (١٩).

الحق أحق أن يتبع من خلال تطبيق الشريعة في العبادات والمعاملات سواء بسواء، مما يبرهن على أن أهل الإسلام ليسوا مخيرين في أخذ شريعة الله أو تركها بل هم ملزمون بذلك، بل لا إيمان أصلاً لمن كفر بها أوردها أو هجرها أو انتقصها وعابها أو ذمها لأنها تنزيل من الحكيم الحميد.. فلا إيمان إلا مع الإقرار بشريعة الله والإذعان لحكمه، ولا إسلام إلا الإسلام لأمر الله ونهيه والسمع والطاعة لحكمه وخبره (٢). أي أن تطبيق الشريعة أمر حتمي، ولا يستكمل الإنسان دينه إلا باستكمال تطبيق الشريعة في مجتمعه في كل جزئية من أجزاء الحياة، والسعي نحو تحقيق هذا الهدف هو أمر واجب الوجوب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يتحقق في قلب الإنسان والمجتمع إلا بالالتزام الكامل بما فرضه الله عليه من أحكام، وإلا كان ذلك شعارات لا تحمل إلا معان نظرية، ليس لها حظ من التطبيق العملي (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ

يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ (النساء: ٦٥).

ولما كان استكمال الشريعة الإسلامية في المجتمع المسلم ينتج عنه سعادة المجتمع دينا ودنيا، فإنه أمر من مقتضيات الإيمان الذي يفرض القبول بالإسلام أولاً ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ (الأحزاب: ٣٦)، إن مشروع استكمال التطبيق لا يتجاهل ما يطالب به هذا التيار، بل إنه يرسى أصول الحكمة والتعقل في التعامل مع القضايا العامة. إن الحماس لدين الله سلوك محمود، ولكن الحماس الذي يتخذ أسلوب الانفعالية يحول دون الإحاطة بالمعطيات البيئية والاجتماعية والسياسية ودون معرفة العواقب المترتبة على القرارات المصيرية في حياة الشعوب، وكأن أمر تطبيق الشريعة من نوع كن فيكون أو إعلاناً في محطات الإذاعة والتلفزيون وتنتهي المسرحية.

إن فورة الحماس التي تأخذ ببعض الناس تصل إلى درجات عالية دون مراعاة لمتطلبات الحياة الحديثة بما تستلزمه من

معالجة اجتهادية تتناسب مع الظروف المستجدة على الساحة المحلية والدولية، لأن بعض هذه الظروف لم يسبق إيجاد حلول لها نظراً لحداثتها، كما أن بعض الاجتهادات تجاوزها الزمن، ويتطلب توافقها مع الواقع إحداث تغييرات تتطلب وقتاً لتكون القاعدة الشرعية متوافقة مع واقع الحال (٣)، ويأتي مشروع استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ليكون صوت العقل الذي يحرص على صون الشريعة من عبث العابثين، وحفظها من تيارات المتحمسين، لأنها مصدر حماية الأمة وأساس هويتها، فلا بد أن يقوم على استكمال تنفيذها رجال قد خبروا الحياة، وعقول قد أدركت معاني الوجود، وعرفت مراحل نقل الناس من حال إلى حال، لتكون النقلة إنجاز مهمة وليس تبرئة ذمة. ومن هذا المنطلق المتعقل في تطبيق الشريعة جاءت المطالبة بالتدرج فيما تسمح به المعطيات الاجتماعية والسياسية واختيار البدائل التي تتلاءم مع التطورات الحديثة بما لا يحدث انحرافات أو انجرافات في المجتمع أو خلخلة لقواعده الأساسية ولمحاور تعامله مع بقية الشعوب والمجتمعات.

إن الصدق في التوجه نحو استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية يتطلب التريث في دراسة الواقع،

ومعرفة مستلزمات التطبيق لهذه الأحكام التي تشكل ملاذاً يحتمي به من العواصف الفكرية الوافدة علينا من كل فج وصوب، أو الداخلة إلى عقولنا من خلال القنوات الفضائية التي تتصارع للوصول إلى الإنسان في كل مكان، وتبث الفكر إلى كل المجتمع بغض النظر عن صلاحية أو فساد ما يبث للعقل المسلم، أو مناسبته لقيم المسلم وعقيدته.

ليس التعامل مع عموم المجتمع كالتعامل مع شريحة واحدة أو بعض الشرائح، وليس العمل على تهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية كالقرارات الاستبدادية التي لا تقيم وزناً لاتجاهات الناس ومواقفهم وآرائهم حتى فيما يتعلق بتطبيق شرع الله. فالرسول ﷺ مكث دهراً يعلم الناس، وراعى في التشريع ظروف الناس وأحوالهم، فالشريعة جاءت لسعادتهم وزيادة تفاعلهم مع دينهم واستثمار دنياهم فيما يعود عليهم بالخير والبركات.

(ب) الناس أدرى بشؤون دنياهم

وهناك تيار يقاوم تطبيق الشريعة الإسلامية ويقدم الأدلة والمبررات للإبقاء على القوانين الوضعية، أو إحداث اجتهادات جزئية لكي لا تتعارض هذه القوانين مع نصوص الشريعة الإسلامية أو تغرق في تفسير نصوص الشريعة، مع استثمار الاجتهادات المتباينة في الشريعة الإسلامية لإثبات صلاحية القوانين الوضعية والإبقاء عليها، وقد تكون منطلقات هذا التيار صادقه في المحافظة على المجتمع وتقدمه خاصة وأنه يرى في تطبيق الشريعة بالصورة التي تعرضها بعض التيارات الإسلامية تأخراً عن ركب الحضارة والمدنية، بل إن تجارب بعض الأنظمة التي رفعت شعارات الإسلام وزعمت تطبيق الشريعة الإسلامية لا تشجع أن تكون نموذجاً يحتذى به. وقد تكون منطلقات هذا التيار الخوف من تسلط بعض الفقهاء باسم الدين والتحكم في حريات الناس واجتهاداتهم في محيط حياتهم، ولهذا فإن أصحاب هذا التيار ينظرون إلى الدين على أنه علاقة ربانية بين العبد وربه، ولا ينبغي أن يقحم الدين في عالم الناس ومعاملاتهم التي يكثر فيها الاجتهاد والتعديل والتبديل مما قد يتنافى مع القواعد الدينية في حالة تطبيقها.

ويرى القائلون بذلك أن إدخال الدين في الحياة اليومية فيه تعريض لهذا الدين لأنه أصبح في متناول التيارات السياسية في مجتمع ديمقراطي. وأداة من أدوات السلطة التنفيذية غير المنزهة عن الممارسات الخاطئة. وأن إقحام الدين في الأعمال السياسية لا يجب أن يكون في المجتمعات التي تمارس فيها حرية النقد ومحاسبة السلطات التنفيذية على أعمالها وتطوير القوانين بما يتناسب من مستجدات العصر ومعطيات الحال. فالناس أدرى فيما يصلح لهم حسب الزمان الذي يوجدون به. والمكان الذي يعيشون فيه. وعملية تقييدهم بفهم معين للشريعة الإسلامية إنما حجر لتلك العقول أن تعمل وتجتهد لأن الاجتهاد بالدين محدود مهما كان باب الاجتهاد مفتوحاً كما يقول بعض علماء الدين.

ويصل الفكر عند بعض الناس إلى فصل الدين عن الدولة فلكل مجاله ومحيطه. فالسياسة ليست في شيء من الدين. وما يقال عن السياسة يقال عن القضاء. وغير ذلك من وظائف الحكم ومراكز الدولة وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة. ولا شأن للدين بها فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها. وإنما تركها لنا لنرجع

فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة (٤).

أما عن دلالة مشروع استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية لما ينادي التيار الرافض أو المتحفظ تجاه التطبيق، فإن المشروع يعني التعامل بلغة الحوار الهادف، والتعقل اللازم حتى لا نجني ثمار التسرع في الرفض، أو الجهل في التحفظ، فلننتظر ما سينتج عن المشروع، فإذا كان الخلاف أمراً متوقعاً بين الناس، فإنه يجب أن يدار من منطلق أدب الخلاف في الإسلام، ويظل الخلاف ضمن المقبول ما دام ناجماً عن أسباب معقولة وليس عن هوى أو تعصب أعمى للرأي (٥).

إن مشروع استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية قد طرح ونما في جو تسوده حرية الرأي، وإمكانات البحث والتقصي، واستقراء مختلف الآثار المحتملة جراء التطبيق الكامل، ولم يزل المشروع مستمراً، فلا داعي إذن لإصدار أحكام انفعالية متسرعة بشأن ما سيسفر عنه من نتائج، وبدلاً من ذلك يبدأ كل فرد بنفسه وبمن يعول، فقد يسفر المشروع عن إنجاز حضاري يمثل نقلة في مجالات الحياة لتحسين أداء الأمة وزيادة أمنها النفسي

والاجتماعي وليكون المجتمع الكويتي نموذجاً قد يحتذى به من قبل الأنظمة والمجتمعات الأخرى. وقد يكون في تطبيق الشريعة ما يصلح أحوالنا ويزيد من إمكانياتنا في تحصين شبابنا من أمراض العصر وانحرافات الثقافات الوافدة. ويكون مشروع استكمال الشريعة الإسلامية خيراً كله حتى لأولئك الذين لا يحملون اتجاهات إيجابية نحو تطبيق الشريعة الإسلامية، كما قد يكون في تطبيق هذه الشريعة في المجتمع الكويتي ما يمثل نموذجاً طيباً للمجتمعات الإسلامية الأخرى.

رابعاً: أوجه الاختلافات

(أ) مناهج التطبيق

لقد تعددت الرؤى والتصورات بشأن مناهج تطبيق الشريعة في حياة الناس، فهناك من يرى أن أساس البناء في سلوك الإنسان يبدأ بالعقيدة وما يترتب عليها من التزامات، وما ينتج عنها من سلوكيات، وبغير هذا البناء يكون أساس الفرد ضعيفاً لا يعرف ما يجب وما لا يجب، إن سلامة العقيدة التي يقوم عليها البناء الفكري، والتصورات عن الحياة والوجود، والصراع بين الحق والباطل ومعرفة دور الإنسان في الوجود هي التي تحفظ الإنسان من الانحراف، وتجعل حركاته وسكناته مرتبطة بالوظيفة الأساسية لوجوده، وبموجب ذلك، فإن الفكر هو مجال إحداث التغيرات المطلوبة، فالإنسان تسيره الصور الذهنية التي يحملها، وتنعكس تلك الصور على واقعه وتعامله مع الآخرين، فلابد من تزويد الناس بالأفكار الإسلامية الأساسية لكي تنعكس على واقعهم، فالعقيدة الإسلامية إنما هي حقائق عن الله سبحانه وتعالى وعظمته وقدرته ورحمته ومحبته لخلقه، وعلى هذا الأساس فإن العبد يتصل بمن يحبه ويطلب له الخير، وما المنهج الرباني إلا دلالة على

محبة الله لعباده. إذ دلهم على الخير من خلال إرسال الرسل إليهم وهدايتهم إلى طريق الصلاح والفلاح. وتبدأ مسيرة تطبيق الشريعة الإسلامية في إحداث التغييرات الفكرية لدى الفرد والأسرة في تناسق إسلامي موحد لكي يكون السلوك متسقاً مع القيم الإسلامية وتعاليم الدين. فالفكر منطلق التطبيق وأساس ممارسة الإسلام ودعامة ديمومة المحافظة عليه. ويرتبط بالفكر الاتجاهات السامية نحو الدين. إذ إن سمو الروح وتنمية الجوانب النفسية والارتباط بالرسول ﷺ هو أصل العمل ودافع العطاء وأداة النجاة. ويتحقق ذلك من خلال الممارسة النفسية المرتبطة بالذكر الدائم. وفي مقابل ذلك هناك من يطرح فكرة أن مسيرة تطبيق الشريعة الإسلامية تبدأ من إيجاد وسائل تحقيق الالتزام العام بأحكام هذه الشريعة في المجتمع إذ إن هذا الالتزام هو الذي يوجد اتجاهات نفسية نحو ممارسة الدين.

ولا بد من وجود أصول اجتماعية تحافظ على الدين. فالدين من أصول الحياة التي لابد أن نحافظ عليها ونلزم الناس بها. فكما أن هناك قانوناً للسير وقانوناً للتعليم وقانوناً للصحة فإن الدين هو عماد الحياة لابد أن يوجد

قانون لحمايته، وإلزام الناس بأحكامه، ومن هنا جاءت فكرة وجود هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذلك نشأة مفهوم الحسبة في الإسلام والذي تمت ممارسته لقرون عديدة عبر تاريخ المسلمين.

(ب) ظروف التطبيق

اختلفت الأطروحات الخاصة بمدى ملائمة ظروف تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الكويتي، فقد رأى البعض أن التوقيت مناسب لاستكمال التطبيق، حيث إن القائم على هذا الأمر هو ولى الأمر وهو رأس الدولة، فليس هناك ظروف مناسبة أحسن من هذه الظروف، ولابد من استثمارها في سبيل الله ولصالح المجتمع، فقد مارس أهل الكويت الديمقراطية وعرفوا الحرية وتمتعوا بأعلى درجات الوفرة المادية، وجاءت الفرصة التاريخية المناسبة لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية لتكون الحصن الذي يحمي الأمة من الانشقاقات والانحرافات ويوحد لها المسارات ويرسم لها المعايير في اتخاذ القرارات الصالحة التي تتناسب مع هوية الأمة، وتكون رسالتها في الوجود واضحة وهي عبادة الله وحده، وفي المقابل

نجد أن بعض الناس يرى أن عملية استكمال الشريعة الإسلامية في المجتمعات ليست مرتبطة بشخص الحاكم ولكنها مرتبطة بالتوجهات العامة في المجتمع والتيارات السياسية والاجتماعية والتربوية السائدة، وبالتالي فإن عملية استكمال التطبيق تحتاج إلى جهود تهيئة نفسية واجتماعية على كل المستويات الرسمية والشعبية. فالعمل ليس من منطلق كن فيكون، ولكنه عمل تعبدي يجب أن يأخذ مداه في نشر الفكر والدعوة إلى تطبيق الإسلام ليكون منهج حياة، وأساس النظام للمؤسسات العامة والخاصة، ولهذا فإن التدرج في التطبيق هو أساس النقلة الحضارية المطلوبة والمرغوبة، إن الشريعة الإسلامية نظام في حياة الناس واستقرار لأنظمتهم ومعاملاتهم ونفوسهم ولهذا فلابد أن يأخذ تطبيقها مجراه التدريجي ليكون جزءاً من بنية الإنسان وشخصيته.

(ج) مسؤولية التطبيق

من المسؤول عن تطبيق الشريعة الإسلامية؟ لقد تباينت الرؤى والتصورات عمن يتحمل المسؤولية تجاه الشريعة ومن ثم تطبيقها في مجالات الحياة المختلفة:

فمن الناس من يرى أن الشريعة هي مسئولية القائمين عليها، والمتلقين لتعليماتها، والمتفقهين بعلومها، فكل هؤلاء مسؤولون عن الدعوة إلى الشريعة، وليس لهم علاقة بالعمل على تطبيقها في الوجود البشري لأن ذلك ليس من شأنهم، ومن الناس من يرى أن المسئولية تقع بالدرجة الأولى والأخيرة على ولي الأمر فهو المكلف شرعاً وعرفاً بحمل الناس على التطبيق ومن هنا فإن الجرم والذنب يصيبه وحده إذا لم يتم تطبيق الشريعة.

ومن الناس من يرى أن تطبيق الشريعة الإسلامية يقع على الجميع كل حسب طاقته، وإن تغيير المنكر واجب على الجميع، إن لم يكن باليد، فليكن باللسان، وإلا فبالقلب، وتؤكد هذه الرؤية على عمق وشمول الشريعة، فهي تشمل كافة جوانب الحياة، وهي لا تقتصر على العبادات أو التكاليف الفردية ولكنها ذات ارتباط وثيق بالمجتمعات والأنظمة الاجتماعية الكبيرة.

فتطبيق الشريعة واجب مشترك بين جميع الناس الذين يؤمنون بالإسلام ديناً بغض النظر عن مواقع المسؤولية التي يتولونها، ومهمة استكمال تطبيق

الشريعة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية تتوزع على جميع الجهات والمؤسسات الخاصة والعامة، سواء كان ذلك من خلال سن القوانين الضابطة للسلوك البشري أو من خلال التعامل بالقيم والأخلاق الإسلامية أو من خلال الرقابة الذاتية للسلوك البشري. وبالتالي من الظلم أن يتحمل طرف دون الأطراف الأخرى مسئولية استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية، فهي ليست عملية إصدار قوانين وإعلان في وسائل الإعلام لتكون الشريعة مطبقة، إنها منهج لحياة الناس يدخل في كل جزئية من جزئيات حياتهم الخاصة والعامة.

(د) مستويات التطبيق ومداخله

لقد تعددت الرؤى والأطروحات في إطار الحديث عن مستويات ومداخل تطبيق الشريعة. فهناك من يري أن هذا التطبيق يتطلب أن يبدأ كل فرد بنفسه، وحسب قدرته واستطاعته فعلى الإمام من كل ذلك ما ليس على عامة الناس وعلى أهل العلم ما ليس على الجاهل وعلى أهل التمكين ما ليس على المستضعفين، وإن كان كل فرد مسئولاً عن نفسه، وعمن يرعاهم (٦). فإذا طبق كل فرد

الشريعة على نفسه وعلى من هو مسؤول عنهم، فإن ذلك ينعكس على جميع المجتمع بكل فئاته ومستوياته.

ومنهم من يرى أن تربية الفرد هي وسيلة إحداث التغير الإيجابي نحو ممارسة الإسلام، فالتربية هي إحداث تغييرات سلوكية في حياة الأفراد وهي عملية نقل الكائن البشري من حال إلى حال بواسطة التنشئة الاجتماعية ذات الأهداف التربوية المحددة من قبل المجتمع، فالتربية أداة تشكيل الإنسان وما تريده من هذا الإنسان يغرس من خلال الوسائل التربوية والمناهج الأسرية والمدرسية التي تشكل الإنسان بصفاته ومواصفاته المطلوبة والمرغوبة.

وهناك من يرى أن إصلاح النظام السياسي هو الأساس وما لم يكن صانع القرار السياسي على قناعة بتطبيق الشريعة فإن كل المحاولات لن تجدي لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وأيا كانت مستويات تطبيق الشريعة فقد تعددت الرؤى حول مداخل هذا التطبيق، فهناك من يرى أن البلاغ العام وتبرئة الذمة هو وسيلة الدعوة من خلال الخروج في سبيل الله، وتطبيق الشريعة الإسلامية يكون من خلال التحرر

من الدنيا والخروج إلى الله كما فعل رسول الله ﷺ. فواجب المسلمين التبليغ عن الدين ولو بآية أو حديث. وتكون التنقية للنفس البشرية من خلال ممارسة الدين عملياً والالتزام مع الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (الكهف: ٢٨). وبموجب ذلك، فإن الوسيلة إلى إصلاح الحال هي التوعية العامة التي يعرف بها كل إنسان واجبه الشخصي والاجتماعي، وتكون مراقبة التنفيذ تضامنية مع وضع العقوبات الصارمة التي تتناسب والخروج على الآداب، والإيمان العميق بالمسؤولية.. ويقوم بهذه المهمة البيت والمدرسة والنادي والقضاء وكل المجتمع بجميع أفراده وهيئاته والتراخي في ذلك ضياع للجميع (٧). فالدين يقوم وينهض من خلال المؤسسات العامة في المجتمع، وبدون تلك المؤسسات لا يكون للدين قائمة، ومن تلك المؤسسات التنظيمات الحزبية أو الجماعات الإسلامية، أو التشكيلات الإدارية المتعددة. فالباطل يعمل بصورة منظمة، فلابد من مواجهته بصورة منظمة كذلك.

(هـ) نتائج في التطبيق

اختلفت الرؤى والأطروحات حول نتائج تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن الطبيعي أن تتحدد طبيعة هذه النتائج حسب الموقف من تطبيق الشريعة، فالأطروحات والرؤى المؤيدة ترى أن عملية التطبيق فيها النجاة مما نعاني من أمراض اجتماعية ونفسية، فالإيمان الصادق قارب نجاة في الدنيا والآخرة، ولهذا فإن النجاح والفلاح لهذه الأمة لا يتم إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية قولاً وفعلاً في كل نواحي الحياة: إننا جميعاً مسلمون نحرص على ديننا، ونزعم أننا لا نبغي عنه بدلاً، ولكننا نخطئ في فهم الدين، ونظن أنه لا يتجاوز ما يقام فينا من شعائر العبادة وبهتف به الوعاظ والخطباء من الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة.

ويخيل إلى كثير منا أنه لا شأن للدين بالمعاملات المدنية والحقوق الاجتماعية والعقوبات والتعازير، ولا صلة له بشؤون الحرب ولا السياسة الداخلية والخارجية، كلا، إن الإسلام ليس كما يظنون، الإسلام دين وسياسة وتشريع وحكم وسلطان وهو لا يرضى من متبعه إلا أن يأخذه كله ويخضع لجميع أحكامه فمن أبى الرضى بأحكامه فإنه يفقده كله (٨)، بل إن المعنى في أذهان هؤلاء يتعدى

الممكن إلى ما لا يمكن بالمقاييس المادية. فهم يعتمدون على الأبعاد الإيمانية في إشاعة الأمن والسلام بين الناس بمجرد تطبيق الشريعة الإسلامية. فالخير بيد الله يعطيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء وما تطبيق الشريعة إلا حلقة من حلقات الخير التي ينزلها الله على عباده والنجاح والفلاح بقبول التطبيق في عالم الوجود البشري.

تقرر الأطروحة المؤيدة أيضاً أن عدم تطبيق الشريعة كاملة يترتب عليه آثار شديدة على الأفراد والجماعات والمجتمع ككل، إذ إن ترك الدين وعدم الالتزام بأحكامه، يترتب عليه فساد الضمائر، وتخريب الذمم، واستبداد الظلم، وانتشار الفساد وانتهاك الحقوق، وإراقة الدماء، وتفريق الكلمة. إن الشريعة في معناها وأساسها تشتمل على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ومصالح كلها، ورحمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخل فيها التأويل كما يقرر ابن القيم (٩).

والمؤيدون لتطبيق الشريعة الإسلامية، يرون أن ذلك

حماية للأمة من أعاصير التغريب التي تحاصرها صباحاً مساءً، بما ينتج عنها حفاظ الأمة على هويتها من الاندثار أو الانحسار أمام تطاحن الأمم على إثبات وجودها في عالم الأمم المعاصرة. إن انحراف الشباب وانغماسهم في أنواع الموبقات والرذائل والمخدرات وانحرافات السلوك المختلفة إنما مرده إلى غياب الرادع الديني وعدم اتخاذ الشريعة منهج حياة للفرد والأسرة ولهذا نجد الانفصام النكد الذي يعانيه كثير من الشباب في المجتمعات الإسلامية بين واقعهم وما يرفع لهم من شعارات تدعو إلى الفضيلة ولكن الممارسات التي يرونها في الواقع تتنافى مع تلك الشعارات، وهذا الانفصام بين الشعارات والممارسات يؤدى إلى إحداث فجوة نفسية وحالة اكتئاب كبير يترتب عليه كثير من الإحباطات مما يرونه في مجتمعاتهم.

فليست هوية الأمة متمثلة بما تملكه من عمار أو بحار أو مواد خام، وإنما بما تتميز به من عقائد وقيم وأخلاق وممارسات تعكس عزة تلك الأمة واعتزازها بذاتها، وبما تحمل من موروثات تاريخية تجعل الامتداد التاريخي أصلاً تعتز به في حاضرها، وتمده إلى مستقبلها غرساً تربوياً في أجيالها، وتوجيهاً اجتماعياً لمؤسساتها. إن المجتمعات التي تنفصل عن

دينها وتفقد هويتها تعيش حالة عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي وتتأرجح تياراتها السياسية والاجتماعية حسب ما يطرح من تلك الأفكار في الساحة السياسية بغض النظر عن مناسبتها لواقع المجتمع وتناسقها مع قيمه الخاصة والعامة، وهويتها الكلية.

وبالتالي، فإن مشروع استكمال تطبيق الشريعة في المجتمع الكويتي، إنما هو خطوة أساسية لتدعيم هوية المجتمع والحفاظ على مواطنيه وقيمه في عالم التيارات الأيدلوجية المتضاربة، ولمواجهة أزمة الهوية التي يعانى منها شباب القرن العشرين الذي يوشك على الانتهاء، وفي استقبال قرن لا نعرف ما يحمل من إرهاصات فكرية أو اجتماعية، وما مشروع استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية إلا إعداد للاتصال الفعال مع معطيات القرن الحادي والعشرين بهوية واضحة وأسس عقائدية تتناسب مع طبيعة المجتمع الكويتي المسلم، وهي خطوة تسجل في تاريخ الكويت السياسي، كما سجلت خطوات أخرى من ذي قبل سواء على مستوى التنمية السياسية أو الاجتماعية أو غير ذلك.

هذه بعض أهم النتائج التي يتوقعها أو تؤكدها الأطروحات المؤيدة لتطبيق الشريعة الإسلامية. فماذا عن النتائج التي تقدمها الأطروحات المعارضة؟

لقد رأى البعض، أن هذا التطبيق سينتج عنه عمليات تراجع حضاري من الحرية إلى العبودية، ومن ثقافة القرن العشرين إلى ثقافات وقيم لا تصلح للتطبيق في هذا الزمان وهي باختصار ضغوط التراجع في مواجهة أمواج التقدم الحضاري، وفيها انتفاء وانتهاء لعمليات التبادل والانفتاح الثقافي الذي تتطلبه معطيات الحياة في القرن الحادي والعشرين، ويرى هؤلاء أنه نظراً لخطورة المضار المترتبة على تطبيق الشريعة، فإن هذا يجعل التأجيل أولى من التعجيل، والمكث أولى من الحث. والمضار قد تكون داخلية أو خارجية، فالناس أحرار فيما يفعلون، والأعداء يتربصون بنا الدوائر، فالشريعة مصدر توترات داخلية وخارجية لأنها قرار يشمل الأمة بأكملها، ومن كان في موقع اتخاذ القرارات التي ينعكس أثرها على الناس بجميع شرائحهم فلابد أن يعيد النظر فيما يترتب على قراراته من آثار ولابد أن يتحمل ما يؤدي إليه القرار من آثار.

خامساً: تاريخ النظام يثبت صدق التوجه وسلامة النتائج

إن بعض الأطروحات المؤيدة لتطبيق الشريعة والمعارضة له، ترى أن نتائج التطبيق تتوقف على النية والصدق والوسيلة، فعلى قدر العزم تأتي النتائج. فالشريعة وأحكامها لا غبار عليها، ولكن المشكلة في طرق تطبيق تلك الأحكام في واقع المجتمعات، ولهذا فإن الأمر مرتبط بأهداف استخدام عمليات وأحكام الشريعة في المجتمعات، وأغراض ذلك الاستخدام فإن كان لله خالصاً وللمجتمع ناصحاً، فإن النجاح سيكون حليفه وإن كان غير ذلك فإن الفشل قرينه.

في هذا الإطار نجد البعد السياسي واضحاً لدى بعض القائلين بذلك، فمنهم من يرى أن صانع القرار السياسي يحاول أن يجد مخارج مناسبة للمطالبة الشعبية بتطبيق الشريعة الإسلامية، ولهذا فإن القرار سينتهي عندما تنتهي دواعيه، وهم بهذه النظرة يقيسون الأمر على ما يمارسه صناع القرارات السياسية في العالم الثالث، وما أثبته التاريخ السياسي في عالمنا العربي، فما يرونه من قرارات يتوقعون قياساً على العمل السياسي السائد أن

نتائجه ستنتهي بانتهاء دوافعه.

كما أن النظرة إلى استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية عند بعض الناس هي نظرة الشك في صلاحية عمليات التطبيق في المجتمع الكويتي ولكنهم في الوقت نفسه يدركون محاور الضغوط الشعبية التي يواجهها صناع القرار السياسي في اتخاذ هذا المسار، ويظن بعضهم أن عملية الاستكمال هي ردة فعل وقتية لمواجهة تلك الموجات السياسية الطارئة على المجتمع الكويتي، مثلها مثل غيرها من التيارات السياسية التي مرت على هذا المجتمع خلال تاريخه الطويل، وتعامل مع تلك التيارات بما يناسبها في كل زمن، فعند هؤلاء أن لكل حادث حديث ولكل فعل رد فعل يتناسب مع معطياته ومساراته وأهدافه.

ومنهم من ينظر إلى استكمال تطبيق الشريعة على أنه لا يختلف عن غيره من الشعارات التي رفعها عرب هذا الزمان وأطلقوها وتلهوا بها ردهة من الزمان حتى أثبتت الأيام أنها غير قابلة للتطبيق أو التحقيق (الوحدة العربية من المحيط إلى الخليج – أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة – تحرير فلسطين) وحسب هذه الرؤية، فإن استكمال تطبيق

الشريعة ما هو إلا حلقة من تلك السلسلة الذهبية التي ترف لها القلوب وتتجاوب معها النفوس، حتى يصدم الناس بالواقع المخالف لتلك الشعارات البراقة فينتكسون على رؤوسهم ويبحثون عن البدائل الأخرى.

إن ربط نتائج جهود استكمال تطبيق الشريعة بالأداء أو الموقف السياسي على هذا النحو، يبدو أنه متأثر بخلفية تحكمها العاطفة أو الانفعال، بدرجة عزلته عن الواقع الكويتي، إن تاريخ وواقع النظام السياسي الكويتي، يؤكد صدق التوجه وسلامة النتائج في قرارات مصيرية، فقد سبق لنظام الحكم في دولة الكويت أن تبنى النهج الديمقراطي في وقت لم تكن الديمقراطية أساس الأنظمة السائدة في ذلك الزمن، وقد أدخلت هذه الممارسات السياسية إلى المجتمع الكويتي الذي مارس الديمقراطية حسب مستوياته في ذلك الزمن، ولكن الديمقراطية استمرت كعنصر أساسي من عناصره، وكسمة من سمات هذا المجتمع نفتخر بها ونتباهى أمام العالم بأسبقيتنا في تطبيقها، ومثلما استمرت الديمقراطية بما يثبت صدق توجه النظام، فلماذا لا ينطبق الأمر نفسه بالنسبة لتطبيق الشريعة الإسلامية؟

سادساً: أين الحقيقة؟

لماذا تختلف الرؤى والأطروحات حول تطبيق الشريعة الإسلامية؟ إن الإجابة على هذا السؤال ليست بالأمر السهل، لأن الاختلاف يرجع إلى مدى الإلمام بالشريعة، والخلفية الفكرية والثقافية للفرد، وتجاربه المباشرة وغير المباشرة بما يشكل الصورة الذهنية عن الشريعة.

إن استخدام الألفاظ يتضمن معان لصور ذهنية يحملها الإنسان عن الشيء الذي يريد التعبير عنه، وما مفهوم تطبيق الشريعة إلا من تلك المفاهيم التي يتباين الناس في فهمها حتى وإن كان هناك قبول عام للشريعة في حد ذاتها، ولذلك نجد تبايناً في درجة هذا القبول، لكن التباين قد يتم حسمه إذا ثبت في الأذهان جوهر القصد من الشريعة الإسلامية مثلاً في درء المفاسد، وجلب المصلحة، والحث على مكارم الأخلاق وحسن العبادات، وقد جاءت الشريعة برؤية متكاملة بما هو ضروري لتحقيق هذا الغرض مؤكدة الضرورات الخمس، وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، وحماية المال؛ فليس هناك إنسان سوي يجادل في أهمية ذلك وضرورته ليحيا حياة طيبة، ولعل هذا هو ما يستند عليه البعض من أن تطبيق

الشريعة أمر لا مناص عنه ولا خيار لمن أراد أن يختار لنفسه أو لمجتمعه ما يصلح شأنهم ويرفع مستوى التعامل الإنساني في معاملاتهم، بما يمثل نقلة حضارية على كل المستويات السلوكية والاجتماعية والتشريعية وبما يضمن إسعاد الشعوب وإصلاح الخلل في المجتمعات المعاصرة، ولتحقيق ذلك يتعين توضيح جوانب الشريعة ومقاصدها للناس، وقد عبر فضيلة الشيخ محمد الغزالي طيب ثراه عن ذلك بقوله: إن شبكة التعاليم الإسلامية التي ترعى شئون الناس تحتاج إلى توضيح وتمييز بين جوانبها المتعددة بمعنى أن الإسلام قصد من القوانين التي وضعها أن يصون دماء الناس وأموالهم وأعراضهم وهذا ما نفهمه بمقاصد الشريعة (١٠).

إن التباين في الصورة الذهنية لدى الناس عن الشريعة الإسلامية يمثل تفسيراً هاماً لمستوى فهمهم للشريعة، ومدى التزامهم بها، ومواقفهم من تطبيقها. فبعض الناس يتبادر إلى ذهنه عند سماعه عن تطبيق الشريعة أنها سيف مسلط على أولئك السراق الذين ينهبون أموال الناس بالباطل دون وجه حق. ولهذا فإن صور تقطيع الأيادي الممتدة إلى الحرام هي الصور العالقة في أذهان

البعض عند سماع تطبيق الشريعة، وقس على ذلك أمثلة رجم الزاني وجلد شارب الخمر. فالشريعة الإسلامية بالنسبة لبعض الناس هي تطبيق الحدود سواء كان ذلك على المستوى الفردي أو العام، بمعنى أن ما يصل إلى الفرد ينطبق على المجتمع وأن تطبيق الحدود لا ينجو منها من وقع في إثمها، فالناس أمام الشريعة سواسية، ومن الناس من يرى أن تطبيق الشريعة يعني مجرد منع بعض المظاهر السطحية، كمنع الحفلات ومنع التبرج والاختلاط وغير ذلك من المظاهر التي تخالف الشرع.

وبعض الناس لديه صورة ذهنية عن تطبيق الشريعة بأنه إقامة العدل بين البشر، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق والعدل، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصر العدل في جانب واحد أو بطريق واحد، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط في كافة جوانب الحياة، وبكل الطرق، بمعنى أن كل طريقة تؤدي إلى العدل والحق تكون واجبة الاتباع، وسوف توجد الدلالة عليها بل والحكمة والمقصد منها في الشريعة الإسلامية باعتبارها شريعة الحق والعدل.

هذه الصور الذهنية عن مفهوم تطبيق الشريعة الإسلامية تتسم بأنها جزئية أو مختزلة. فالشريعة أعم وأشمل من مجرد تطبيق الحدود، أو منع الاختلاط أو الحفلات أو التبرج. والشريعة أعمق وأسمى من مجرد إقامة الحق والعدل بين الناس، إن الشريعة تشمل ذلك كله وغيره، إنها تشمل كل حياة الإنسان المحسوسة وغير المحسوسة، الظاهرة والمستترة. وبالتالي فإن تطبيق الشريعة كاملة لا يكون بمجرد قرار سياسي، وإنما لابد من تعميق تطبيق الشريعة من خلال الوسط الاجتماعي الذي يستقبل الفرد منذ ولادته ويظل ملازماً له طوال حياته.

سابعاً: الأسرة: ذلك العملاق الغائب

إن المقصود بالغياب هنا هو الغياب عن أذهان معظم هؤلاء المهتمين بتطبيق الشريعة الإسلامية. وغياب العملاق عن الأذهان لا يعني أنه غير موجود. بالعكس إنه موجود بكل معاني العملقة، ولكنه غائب فقط عن البعض. هناك الكثيرون الذين تحدثوا عن دور الأسرة في التربية والتنشئة، ولكن القليلين هم الذين ربطوا هذا الدور بقضية مصيرية متكاملة كقضية تطبيق الشريعة الإسلامية.

إن الأسرة هي البيئة الأولى التي تستقبل الطفل منذ صرخة الميلاد، بل إنها البيئة التي يتجاوز تأثيرها على الطفل إلى ما قبل ميلاده. والأسرة في إطار البيت وما يحيط به أو يرتبط به تحتضن الطفل وتربيه على ما لديها من معتقدات وعادات وتقاليد ولغة وما إلى ذلك. ومن هنا يبدأ الإنسان بتطبيق قواعد السلوك وممارسة قيم الدين منذ نعومة أظافره وتصبح تلك القيم جزءاً من تكوينه الشخصي، وأساس علاقاته مع الآخرين. فالمنطلق الأول الذي يقوم عليه أساس تطبيق أي فكرة حياتية هو البيت وما يحمل من قيم وأعراف ومبادئ تكون أساس السلوك

في التعامل البشري وما المجتمع إلا مجموعة أفراد هم نتاج أسر ذات قيم معينة تنعكس على أفرادها.إن المطالبة باستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية يستوجب مطالبة الفرد بأن يبدأ بإصلاح نفسه وبيته والمحيطين به، لأن إصلاح الفرد هو أساس إصلاح المجتمع، فمن الأفراد يتكون النظام السياسي والتربوي، ومن خلال الأفراد يتم تطبيق وتنفيذ الأحكام الشرعية، فالإنسان الفرد هو الذي يتلقى تلك الأحكام ويتعامل بها وينفذها. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأحكام بما فيها من عقوبات وحدود، فإنه أوضح ما يكون بالنسبة للعقيدة والعبادات، فإذا طبق الفرد الشريعة - بمفهومها الشامل على نفسه وأهله - يكون ذلك هو المدخل الصحيح لصلاح المجتمع، بل والمسوغ المقبول لمطالبة الدولة باستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية، وعلى ضوء مدى التزام الفرد بالشريعة تتحدد اتجاهاته نحوها، شمولاً أو نقصاً، قبولاً أو رفضاً، كما تتحدد الصورة الذهنية عن الشريعة لديه، التزام الفرد بالشريعة يتأثر بالبيئة الأسرية التي نشأ فيها ويتفاعل معها، كما أن الأسرة هي التي تشكل الصورة الذهنية لدى الفرد عن الدين منذ مراحل حياته الأولى، وعلى ذلك فإن الأسرة

تمثل مجالاً أساسياً لتطبيق الشريعة الإسلامية. وهذا ما سوف يتضح من الفصول القادمة.

مصادر ومراجع الفصل الأول

١-جمعية إحياء التراث الإسلامي، تطبيق الشريعة الإسلامية واجب شرعي ومطلب شعبي. (الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، د.ت) ص٣.

٢-المصدر نفسه، ص ٤.

٣-وزارة الأوقاف، نحو استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية سلسلة رسالة المسجد، رقم.٧ (الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦) ص ١٢.

٤-محمد كمال إمام، الخلفية الفكرية والتشريعية والاجتماعية لاستبعاد تطبيق الشريعة الإسلامية. سلسلة المسلم المعاصر، السنة ١٥، العدد ٥٨، ص ٥٨.

٥-صالح بن عبد الله بن حميد، أدب الخلاف (الرياض: المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ص٥٠

٦- جمعية إحياء التراث الإسلامي، مصدر سابق، ص ٨.

٧ -وزارة الأوقاف، مصدر سابق، ص ٦٧-٦٨.

٨-المصدر نفسه، ص ٦٣.

٩-يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. ط.١ (القاهرة: مكتبة وهبة. ١٤١١هـ-١٩٩١م).

١٠-مجلة الحوار، العدد ١٣. السنة ٤. ص ١٣.

الفصل الثاني

الشريعة الإسلامية ودلالتها للأسرة

أولاً مفهوم الشريعة الإسلامية

الشريعة هي الأحكام الشرعية التي وضعت لتكون منهج حياة لمن ينتسبون إلى الدين، في حياتهم الخاصة والعامة وفي علاقاتهم مع ربهم ومع مجتمعهم الذي يعيشون فيه على اختلاف مستوياته وأبعاده (١)، فالشريعة ليست قاصرة على المجالات السياسية والمؤسسات العامة، وإنما تشمل سلوك الناس في حياتهم اليومية سواء ما كان منها متصلاً بالعلاقة بين الفرد وربه أو أسرته أو مجتمعه.

والشريعة الإسلامية في الاصطلاح: ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخره (٢).

إن النظرة إلى الشريعة تنطلق من مصلحة العباد، وليست نظرة تعسفية تأخذ من الشريعة سيفا مسلطاً على رقاب الناس، أو أداة تحجيم لحرياتهم وانطلاقاتهم في الوجود الإنساني، إن تطبيق الشريعة لابد أن يؤدى إلى سعادة الناس والمساواة أمام القانون وتكون دوافعهم

للعمل والمراقبة هي دوافع ربانية في معظم الحياة وما شذ عنها يكون للقانون سلطته ولتطبيقه هيبته.

فالمقصود بالشريعة هنا كما يعكسها الفكر الإسلامي هي مجموعة الأحكام المأخوذة من الكتاب والسنة والاجتهاد. وقد شرع الاجتهاد القائم على أصول الفقه الإسلامي لكي يعطي للأمة الإسلامية المرونة في التعامل مع المستجدات الحياتية التي تطرأ حسب الزمان والمكان، ويمنح المسلمين منطلقات الفكر لمواجهة تقلبات الظروف الاجتماعية والسياسية التي تنشأ من عوامل متعددة.

والشريعة الإسلامية تختلف عن الشرائع الإلهية السابقة، كما تختلف عن القوانين الوضعية. فالشرائع الإلهية السابقة محلية، أي محددة بزمن معين، وبمكان معين، وكذلك القوانين الوضعية. أما الشريعة الإسلامية فهي عامة للناس جميعاً وهي خالدة على الدهر باقية على الزمن. ومن هنا جاءت المرونة في أحكامها، وفتح باب الاجتهاد للقائمين عليها بما يتناسب مع عصرهم ولا يتعارض مع أصولها الثابتة.

ومن أحكام الشريعة ما هو قطعي ويصلح لكل زمان ومكان ولجميع الأقوام مثل أحكام العبادات وأحكام الزواج والطلاق والمواريث وحل البيع وحرمة الربا وكتابة الدين المؤجل والرهن ومشروعية المضاربة والشفعه وشرعية الحدود والقصاص.

ومن أحكامها ما وضعت له القواعد والمبادئ الكلية مع ترك استنباط القواعد الجزئية لمجتهدي الأمة، والخلاف في هذه الأحكام الجزئية لا يضر، بل إن الشارع قد منح المجتهد في هذه المجالات أجرين في حالة الصواب وأجراً في حالة الخطأ، أي أن الشريعة واضحة نحو تشجيع بذل الجهد، بما يؤدى إلى مصالح الأمة ويحفظ لها دينها وأحكامه.

وهذه القواعد هي قواعد كلية فقهية مشتملة على أسرار الشرع بها تضبط الفروع، وتعرف الأحكام مثل: الضرورات تبيح المحظورات، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والمشقة تجلب التيسير، والعادة محكمة، والحكم يتبع المصلحة الراجحة (٣).

وبذلك تكون الشريعة الإسلامية تشمل كل ما شرعه الله عز وجل من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات

وسائر النظم التي تحقق للناس سعادتهم في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد فكل ما في الدين من عقائد وأحكام يسمى شريعة (٤).

ثانياً: مقاصد الشريعة الإسلامية ودلالتها للأسرة

يراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها. وباستقراء نصوص الشريعة الإسلامية، نجد أن مقصدها العام هو حفظ نظام الكون واستقامته وتحقيق مصالح الناس، وإصلاح شؤونهم، وذلك على أساس أن صلاح الكون يتجلى في صلاح الكائنات، وعلى رأسها النوع الإنساني باعتباره الكائن الحي المهيمن، وصلاحه يتمثل في صلاح عقله وبدنه وسلوكه دون عسر أو مشقة. فجاءت الأحكام الربانية التي تعمل وتصب في هذا الاتجاه.

والأحكام قد تكون ضرورية، أو حاجية، أو تحسينية (٥). فالضرورية هي الأمور التي لا بد منها لقيام حياة العباد، بحيث لو اختلت هذه الأمور يختل نظام حياتهم وتعمهم الفوضى، والأمور الضرورية هي الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فعليها يقوم أمر الدين والدنيا، وبالمحافظة عليها تستقيم الحياة وينتظم المجتمع، ويتطلب حفظها قيام التشريع الذي يوجدها أولاً، ثم التشريع الذي يكفل بقاءها وصيانتها حتى لا تضيع أو لا تؤتي ثمارها المرجوة.

وإذا نظرنا إلى الضروريات من منظور الأسرة سنجد أنها تتضمن "النفس" و"النسل". فبدونهما لا يكون المجتمع، أو يصبح ضرباً من الفوضى والبهيمية إذا لم توجد الأحكام والقواعد التي تصون النفس، وتحفظ النسل. وهذه الأحكام إنما توجد ويتم تطبيقها من خلال الدين، وتوظيف العقل والمال في هذا الإطار بما يضمن صلاح البشرية. أما الحاجيات فهي الأمور التي تسهل للناس حياتهم، وترفع الحرج والمشقة عنهم، وهي توجد في العبادات والمعاملات والعقوبات. وعلى مستوى الزواج والأسرة نجد الأحكام الكثيرة التي تندرج تحت هذا المعنى. لقد نادى الإسلام بتيسير الزواج على الراغبين (حتى وإن كان المهر خاتماً من حديد)، وجعل الإنفاق على الأسرة في حدود طاقة الزوج، وأباح الطلاق عند الضرورة.

أما التحسينات، فهي الأمور التي تجعل الحياة جميلة، وإذا فقدت التحسينات لا يختل نظام الحياة، ولا يلحق الناس ضرر أو مشقة، ولكن حياتهم تصير غير طيبة وتنكرها الفطرة السليمة. من أمثلة ذلك في إطار الأسرة، أباح الإسلام أن تتزين الزوجة لزوجها، وأن يتزين الزوج لزوجته، كما أمر الأزواج بالإمساك بالمعروف أو التفريق بإحسان.

ثالثاً: خصائص الشريعة الإسلامية ودلالتها لدور الأسرة في التطبيق

تمتاز الشريعة الإسلامية بمجموعة من الخصائص التي تلائم جميع التنظيمات الاجتماعية في أي مجتمع، وفي أي زمان، بما في ذلك "الأسرة" وهذه الخصائص تضمن كفاءة وفاعلية التنظيم الاجتماعي طالما وضع أحكام الشريعة الإسلامية موضع التطبيق، من منطلق أنها ملزمة من قبل الله عز وجل مستهدفة مصالح الفرد والجماعة وسعادتهم في الدنيا والآخرة. ولخصائص الشريعة الإسلامية انعكاسات مباشرة وغير مباشرة على الأسرة، كما أن لها دلالات هامة لدور الأسرة في تطبيق الشريعة، خاصة عند أولئك الذين يعلمون مقاصد الشريعة، ويطبقونها بلا إفراط ولا تفريط. وتتمثل أهم خصائص الشريعة الإسلامية، ودلالتها للأسرة فيما يلي (٦):

(أ) الربانية

فالشريعة الإسلامية تمتاز عن القوانين الوضعية بما لها من صفة "الربانية" تفرغ على تشريعاتها قدسية لا نظير لها، وتغرس في نفوس اتباعها حبها واحترامها، حباً

واحتراماً نابعين من الإيمان بكمالها وسموها وخلودها لا من رهبة السلطة التنفيذية وأجهزتها، ولا من التأثر بمؤثرات الزمان والمكان والحال أو الوراثة والمزاج والأهواء والعواطف. إن حب الشريعة واحترامها يأتي لأن شارعها هو صاحب الحق والأمر في هذا الكون ورب كل ما فيه، الذي خلق الناس وهو أعلم بما ينفعهم ويرفعهم وما يصلح لهم ويصلحهم، فإذا استشعرت الأسرة الشريعة الإسلامية من هذه الصفة (الربانية) وما يستتبعها فإن أفرادها - أي أفراد الأسرة - ينظرون إلى الشريعة ويتعاملون معها من منطلق أنهم ليس لهم خيار في تطبيقها أو عدم تطبيقها، وإنما هم ملزمون بتطبيقها، ليس فقط لأن هذا التطبيق أمر من الخالق القاهر فوق عباده، وبيده محياهم ومعيشتهم ومماتهم، ولكن أيضاً لأن التطبيق يضمن لهم حياة طيبة في الدنيا والآخرة. إن مصدرها الخالق بما ثبت من أحكامها وليس باجتهادات الفقهاء أو العلماء عبر الزمان والمكان.

فاجتهادات البشر تحكمها عوامل متعددة، قد لا تصيب الحق، ولكن أوامر الله سبحانه وتعالى هي حق كله، ودور الأسرة في مجال التعامل مع أحكام الشريعة يجب أن

تفرق بين كلام الله وحديث رسوله ﷺ وما ثبت عنه من جهة وبين اجتهادات علماء الأمة من جهة ثانية، فالأول له صفة الربانية، والثاني له صفة الصواب الذي يحتمل الخطأ (كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر) كما قال الإمام مالك ﷺ.

فالربانية وإن كانت صفة الشريعة إلا أنها ليست صفة الاجتهادات الفقهية، ويمكن للأسرة أن تميز بين الأحكام الأصلية من جهة، والاجتهادات من جهة ثانية قد يكون ذلك من خلال الكتب الدينية المتخصصة، أو من خلال الاتصال بعلماء الدين أو الجهات الشرعية.

(٢) الأخلاقية

فالشريعة الإسلامية تتميز برعاية الأخلاق في كل مجالاتها وجوانبها (وسوف نوضح في موضع لاحق دلالة ذلك للأسرة)، ولكن في هذه الجزئية سنشير بإيجاز إلى ما تعنيه هذه الصفة (الأخلاقية) التي تتصف بها الشريعة الإسلامية حسبما يقرر ذلك علماء المسلمين (٧):

• إن الشريعة تنظر إلى الإنسان من حيث ما له من حقوق وما عليه من واجبات، فهو مطالب مسؤول لأنه

مخلوق مكلَّف، إنه لم يخلق عبثاً ولم يترك سدى، ومثلما له الحق، فإن عليه واجب، من منظور الأسرة، فإن الزوج له حقوق على الزوجة، والزوجة لها حقوق على الزوج، وهناك حقوق وواجبات متبادلة بين الزوجين والأبناء والأقارب.

• إن الشريعة الإسلامية غايتها استقرار المجتمع، وانتظام علاقاته، وتحقيق المثل العليا في حياة الناس، والسمو بهم إلى أفق الإنسانية الرفيعة، والمحافظة على القيم الروحية والخلقية، إنها تتضمن الاعتبار "القضائي" بجانب الاعتبار "الدياني" الذي يعامل الشخص من داخله لا من خارجه، ويقوده من باطنه لا من ظاهره، ومن ذلك ما فرضته الشريعة من كفارات توكل إلى ضمير الفرد وتقواه بالدرجة الأولى، مثل كفارة الحنث في اليمين، وكفارة الاتصال الجنسي بين الرجل وزوجته في نهار رمضان... مثل هذه الكفارات عقوبة تتضمن معنى العبادة، أو عبادة تتضمن معنى العقوبة، ومسؤولية أدائها مسؤولية أخلاقية، وهذا يعني الكثير بالنسبة للأسرة المسلمة أبسطها وأهمها قيام كل فرد فيها بواجباته تجاه الآخرين، ليس خوفاً من عقوبة قانون وضعي قد يفلت منها، ولكن من منطق المسؤولية التي فرضت عليه من قبل الله عز وجل، والذي يعلم السر وأخفى

ولا يمكن الإفلات من عقوبته، إلا بمغفرته ورحمته. فالعديد من الممارسات داخل الأسرة يوجهها ضمير الإنسان، وكثيراً ما تفوق نطاق القانون الوضعي. بل لا نكون مبالغين إذا قلنا بأن هذا القانون (الوضعي) لا يتعامل إلا مع ما هو ظاهر من قمة صغيرة ظاهرة من جبل الثلج العملاق.

يأتي دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال غرس، وتنمية الرقابة الذاتية للإنسان فهو مسؤول عن أعماله وأقواله بالثواب أو بالعقاب سواء في الدنيا أو في الآخرة. وهذا الإحساس إنما يغرس في الصغر من خلال النماذج الوالدية والأخوة والأخوات.

فلابد أن تكون هناك رقابة داخلية ذاتية لاختيار الألفاظ وتنقية الأعمال في تناسق عجيب بين الظاهر والباطن، فالمسلم يراقب الله محبة ورهبة، ويلتزم بطاعته رغبة ورهبة. إن منطلقات الفرد بالالتزام بالشريعة هي ذاتية وليست بعوامل الخوف من الناس أو من القانون الوضعي، وهنا يأتي دور الأسرة في محاولة غرس هذا الهاجس الداخلي. وإعطاء الفرد أهمية الدين لذاته سواء كان وحيداً أو بين الناس. فالحق أحق أن يتبع دون إكراه من الآخرين،

ولا بد أن يعلم الإنسان أن الجزاء من جنس العمل، وذلك من خلال التربية الأسرية التي تسعى لتطبيق الشريعة الإسلامية.

(٣) الواقعية

فالشريعة الإسلامية تتعامل مع الإنسان كجسد وروح، كماديات ومعنويات، كفرد وجماعة، كحياة وموت، تتعامل معه بفجوره وتقواه، بفقره وغناه، بشقائه وسعادته، بخطئه وصوابه، طمعه وقناعته....الخ، بما يؤكد أن الشريعة وجدت من أجل الإنسان، ووجد من أجلها الإنسان، فالشريعة لم تسبح في الخيال، ولم تخلق في أجواء المثالية، ولم تتعامل مع واقع مفترض، وإنما مع واقع موجود بالفعل، مع فتح باب السمو على مصراعيه، وبيان الطريق إليه. الشريعة الإسلامية راعت حاجات الجسد عندما أمرت الإنسان بأن يأكل حلالاً طيباً، وأن يتزوج، وأقرت حق التملك، وأباحت الترويح عن النفس، وغير ذلك من الأمور التي هي جزء من فطرة الإنسان، والتي أقرتها الشريعة الإسلامية وأحاطتها بالقواعد التي تضمن عدم انحرافها عن جادة الصواب، والشريعة الإسلامية تنادي بالوازع الديني وتلح

عليه ليستقيم أمر الإنسان، ولكنها في الوقت نفسه فرضت عقوبات زاجرة لأن بعض بني الإنسان لن يجدي معهم غير ذلك في الواقع. والشريعة الإسلامية هي شريعة السلام، ولكنها أباحت الحرب والدفاع عن النفس ورد العدوان استجابة لواقع الصراع بين الخير والشر، بين الحق والباطل باعتبار أن ذلك من سنة الحياة... هذه الأمثلة وغيرها توضح واقعية الشريعة الإسلامية في تعاملها مع الإنسان، ومن هذه الواقعية جاءت أحكام الزواج والطلاق، وحقوق وواجبات الزوجين والأبناء، كما جاءت منها أحكام النفقة والميراث والمسؤولية الوالدية.

وهذه الواقعية في الشريعة الإسلامية لا بد أن تمارس من خلال الأسرة، ويتعلم الأبناء أن الدين يسر وليس عسراً، وأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، لأن ذلك يتجاوب مع واقع الإنسان.

إن الأسرة لا بد أن تتعامل مع أحكام الشريعة بكل أحوالها سواء في أوقات انسجامها أو خلافاتها. والتعامل بتلك الأحكام يعطي دلالات واضحة على واقعية تطبيق الشريعة في جميع الأحوال فقد جاءت الشريعة للتعامل

مع حياة البشرية، وحياتهم ذات أحوال متقلبة، وليست على وتيرة واحدة، فجاءت أحكام الشريعة الإسلامية شاملة لتلك الأحوال، فلكل سؤال جواب، فإن لم يكن هناك جواب نجد المسألة تبيح الاجتهاد لمواجهة المستجدات من الحياة.

إن التعامل بأحكام الشريعة داخل محيط الأسرة هي اللبنة الأولى التي تعطي للشريعة صلاحيتها عند الناس، وإمكانية تطبيقها في مجتمعاتهم، خاصة إن كانت تلك الأحكام أدوات لحل مشكلات الواقع التي تواجه الأسرة، إن مهمة استكمال تطبيق الشريعة تبدأ من الأسرة، تفعيلاً لأحكامها وتطبيقاً لتعليماتها في واقع الأسرة، وممارسة لأوامرها، وقبولاً بنتائجها، ليعرف الناس إمكانية تطبيق أحكام الشريعة في مجالات الحياة الواسعة.

(٤) الإنسانية

فالشريعة الإسلامية ذات مغزى إنساني عميق ومعان إنسانية سامية، فهي كرّمت الإنسان، وراعت كرامة الفرد منذ ما قبل ولادته وإلى ما بعد وفاته، ويتجسد ذلك فيما أوجبته الشريعة الإسلامية من أحكام الاختيار الزواجي،

وآداب المعاشرة الجنسية، والعناية بالتربية، وتوجيه الفرد إلى ما يسمو به طوال حياته، أما عند الممات فقد أمرت الشريعة بالصلاة على الميت، وإكرامه بالدفن، وذكر محاسن الموتى، وأوجبت على الدولة والمجتمع والأقارب رعاية أبناء الميت الصغار، والحفاظ على حقوقهم...الخ. ومن مظاهر إنسانية الشريعة الإسلامية أيضا عنايتها بجسم الإنسان.

حيث أوجبت عدم إرهاقه (ولو بالعبادة)، وأمرت بالتداوي عند المرض، كما أمرت بالنظافة والعناية بالمأكل الحلال الطيب دون إسراف، وهذبت الغرائز الحيوانية في الإنسان بما يليق بكرامته وإنسانيته مثل غريزة التملك، والغريزة الجنسية، كما جاءت الشريعة الإسلامية بما يثري عقل الإنسان ويدعوه إلى التأمل والتفكير وطلب العلم، وعنيت بتنظيم العلاقة بين الناس بحيث تقوم على الرحمة والشفقة والتسامح وحفظ الحقوق والالتزام بالواجبات، ودرء المفاسد، ومعاونة المحتاج، وإعانة الفقراء والمساكين والغارمين، وأمرت بالعدل والإحسان وصلة الرحم وإيتاء ذي القربى، وألغت التمييز بين الناس وأكدت الأخوة بينهم. فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح...

هذه المعاني وغيرها تجسد إنسانية الشريعة الإسلامية على المستوى المحسوس والمعنوي في شخصية الإنسان، وهذه المعاني إذا اختلت في أي تجمع إنساني - سواء الأسرة أو غيرها - تصبح حياة هذا التجمع أقرب إلى الحيوانية منها إلى الإنسانية.

ونحن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى أن نعيش بأخوة الإسلام، تلك الأخوة التي ترسي الحقوق والواجبات، فالإسلام دين أخوّة، وبهذه الأخوّة عاش المهاجرون والأنصار عيشة واحدة، وآخى الرسول بينهم واقتسموا معهم قسمة عادلة، أي أن الإسلام جاء عامل أخوَّة بعد عداء، ووحدة بعد فرقة وجمع بعد شتات، وتآلف بعد تنافر، فعاش المسلمون عباد الله إخواناً.

إن مهمة الأسرة في تكريم الإنسان مهمة جسيمة، فالإنسان مكرّم بغض النظر عن جنسه أو دينه أو لونه، ولهذا فلابد من غرس احترام الإنسان، والتعامل معه على أساس الحقوق والواجبات وإن احتقار الإنسان ليس من الدين في شيء، ويأتي دور الأسرة من حيث الممارسة في تدعيم هذه القيمة الإسلامية. فالإنسان مكرّم بذاته (لأنه

إنسان)، وهذا يعني أن يجسد أفراد الأسرة هذه القيمة في علاقاتهم وممارساتهم داخل المنزل وخارجه.

إن احترام الإنسان وتقديره يترتب عليه مثلاً تغذية روح الألفة والأخوة بين الموجودين في البلد الواحد وإن كانوا على غير دين الإسلام، فقد أعطاهم الله حق الاختيار (فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ) وهناك القانون الذي ينظم هذه العملية والالتزام بأحكام القانون واجب على الجميع، لكن الأهم من ذلك أن تغرس الأسر في أفرادها قيمة احترام الإنسان. إن استكمال تطبيق أحكام الشريعة في المجتمع الكويتي يتطلب سد تلك الثغرات التي تعمل على تنمية روح التنابذ أو التمييز أو الكراهية لشريحة اجتماعية دون الأخرى. فتطبيق الشريعة يلزم احترام الإنسان وتقديره.

(٥) التناسق

جاءت أحكام الشريعة الإسلامية متناسقة غير متضاربة، وإنما تتكامل وتتناسق بما يحقق التوازن في حياة الأفراد والجماعات. والواقع أن هذه الخاصية ليست قاصرة على حياة الإنسان وإنما هي شاملة للكون العريض، فكل فلك يقع بين الشد والجذب لمجموعة من الأفلاك الأخرى، وهو

لا يأخذ مساره المنتظم المتوازن إلا بوجوده بين هذه الأفلاك وتعرضه لشدها وجذبها جميعاً: قوة تجذب عن يمين، وأخرى تجذب عن شمال، ثم ينتظم الكوكب في مداره المرسوم، ولو اختل أو بطل الشد والجذب لاختل مدار الكوكب، وقد يهوي في الفضاء إلى حيث لا يعلم أحد ولا يستطيع أن يتصور أحد(٨). إن خاصية التناسق، بما يصحبها من تكامل وينتج عنها من توازن هي المدخل الصحيح لفهم خاصية الصراع بين المتناقضات في الحياة. لقد أعطى الله بني الإنسان أجساماً تشتهي، وعقولاً تفكر، وأرواحاً تحلق ساعية إلى النور، مع إمكانية التوفيق بين هذه الجوانب الثلاثة، ولن يقوم هذا التوفيق إلا بشيء من الصراع، شيء من التدافع حتى لنستطيع القول: إنه لولا دفع هذه القوى بعضها ببعض لفسدت النفس (٩). فإذا التزم الإنسان بأحكام الشريعة، كان التناسق في أدائه، وبالتالي يحدث التوازن بين الجسد والعقل والروح، وعلى مستوى الأسرة نجد هذه الأحكام تعمل بتناسق في الأداء مما ينتج عنه التوازن في الوجود الأسري.

من ذلك على سبيل المثال ما أقرته الشريعة الإسلامية بشأن الميراث، حيث تحصل الأنثى على ما يساوي نصف ما

يحصل عليه الذكر، ففي مقابل ذلك نجد أن الذكر يقع على عاتقه دفع المهر وتحمل نفقات تأثيث منزل الزوجية، والإنفاق على الزوجة والأبناء في حين أن الأنثى - كزوجة ليست مطالبة بشيء من ذلك، فكأن حصول الذكر من الميراث على ضعف ما تحصل عليه الأنثى، يقابله، تحمل الذكر لأعباء مالية لا تتحملها الأنثى، هنا نجد التناسق في التشريعات الإسلامية بين قانون الميراث، والنفقات والصداق بحيث تخدم مبدأ العدل المطلق الذي قام عليه الإسلام، وعلى مستوى الأسرة أيضاً نجد نفس الفكرة فيما أقره الإسلام من حقوق وواجبات متبادلة للزوج والزوجة والأبناء على النحو الذي سنوضحه في موضع لاحق من هذا الكتاب، بما يؤكد خاصية التناسق والتكامل في أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بالأسرة.

إن استكمال تطبيق الشريعة في الأسرة يتطلب النظرة إلى تلك الأحكام بكليتها وليست مجزأة، فهي كل متكامل يفسر بعضه بعضاً، والتناسق بين الأحكام خاصية أساسية، فالحث على الزواج جاء بمقابل تحريم الزنا، وطاعة الزوجة لزوجها جاءت في مقابل رعاية وحماية الزوج لزوجته في عمليات تكامل بين الطرفين.

(٦) الشمول

فالشريعة الإسلامية تشمل كل جوانب الحياة التي تؤثر في حياة الأسرة أو تنعكس عليها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، أياً كان الزمان والمكان، إنها تشمل الجانب المادي والروحي، والعقلي، والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والعسكري، على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع. إن الشريعة الإسلامية تشمل الجانب التعبدي الذي ينظم علاقة الإنسان بربه، وهذا يتضح في فقه العبادات كالطهارة والصلاة والصيام والحج والأضاحي والنذور والأيمان والذبائح ونحوها مما لا تعرفه القوانين الوضعية. كما تشمل الجانب الأسري من الزواج وتوابعه، والطلاق وآثاره والحضانة والنفقات والوصايا والميراث وغير ذلك مما يتصل بتكوين الأسرة المسلمة ثم المحافظة عليها من أسباب الشتات والانهيار، وإعطاء كل ذي حق حقه عند الفراق بالطلاق أو التطليق أو الوفاة (فالشريعة الإسلامية تشمل ما يعرف الآن بقانون الأحوال الشخصية) كما تشمل الشريعة الإسلامية ما يسمى الآن بالقانون المدني والقانون الجنائي، وقانون المرافعات، والقانون الدستوري، ففيما يخص القانون المدني، نجد أن الشريعة الإسلامية

تضمنت جانب المعاملات والمبادلات المالية من البيع بأنواعه، والأجازة، والشركة والمضاربة والمزارعة والرهن والكفالة والحوالة والوديعة والعارية، والهبة واللقطة والمداينة والوفاء بالالتزام وغير ذلك من أنواع العقود والتصرفات التي تعمل على تنظيم العلاقات المالية بين الأفراد وحفظ الحقوق وبيان الشروط الواجبة، وما يحرم عمله من الصور والتصرفات. وفيما يخص ما يعرف الآن بالقانون الجنائي، نجد أنه متضمن في الشريعة الإسلامية حيث توضح العقوبات من قصاص وحدود وتعزير.

ويدخل قانون المرافعات ضمن ما أقرته الشريعة الإسلامية مما يتعلق بالقضاء والدعوى والشهادة والإقرار واليمين ونحو ذلك مما قصد به تنظيم الإجراءات لرفع النزاع وتحقيق العدل بين الناس، والشريعة الإسلامية كذلك تشمل ما يعرف حالياً بالقانون الدستوري، فهي تتضمن ما يتعلق بنظام الحكم وأصوله مثل: وجوب تنصيب الإمام وشروطه، وكيفية اختياره وعزله، وحقوقه وواجباته، وعلاقته بالأمة وأهل الحل والعقد وحكم طاعته وحدودها، وكيف يعامل من شق عليه عصا الطاعة... إلى غير ذلك مما يقصد به تحديد علاقة الحاكم بالمحكومين وتقرير ما للأفراد و الجماعات

من حقوق. ومن مظاهر شمول الشريعة الإسلامية كذلك ما تضمنته من تنظيم فعال للجانب الاقتصادي فيما يتعلق بإنتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها وتنظيم بيت المال (الخزينة الإسلامية) وبيان موارده ومصارفه من الزكاة والفيء والغنيمة والخراج ونحوها، وبيان حق الفئات الضعيفة في موارد الدولة وأموال الأغنياء، وكذلك بيان ما حرم الله في مجال الاقتصاد: الربا والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل. ويرى الدكتور/ يوسف القرضاوي أن الزكاة جزء مهم من التشريع المالي والاجتماعي في الإسلام بجانب كونها إحدى شعائره وعباداته الأساسية. وفوق ذلك فإن الشريعة الإسلامية تشمل جانب العلاقات الدولية من خلال ما أقرته من أحكام تنظم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول، وكذلك تنظيم علاقة المجتمع والدولة بغير المسلمين الموجودين في الدولة الإسلامية.

لقد أنزلت الشريعة الإسلامية من عند الله عز وجل لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها وجميع مكوناتها وسائر جوانبها، فالشريعة لا تضيق بحياة الإنسان، ولا تضيق بها حياة الإنسان (١٠). وحسبنا أن الذي شرعها أراد لها أن تكون كذلك، ومتى أراد الله شيئاً فلا راد لحكمه. لقد

شاء الله أن تكون هذه الشريعة كاملة: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا" (المائدة: ٣)، ووفقاً لخاصية الشمول في الشريعة الإسلامية تكون هذه الشريعة شاملة لكافة حياة الأسرة، وبالتالي فإن أفراد الأسرة مطالبون بتطبيق ما جاءت به الشريعة في كافة جوانب حياتهم.

رابعاً: الأسرة في دائرة اهتمام الدين الإسلامي

(أ) أهمية الدين في حياة الأسرة

إذا كانت الشريعة الإسلامية قد شملت الحياة الأسرية بكافة جوانبها. فإنها في ذلك تلبى حاجات الأسرة كتنظيم اجتماعي يسعى ليحيا حياة طيبة مادياً ونفسياً. وإذا كانت الشريعة تتطلب أن يلتزم بها أفراد الأسرة. فإن الأسرة لا تستقيم أمورها بغير الدين وقد تنبهت المجتمعات الحديثة إلى العوامل التي تزيد من قوة وكفاءة الأسرة. ويأتي الدين في مقدمة هذه العوامل. ذلك أن الدين مكون يتفاعل تفاعلاً ديناميكياً مع أنماط الثقافة بما يترك بصماته على الأفراد والجماعات والمجتمع ككل بصرف النظر عن موقع الدين على الخريطة الرسمية للسلطة. ولعلنا نلاحظ الموجة الحالية من الدراسات النفسية والاجتماعية في المجتمع الأوربي والمجتمع الأمريكي في محاولة الفهم الأفضل لدور الدين وتأثيره في حياة الأسرة. ففي دراسة ضخمة قام بها واحد وعشرون عالم اجتماع في الدول الغربية مثلاً. كان التركيز على توضيح العلاقات المعقدة التي ظهرت بين الدين والأسرة. وأوضح هؤلاء العلماء أن توسيع نطاق المعرفة حول التأثير المتبادل بين الأسرة والأديان

سوف يلقي الضوء على العمليات التي مازالت غامضة عن الفهم على مستوى التغير الاجتماعي، وكذلك على التساؤلات الحاسمة حول تأثير الأسرة والكنيسة على مسائل أساسية مثل الزواج والطلاق والإجهاض والتحكم في النسل والأطفال ودور الجنس، وأنماط السلطة داخل الأسرة ونظم المعتقدات. ولعل من أهم أجزاء المؤلف المذكور ما يتعلق بالأبعاد النفسية والاجتماعية للدين، تأثير الدين في حياة الشعوب، كيفية ربط الأسرة والمؤسسات الدينية بالوجود الجيد للإنسان، وكيف يختلف الناس أو يتشابهون وفق متغير سيطرة الدين على حياتهم.

ويذهب ثورنتون (Thoronton) أحد العلماء الذين شاركوا في الدراسة المذكورة إلى أن المؤسسات الدينية والقيم ذات تأثير واضح على حياة الأسرة وعلى بنائها والعلاقات الداخلية فيها، كما أن التغيرات في حياة الأسرة أثرت هي الأخرى على مبادئ وبرامج التعليم الديني التي تتبناها المؤسسات الدينية في المجتمع الغربي، كما أن استجابة هذه المؤسسات للتغيرات التي طرأت على الأسرة كان لها تأثير على حياة الأفراد والأسر (١١) وظهرت أيضا بعض الدراسات في المجتمع الأمريكي، التي تؤكد

على أنه من الإساءة للدين اعتباره مجرد عبادات فقط. مبرزة خطورة ذلك على الأسرة الأمريكية سواء من قبل المؤسسات الدينية أو من قبل رجال الدين أنفسهم (١٢) غير أن الأهم من ذلك كله. تعاظم قوة الاتجاه الذي يقرر - بالقول والفعل - أهمية الجانب الديني في العلاج والإرشاد النفسي للأسرة بإنقاذها من الأزمات والضغوط المختلفة. ولعل من أحدث الدراسات المعبرة عن هذه الفكرة دراسة (Vande، ١٩٩١) والتي يركز فيها على أهمية التكامل بين علم النفس والدين في غمار التعامل مع المشكلات والأزمات الأسرية (١٣).

وقد تناولت دراسة (Stander، ١٩٩٤) هذه الفكرة بصورة أكثر تفصيلاً. حيث تناقش مسألة التداخل بين العلاج النفسي والدين، وكيف أن بعض المعالجين النفسيين تكون ممارساتهم ضمن هذه المنطقة (المشتركة) بين الجانبين، حيث تتضمن هذه المنطقة الثقافة كإطار عمل للمسائل الدينية والأخلاقيات. ثم كيفية الربط بينها وبين برامج الطب النفسي (١٤). أما (Burton، ١٩٩٢) فيرى أن الخبرة العملية قد أثبتت ضرورة إدماج المسائل الدينية في العلاج النفسي الأسري إذا ما أردنا الإسراع في نجاح هذا

العلاج، لأن السياق الديني يساعد الاختصاصي على فهم مشاكل الأسرة بما يؤدي إلى كفاءة التشخيص والعلاج (١٥). ويتضح من ذلك كله، أن المجتمعات الغربية التي يسود فيها الإلحاد وحصر الدين في أضيق الحدود ظهرت فيها اتجاهات قوية تناقض هذا التوجه، وتحاول أن يكون للدين دور مؤثر في حياة الأسرة، بعد أن أدركت هذه المجتمعات خطورة تقليص الجانب الديني في حياة المجتمع، ولعل من أهم مظاهر هذه الخطورة ضعف الكيان الأسري وما يترتب على ذلك من تآكل وتدهور اللبنة الأولى للمجتمع وبالتالي تتدعم احتمالات انهيار المجتمع ككل.

وإذا كانت المجتمعات غير الإسلامية تظهر فيها حالياً قوة التوجهات التي تدعم دور الدين في حياة الأسرة، فإن المجتمعات الإسلامية هي الأجدر بأن تتبنى هذه التوجهات، التي كان من الضروري عدم التفريط فيها أصلاً. أما وقد حدث ذلك بفعل عوامل متعددة داخلية وخارجية على مدار حين طويل من الدهر، فإنه قد آن الأوان لتدارك هذا الخطأ.

(ب) خصائص اهتمام الشريعة الإسلامية بالأسرة

ينظر الإسلام إلى الأسرة نظرة دقيقة فاحصة شاملة، تتناولها في طريق وجودها وتؤصل العلاقة بين أطرافها، وتتبنى الرعاية الكاملة لثمراتها وتنظم لها الحياة الهانئة المستقرة وذلك على أساس أن الأسرة هي دعامة المجتمع الإسلامي لأنها الحلقة الأولى من حلقات بنائه، ولا يوجد التلاحم والتشابك بين أفراد المجتمع إلا إذا تلاحمت حلقاته على أسس صحيحة كي تسير حياة هذا المجتمع في مسارها الصحيح الذي يضمن لها الأمن والاستقرار والازدهار الاقتصادي والاجتماعي بكافة جوانبه.

ولكي تحقق الأسرة هدفها في أن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض، فقد تضمن الإسلام دستوراً متكاملاً للأسرة باعتبارها جانباً من التنظيم للقاعدة الركنية التي تقوم عليه الجماعة المسلمة، ويقوم عليها المجتمع الإسلامي، هذه القاعدة التي أحاطها الإسلام برعاية ملحوظة واستغرق تنظيمها وحمايتها وتطهيرها من فوضى الجاهلية جهداً كبيراً تجده في مواضع شتى بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة متضمناً كل المقومات اللازمة لإقامة هذه القاعدة الأساسية على أساس متين.

والنظام الاجتماعي الإسلامي نظام أسرة نلاحظ فيه كل خصائص الفطرة الإنسانية وحاجاتها ومقوماتها وينبثق هذا النظام من معين الفطرة وأصل الخلقه وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعاً وللمخلوقات كافة، ثم تتدرج النظرة الإسلامية للإنسان فتذكر النفس الأولى التي كان منها الزوجان ثم الذرية ثم البشرية جميعاً. وتكشف هذه النظرة عن جاذبية الفطرة بين الجنسين لا لتجمع بين مطلق الذكران ومطلق الإناث.

ولكن لتتجه إلى إقامة الأسر والبيوت. فهي الفطرة تعمل، وهي الأسرة تلبي هذه الفطرة العميقة في أصل الكون وفي بنية الإنسان.

ومن ثم كان نظام الأسرة في الإسلام هو النظام الطبيعي الفطري المنبثق من أصل التكوين الإنساني، بل من أصل تكوين الأشياء كلها في الكون على طريقة الإسلام في ربط النظام الذي يقيمه للإنسان بالنظام الذي أقامه الله للكون كله، ومن بينه هذا الإنسان(١٦)، كما حث الإسلام على بناء الأسرة ودعا الناس إلى أن يعيشوا في ظلالها لأنها الصورة المثلى للحياة المطمئنة

التي تلبي رغائب الإنسان وتفي بحاجات وجوده، كما أنها الوضع الفطري الذي ارتضاه لحياة البشر منذ فجر الخليقة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد:٣٨). ففي فطرة الإنسان حاجة إلى الأسرة بجوها النفسي والاجتماعي الخاص.

ومن طبيعة الحياة أنها لا تواجه بالجهد المفرد الضئيل، فحياة الإنسان فرداً في هجير الحياة يواجه وحده أعباءها أمر عادة فوق الطاقة، إنها تحتاج إلى تناصر القوى وتبادل المشاعر والتعاون على حمل الأعباء ومواجهة المصاعب، وهذا يتحقق من خلال أشكال التنظيمات الاجتماعية المختلفة، والأسرة أحد هذه الأشكال.

واستجابة للفطرة يحث الإسلام على الزواج، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١٧). ويذهب الإسلام إلى أن يأمر بتزويج العبيد والإماء، بمعنى أن من كان له إماء أو عبيد فرض عليه تزويجهم والإنفاق عليهم إذا احتاجوا لذلك قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

(النور: ٣٢). ويحذر الإسلام من محاولة التملص من رباط الأسرة واستمراء الحياة بدون زواج. عن أبي هريرة ﷺ قال: «لعن رسول الله ﷺ مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال، والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج، والمتبتلات من النساء اللاتي يقلن ذلك» (١٨). وقد رفض الرسول ﷺ إقرار من عزم على الانقطاع للعبادة وترك التزوج «من أحب فطرتي فليستن بسنتي، وإن من سنتي النكاح» (١٩). لقد بين النبي الكريم أن النكاح والأسرة من سنته. «فمن رغب عن سنتي فليس مني» (٢٠). في الوقت نفسه يرغب الإسلام في الأسرة ويدعو إلى تكوينها ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾. كما هوّن الأمر على من قدر عليهم الرزق وكفل لهم التوسعة والغنى ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور:٣٢).

ويوجه الإسلام إلى البحث عن الحياة الطبيعية في رحاب الأسرة من واقع حياة الأنبياء الذين هم أصحاب السلوك الأمثل ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨). ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٤٠). وهؤلاء المؤمنون يعلمهم ربهم أن يتوجهوا إليه بالدعاء الضارع أن يهب

لهم طمأنينة الحياة الأسرية ويذيقهم سعادتها (٢١) ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ (الفرقان:٧٤). وينظر الإسلام إلى الأسرة باعتبارها مجالاً تتهيأ فيه أسباب الطمأنينة. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١). ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (النحل:٧٢).

فالمشاعر والعواطف التي تنمو وتتبادل في جو الأسرة غذاء لا تستغني عنه النفس ولا يكفيها سواه، وبموجب هذا الغذاء تصبح الأسرة في وقاية من التعاسة والوحدة. والأسرة يحتاجها الإنسان في كافة مراحل نموه، فالطفل لا بد له أن ينشأ في أسرة متحابة متماسكة حتى لا يصاب بالاضطراب في الشخصية، وحاجته إلى أمه وأبيه حاجة أصيلة لا يشبعها أي تنظيم اجتماعي آخر.

والإنسان يحتاج إلى الأسرة مراهقا وشاباً ورجلاً وكهلاً لأن فيها الحماية والرعاية الاجتماعية والنفسية، وبفضلها يتكون لدى الفرد الروح العائلي والعواطف الأسرية

والتنشئة الأولى للحياة الاجتماعية المنتظمة، وعلى الأسرة يقع العبء الأكبر في التربية الخُلقية والوجدانية والدينية. إنها العامل الوحيد للتربية في السنوات الأولى من الحياة، ويتوقف على نتيجة دورها في ذلك نتائج دور المؤسسات التي تشارك في التربية فيما بعد.

مراجع ومصادر الفصل الثاني

١-وزارة الأوقاف. نحو استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية سلسلة رسالة المسجد. رقم.٧ (الكويت: الأمانة العامة للأوقاف. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦) ص ١٥.

٢-مناع خليل القطان، وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية. سلسلة نحو النور، رقم ١٤. (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية. ١٤٠٧ هـ. ١٩٨٧م) ص ٩.

٣-السيد سابق، خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاتها. ط.١ (القاهرة: الفتح للإعلام العربي، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨١ م) ص٤٠.

٤-اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. الشريعة الإسلامية بين النظرية والتطبيق. (الكويت: الديوان الأميري) ص ١٦.

٥-عمر الجيدي، التشريع الإسلامي: أصوله ومقاصده. ط١ (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة. ١٩٨٧) ص ٢٥٢ -٢٥٥.

٦-أوضح العلماء المسلمون خصائص الشريعة الإسلامية باستفاضة، راجع في ذلك:-

يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. ط.١ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩١) ص ٨٧ - ١٤٥.

٧-المرجع نفسه.

٨-محمد قطب، في النفس والمجتمع. ط ١٠ (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣) ص٤٦٠.

٩-المرجع نفسه، ص ٤٨.

١٠-جمعية إحياء التراث الإسلامي، ص ٣٠.

11-Arland, Thoroton, Reciprocal influences of family and Religion in a chang ing world. in: Darwin L.thomas (ed) the religion and family connection: social science perspectives. Brigham young university religious studies Center. ptovo. Mt. 1988. pp 27 - 50.

12-Mildred Pagelow, & pamela Johnson,

Abuse in the American family in: Annel. Horton & Judith A. Williamson (eds) Abuse and religion: when praying isn.t enough. lexington books. D.C. Heath & company. 1988. pp 1 - 12.

13-hendrika Kemp Vande - (ed) Family therapy: christian perspectives. (Grand rapids: Backer book house. 1991)

14-Valerie Stander. (et al) spirituality. religion and family therapy: Competing or Complementary worlds? American Journal of family therapy. V.O.L. 22 (1) 1994. pp 27 - 41.

15-Arthur laurel Burton (ed.) Religion and the family: when God helps (New york: Haworth press inc. 1992).

١٦-عكاشة عبد المنان الطيبي. المرأة في ظلال القرآن (القاهرة: دار الفضيلة. ١٩٩٢) ص١١-١٢.

١٧-رواه البخاري.

١٨-رواه الحافظ ابن الجوزي.

١٩-أبو يعلى في مسنده بسند صحيح.

٢٠-رواه البخاري.

٢١-مصطفى عبد الواحد، الإسلام والأسرة، ط ٣ (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٠) ص٢٣٠.

الفصل الثالث

الأسرة: سياق اجتماعي فاعل في التأثير على الشخصية

أولاً: مفهوم الأسرة ووظائفها

يصدق معنى الأسرة في اللغة على الدرع الحصينة، وعلى أهل الرجل وعشيرته وعلى الجماعة التي تربطها أمور مشتركة، وهذه المعاني تلتقي في معنى واحد يجمعها وهو قوة الارتباط. وإذا كانت الأسرة بمعنى الأهل والعشيرة هي المجتمع في صورته الصغرى، إلا أن المعنى الحالي للأسرة ينصب على الزوج والزوجة والأبناء المباشرين غير المتزوجين، وحسب مفهوم الدراسات الاجتماعية فإن الأسرة بهذا المعنى تكون أكثر تماسكاً بسبب صغر الحجم، كما أن العلاقات الداخلية بين أفرادها تقوم على المحبة والتفاهم (١).

وتعتبر الأسرة من أهم مكونات السياق الاجتماعي والنفسي للتأثير على الشخصية حيث تمارس نفوذاً كبيراً على أفرادها لأنها أول بيئة اجتماعية تتلقى الفرد وتوفر له الرعاية والغذاء وسائر متطلبات التنشئة الاجتماعية، إنه أي الفرد - يتشرب قواعد تنظيمية ويخضع لسنن وعادات وأعراف وتقاليد، ويتفاعل تفاعلاً مباشراً مع بقية أفراد الأسرة - كل ذلك أعطى الأسرة أسبقية، بل وأحقية في ولاء الأفراد لها، والتعاطف بين هؤلاء الأفراد وضرورة

التمسك بها كنظام اجتماعي لا غنى عنه للفرد أو الجماعة أو المجتمع. وتمارس الأسرة ضبطاً اجتماعياً ذا أهمية على أفرادها، وذلك من خلال التنشئة الاجتماعية، والتي بموجبها – وبالتفاعل مع الوراثة والبيئة – تتحدد السمات الشخصية لهؤلاء الأفراد.

وقد أصبحت الأسرة بمثابة الوسط الذي تعارف عليه المجتمع لإشباع غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية وبواعثه الاجتماعية ويندرج تحت ذلك: حب الحياة وبقاء النوع، وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعي وإشباع الغريزة الجنسية وتحقيق العواطف والانفعالات الاجتماعية مثل عواطف الأبوة والأمومة والغيرية وما إلى ذلك (٢) فالأسرة إذن ترتبط بغرائز فطرية، وهي أصل راسخ من أصول حياة البشر ولذلك نجد الأسرة ظاهرة عامة في كل المجتمعات، ومهما اختلفت ضوابطها وقيودها من مجتمع إلى آخر.

فلن تختلف النظرة إليها كضرورة لا يستغني عنها البشر، إنها ترتبط بذلك الشعور الحميم الذي إذا افتقده الإنسان يعاني النقص الاجتماعي في طبيعته "كإنسان". ويعاني النقص البيولوجي الذي يؤثر في الغريزة

والعقل وكافة جوانب الشخصية، ولعل هذه الفكرة توضحها وظائف الأسرة ومهامها على المستوى الفردي والاجتماعي(٣). فمن خلال الأسرة يتم تنظيم السلوك الجنسي والإنجاب بما يضمن حفظ النوع الإنساني على مر العصور والأجيال، وذلك بطريقة طبيعية أو غريزية بموجب ضوابط استوحاها الإنسان بصفته كائناً عاقلاً مفكراً سواء كانت هذه الضوابط مستمدة من الأديان أو العرف أو القانون الوضعي.

وللأسرة وظيفة أخلاقية يتم تحديدها من خلال التعيين الاجتماعي لآداب السلوك والمعاملات التلقائية لأي عضو من أفراد الأسرة من حيث التلقين والإجبارية في التطبيق محافظة على السلوك العام لمجتمع الانتماء، ويمكن أن تدخل ضمن هذه المعاملات المستويات المتقابلة في الأبعاد الأخلاقية كالخير والشر والفضيلة والرذيلة والجمال والقبح وما إلى ذلك من التجريدات نسبية التطبيق بين المجتمعات المختلفة. الوظيفة الثالثة للأسرة هي وظيفة سيكلوجية تتمثل في توفير الاستقرار والأمن والحماية لكافة أعضائها بغية أن تكون هناك اتجاهات ودوافع مرتبطة بها نابعة من استجابات إيجابية للأبعاد التي تحكم الجماعة والمجتمع في آن واحد.

والاتجاهات هنا ترتبط بما ينحو إليه الفرد داخل الجماعة الاجتماعية، وهي تحدد سلوكه العام انطلاقاً من الاستجابات الفردية لما يتطلبه المجتمع وتعبر عنه الجماعة، وقد تكون للفرد في هذا المجال دوافع من نوع أو آخر تبعده عن أو تقربه من الشذوذ عن الأسوياء. الوظيفة الرابعة للأسرة هي وظيفة تربوية تقوم بها الأسرة على مر السنين والأجيال (وهناك من يعبر عن هذه الوظيفة بالتنشئة الاجتماعية) والتي بموجبها يتم تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، فالأسرة تلقن الطفل اللغة والعادات والتقاليد والدين وقواعد العرف والأيديولوجيات بما لا يخالف الأهداف العامة للمجتمع. الوظيفة الخامسة للأسرة هي بث قيم التوحد العائلي بين أفرادها وذلك من خلال الروح العائلي والعواطف الأسرية بما يضمن وحدة الأسرة وتماسكها. وكل ذلك من خلال تكوين الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية والواجبات التي تفرضها الجماعة والآراء الاجتماعية التي يتعارف عليها المجتمع. أخيراً فإن الأسرة تمنح المكانة والدور لكل فرد من أفرادها بما يهيئهم للانخراط في سلك المجتمع والمساهمة في نشاطاته المختلفة، أو بقول آخر إدماجهم ومساعدتهم

على التفاعل مع الآخرين انطلاقاً من مراكز معينة، فمن البديهي مثلاً أن لكل دور ومكانة واجبات والتزامات محددة بدقة في الفعل الاجتماعي داخل البناءات الاجتماعية، والأسرة هي الأساس في تحديد أبعاد هذا الفعل من خلال الاستدماج المشار إليه، كما تقوم الأسرة بإنماء روح المشاركة الاجتماعية من خلال المحافظة على أعضاء المجتمع وإعدادهم للعمل والتفاعل الاجتماعي والتأكيد على الشعور بالانتماء وتوفير الاستجابات المتبادلة الضرورية وبالصورة الصحيحة.

كما تعتبر الأسرة أهم أدوات الضبط الاجتماعي بهدف تحقيق التجانس المطلوب في المجتمع، وهي تبعاً لذلك تضع المعايير الضابطة ثقافياً لأي انحلال أو حياد ولو بمؤشر بسيط عن أبعاد التجانس، وتعتبر وظيفة الضبط الاجتماعي من أهم وظائف الأسرة باعتباره وسائل اجتماعية وثقافية لتنظيم وضبط سلوك الأفراد ودفعهم إلى الامتثال للتقاليد وأنماط السلوك ذات الدلالة الوظيفية للجماعة والمجتمع، والذي من خلاله تتم عملية ضبط المجتمع نفسه بنفسه(٤).

ثانياً: قوة الرابطة الأسرية

إذا لاحظنا كافة الأسس التي يقوم عليها الترابط بوجه عام، سنجد أنها بجانب أسس أخرى تتوافر في الأسرة باعتبارها تجمعاً بشرياً يرتبط أفراده بعلاقات وصلات لا يوجد لها نظير في القوة في أي تجمع بشري آخر، فالأساس المهني يربط بين أفراد الأسرة ولكن ليس بالمفهوم "السطحي" للمهنة من حيث كونها عملاً يؤديه الفرد لقاء أجر أو عائد اقتصادي، ولكنه مفهوم الوظيفة من حيث المعنى النفسي والاجتماعي والتربوي وما تقوم به الأسرة من (وظائف) في هذه المجالات الثلاثة، وأساس المصالح المادية تقوم عليه الروابط داخل الأسرة من خلال ما تؤديه من وظيفة اقتصادية، أما الترابط على أساس الفكرة أو العقيدة أو المبدأ، فإنه يمثل أساساً قوياً للترابط داخل الأسرة وهو مستمد من (الثقافة) بما فيها من الأفكار والعادات والتقاليد والقيم والاتجاهات، وكذلك من الدين بصفته العامل الأساسي الذي يتفاعل مع الثقافة وما تتضمنه من الأنماط والمكونات الثقافية للأسرة، والمستمدة من ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه (٥).

أضف إلى ذلك أن الترابط الأسري يتضمن أساس (الانتماء) إلى جماعة معنية هي الأسرة. فكل فرد يشعر بالانتماء إلى أسرته، وإن تفاوتت درجات هذا الشعور. والترابط الأسري كذلك يتوافر فيه أساس المكان، حيث تعيش الأسرة في منزل واحد وتحت سقف واحد. كما يتوافر فيه أساس الترابط لإنجاز مهمة محددة ذات صفة مؤقتة ولكن في إطار مهمة ممتدة ولتحقيق رسالة تتخذ صفة الديمومة، فقد يتعاون أفراد الأسرة ويتكاتفون فيما بينهم في تنظيم المنزل، أو في مساعدة أحد الأفراد لإنجاز مهمة خاصة به. أما الترابط على أساس المصاهرة والقرابة، فإنه جوهر الرابطة الأسرية، حيث قامت عليه واستمرت به.

فالأسرة إذن تمثل إطاراً توجد فيه كل الروابط التي يمكن أن تربط الناس بعضهم ببعض، ولكنها توجد في الأسرة بصورة أوضح تجعلها أقوى رابطة إنسانية، وما التفكك الأسري إلا حالة استثنائية نتيجة عوامل وضغوط بعضها داخلي والبعض الآخر خارجي. ولكنها – أي هذه العوامل والضغوط وما ينتج عنها – تظل في عداد الاستثناء الذي لا يلغي القاعدة حتى وإن كان هذا الاستثناء يلقى الدعم في بعض المجتمعات.

بهذا المعنى، فإن الرابطة الأسرية تجسد الترابط المصيري للفرد، لأن ارتباطه بالأسرة له طابع الاستمرار الطويل، ولا يستطيع الفكاك منه، فهو لا يستطيع مثلاً أن يتخلص من رابطة الأبوة أو الأخوة، وتضفي الأسرة خصائص معقدة على تلك الرابطة، ذلك أن الأسرة كشخصية اعتبارية لها أهدافها الخاصة بها، وغاياتها المحددة، وأعرافها الواضحة، وممارساتها المألوفة وتعمل على تحقيق ذلك من خلال تماسك أفرادها وترابطهم.

كما أن الأسرة في الوقت نفسه تمكن الأفراد من تحقيق أهدافهم الخاصة وتوفر لهم الحماية والضمان. فإذا كانت العلاقات المادية في محيط الأسرة تفوق في قوتها العلاقات المادية في أي تجمع آخر، فكذلك العلاقات الاجتماعية التي تربط الآباء بالأبناء، فتشكل قنوات اتصال بين كافة أطراف الأسرة، وتجعل روح التكافل والتعاون تسود بينهم.

من خصائص الرابطة الأسرية أيضاً تعدد مكوناتها ومجالاتها، فهناك المصالح المادية المتبادلة يومياً، وهناك الخبرات المشتركة بين أفراد الأسرة والخبرات الخاصة بكل فرد، وهناك المسكن الواحد الذي يضم كل الأفراد، وهناك

الروابط مع أسرة التوجيه، وهناك العواطف والمشاعر الوجدانية، فيما يتعلق بالمتطلبات المادية يسعى الوالدان والأخوة الكبار إلى توفيرها حتى يتيسر للأسرة المأكل والملبس والراحة والترفيه والتعليم والعلاج وغير ذلك من مجالات الإنفاق. أما بالنسبة للخبرات، فإننا نجد في حياة الفرد وحياة الأسرة أحداثاً وذكريات وتجارب تشكل جزءاً من تاريخ الفرد وكذلك من تاريخ الأسرة، وما الوجود الحاضر إلا امتداد لوجود ماضٍ تأثر بسابقه ويؤثر في لاحقه.

ويمثل المسكن رابطة قوية تجمع أفراد الأسرة، إنه يجمع الأفراد ويوحد شتاتهم، فهو منطلقهم وإليه يعودون فيجدون الراحة والسكينة والدفء والحنان، ويتبادلون أحداث اليوم وآمال الغد، ويتصرفون بتلقائية، ويشبعون حاجات أساسية لا يمكنهم إشباعها في أي موقع آخر، لكل ذلك يمثل المسكن قمة الأمان المشترك لكل أفراد الأسرة، ويحمل كل منهم ذكريات عن كل مكان وشيء فيه. أما الروابط مع أسرة التوجيه، فإن الأسرة كما هو معروف قاعدة ترابط اجتماعي، إنها نتجت عن المصاهرة وارتباط أسرتين ببعضهما، ومنها وبها تتكون الأسرة الممتدة، وعن طريقها يرتبط الأحفاد والأجداد، وتمثل الجوانب النفسية

أساساً قوياً وحاسماً في الترابط الأسري من عدمه. فعلى قدر وحدة المشاعر والميول والاتجاهات بين الزوجين يكون التوافق والانسجام بينهما، وعلى قدر الترابط النفسي بين أفراد الأسرة الواحدة، تتحدد كفاءتها في الأداء الوظيفي بمختلف جوانبه.

ثالثاً: دور الأسرة في إشباع حاجات الأفراد

(أ) الأسرة وإشباع حاجات الأبوين

عندما نتحدث عن الحاجات التي تشبعها الأسرة للوالدين، فنحن نعني أولا أن هناك ما يعرف "بالزواج"، فليس هناك أسرة بدون زواج. ونعني ثانياً أنه زواج مشروع من الناحية المتعارف عليها اجتماعياً، فهو علاقة جنسية بين رجل وامرأة بقصد الاستمرار والإنجاب وما يترتب على ذلك من مسئوليات، ونفترض ثالثاً: وجود أسرة مكتملة يعيش أفرادها بصورة عادية بمعنى عدم وجود خلافات عميقة أو مدمرة للحياة الأسرية. في هذا الإطار يمكن رصد أهم "الحاجات" التي تشبعها الأسرة لطرفي الزواج (الزوج والزوجة) فيما يلي:

١-الحاجة إلى الاستثارة الحسية: يعد البحث عن الانطباعات الحسية والاستمتاع بها أحد الحاجات التي تفسر السلوك الاجتماعي للإنسان بما في ذلك الزواج وتكوين الأسرة. وهناك كثير من الشواهد والأدلة التجريبية على أن الإنسان يميل إلى الشعور بمستوى معين من الاستثارة الحسية. فالوحدة والسكون التام يثيران فينا الملل

والضيق، ويدفعاننا إلى القيام ببعض أنواع النشاط الذي يؤدي إلى قدر معين من الاستثارة الحسية مثل الاستماع إلى الموسيقى أو مشاهدة التلفاز أو التحدث في الهاتف أو الخروج من البيت لزيارة بعض الأصدقاء.

لا شك أن الزواج وتكوين الأسرة يمثل تجارب مليئة بالاستثارة الحسية، إن ذلك يتضمن التعارف بين الطرفين، والتآلف بينهما وحضور الأهل والأقارب والأصدقاء وإتمام الخطوبة أو عقد القران وما يصاحب ذلك من إعداد منزل الزوجية والاحتفالات والزفاف، ثم المعيشة المشتركة بين الزوجين وإنجاب الأطفال والالتزامات والمسؤوليات الأسرية.. الخ، كل هذه الأمور تمثل نوعاً من الشعور بالاستثارة الحسية، التي وإن وجد لها بديل أو بدائل، إلا أنها بصفة أصلية توجد في الزواج وتكوين الأسرة، بل إن المرور بها يشكل مصيراً متفقاً عليه في أعماق كل فرد، بل وأملاً يراود كل شاب وفتاة. إن الزواج وتكوين الأسرة يمثل تجربة فريدة من الاستثارة الحسية التي تدفع إلى هذا السلوك، وتتضح أهميتها كدافع للسلوك من إحدى الدراسات التجريبية التي طلب فيها من بعض الطلبة المتطوعين أن يبقوا أطول فترة ممكنة منفردين في عزلة بحيث يرقدون

ساكنين بلا حركة إلا في أوقات تناول الطعام أو شرب الماء أو الذهاب إلى دورة المياه. وتمت تغطية أيديهم بقفازات كما غطيت أذرعهم لمنع حدوث أية أحساسات لمسية. وغطيت أعينهم بغطاء نصف شفاف لجعل الغرفة معتمة كما وضعت في الغرفة مروحة كهربية لكي يحجب طنينها أية أصوات تصدر من خارج الغرفة. وكان الطلبة يتقاضون أجرا على القيام بهذه التجربة.

وقد تبين أن هذه الحالة من العزلة والحرمان من الاستثارة الحسية بعثت في الطلبة شعوراً مكدراً لم يستطع كثير منهم احتماله، فانقطع معظمهم عن الاستمرار في التجربة بعد يومين فقط. أما الطلاب الذين استمروا فقد أفادوا بأنهم شعروا بالكدر والضيق. كما أن بعضهم بدأ في الهلوسة بعد فترة يومين أو ثلاثة أيام من بداية التجربة. وقد فسر الباحثون حدوث تلك الهلوسة، بأنها محاولة لتكوين خبرات حسية ذاتية للتغلب على حالة الحرمان من الاستثارة الحسية الخارجية(٦). وإذا كانت هذه التجربة لا تخلو من دلالة لفكرة أن الحاجة إلى الاستثارة الحسية تفسر الإقدام على الزواج وتكوين أسرة. إلا أنها في الوقت نفسه ذات دلالة مهمة لتصدع الأسرة. فالحياة

الأسرية الخالية من الاستثارة الحسية تكون أشد كآبة من الحياة قبل الزواج. وقد تدفع أحد الطرفين (الزوج أو الزوجة) إما إلى البحث عن مصادر بديلة للاستثارة الحسية بصرف النظر عن مشروعية ومحتوى هذه المصادر، أو إلى وجود مشاكل أسرية وخلافات وربما تؤدي إلى الطلاق.

٢-الحاجة إلى الحب: تمثل الحاجة إلى الحب دافعاً رئيسياً وراء إقبال الفرد رجلاً كان أو امرأة على الزواج وتكوين أسرة. وقد حظي موضوع (الحب) باهتمام العديد من الدراسات النفسية، وترى بعض هذه الدراسات أن الحب عاطفة غامضة ويصعب تحديد معناها: هل هو شيء نشعر به، أم أنه سلوك نؤديه؟ أم هو شيء نمتلكه؟ وهل هناك أنماط مختلفة من الحب؟ وهل هو أعظم من أن نعبر عنه بمجرد تعريف؟ تذهب بعض الدراسات النفسية أيضاً إلى أن الحب هو الرعاية والسلوكيات الإيجابية الموجهة نحو شخص آخر مع الاهتمام بكل ما فيه المصلحة والخير لهذا الشخص، وتورد بعض الدراسات تشريحاً نفسياً لهذا التعريف، ولكنها جميعاً غير كافية لتحديد معنى الحب. غير أننا إذا حددنا إطار الحب الذي نعنيه بالإطار الأسري، ورجعنا إلى ما كتبه العالم المسلم ابن حزم عن (الحب)

سنجد أن هذا العالم أكثر إقناعاً ومنطقية فيما كتبه. يقول ابن حزم: إن الحب استحسان روحي وامتزاج نفساني ناشئ عن اتصال النفوس وتعارفها في عالمها السابق قبل حلولها في الجسد. وحينما تحل النفس في الجسد فإنها تميل إلى النفوس التي كانت متصلة بها في السابق.. إن نفس المحب كما يقول ابن حزم متخلصة، عالمة بما كان يشركها في المجاورة، طالبة له، قاصدة إليه، باحثة عنه، مشتهية علاقاته، جاذبة له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد. ويتحدث ابن حزم عن دلالة الحب بين المرء وزوجه فيقول: وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات، إنما هو الاتصال والانفصال.

والشكل يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد.. هناك التنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد، والنزوع فيما تشابه موجود فيما بيننا. فكيف بالنفس وعالمها الصافي الخفيف (وأصلها) المهيأ بقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار. كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان وزوجه فيسكن إليها. والله تعالى يقول: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

إِلَيْهَا). إن علة السكون أنها منه حسب نص الآية.

وعلى ضوء أفكار ابن حزم عن الحب، ودلالة هذه الأفكار للوجود الأسري، يتضح لنا أنه يفرق بين المحبة والشهوة. فالمحبة تنشأ عن اتصال النفوس وتعارفها وتجانسها، أما الشهوة فهي حب الصورة الحسنة فقط. ويشير إلى أنواع عديدة من الحب أحدها الحب في معناه الجنسي الضيق، ومن المؤسف أن يكون ذلك هو المعنى الشائع (للحب) في الوقت الحالي.

هذه الرؤية الضيقة تناقضها حقيقة الحب. فأفراد الأسرة قد يجمعهم حب الله، وقد يجمعهم حب الاجتهاد في العمل، وحب الاتفاق في الدين وحب الاعتراف بالله ومحبة القرابة والاشتراك في المطالب ومحبة التصاحب، كما قد تجمعهم المحبة بسر يجتمعون عليه ويلتزمون بستره. إننا عندما نقول بأن الحاجة إلى الحب تمثل دافعاً إلى الزواج وتكوين الأسرة، فإننا نعني أن كل طرف يكون مدفوعاً بعوامل الاستحسان والإعجاب والقرب والألفة والشعور بالوحشة إذا غاب عنه وانشغال البال والشغف عليه، هذه الأمور يتوقعها كل فرد في الأسرة من جانب الأفراد الآخرين

وتحت تأثير هذا التوقع -ضمن عوامل أخرى- تصبح الحاجة إلى الحب عاملاً مهماً في تفسير سلوك الزواج والأسرة.

٣-الحاجة إلى الجنس: من المعروف أن الدافع الجنسي من الدوافع الفسيولوجية ذات الأهمية الخاصة في الصحة النفسية والحياة الاجتماعية، وقد اهتم فرويد بدراسة أثر الوظيفة الجنسية في الصحة النفسية وفسر كثيراً من الأمراض النفسية والعقلية بأنها ترجع إلى اضطراب الوظيفة الجنسية، والدافع الجنسي لا يتعلق -كدافع الجوع ودافع العطش- بحفظ حياة الكائن الحي، فالكائن الحي لا يموت إذا تعطلت وظيفته الجنسية، غير أن الدافع الجنسي يقوم بوظيفة بيولوجية هامة، إذ إنه يعمل على بقاء النوع، فلولا التناسل لانقرضت الكائنات الحية من الوجود.

وتشير نتائج الدراسات النفسية إلى أهمية ومركزية الدور الذي تقوم به الهرمونات الجنسية في الدافع الجنسي والنشاط الجنسي لدى الإنسان، كما تشير إلى أنهما يتأثران كثيراً جداً بالتعلم وبالحالة النفسية والعادات والاتجاهات والعوامل الثقافية والاجتماعية ويمثل العامل

الجنسي دافعاً أساسياً للزواج وتكوين أسرة. فالزواج ما هو إلا استجابة لتكوين بيولوجي لدى الإنسان رجلاً كان أو امرأة. ويمثل الزواج الإطار المشروع للعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة وقد اهتم الإسلام بهذا الموضوع بما يحفظ بقاء النوع وحفظ الأنساب دون أن تشيع الفاحشة في المجتمع. ويلاحظ أن الدافع الجنسي ليس هو الدافع الوحيد للزواج وتكوين الأسرة وإن كانت النظرة إلى أهميته في هذا الشأن تختلف من مجتمع إلى آخر.

وتبين الدراسات الأنثربولوجية وجود اختلافات كبيرة بين المجتمعات في السلوك الجنسي وما تضعه عليه من قيود. فقد يسمح للأطفال في بعض المجتمعات بالتعبير عن الدافع الجنسي في ألعابهم بينما تمنع ذلك مجتمعات أخرى. المنطق نفسه بالنسبة للشباب. ويتوقف ذلك على المعايير والقيم الأخلاقية والدينية. غير أنه في كل الأحوال يبقى الدافع الجنسي (إشباع الرغبة الجنسية) دافعاً إلى الزواج وتكوين أسرة.

٤-الحاجة إلى المعرفة والفهم: الحاجة إلى المعرفة والفهم تشمل تحليل الخبرة وتأملها والتأليف بين الأفكار، فالمعرفة والفهم أداتان لحل المشكلات والتغلب على العقبات وبالتالي إتاحة الفرصة لإشباع الحاجات الأساسية، فإذا علمنا أن القدرات المعرفية (الإدراكية الفكرية والتعلم) هي مجموعة من أساليب التكيف التي تسهم في إشباع حاجاتنا الأساسية، فإن أي خطر يتهددها أو الحرمان منها أو إعاقة استخدامها بحرية يهدد الحاجات الأساسية للفرد. والحاجة إلى المعرفة والفهم لا تقتصر على مجال معين، ولا تتحدد بمحتوى معين، فقط تتحدد بخصائص الفرد وشخصيته.

ولما كان التزاوج والتناسل صفة عامة بين الكائنات البشرية، فإن الحاجة إلى معرفته وفهمه تكاد تكون عامة بين البشر. وفي دراسة على عينة من الشباب في مصر، تبين أن نسبة عالية من الجنسين يريد أن يعرف كيف يجعل أفراد الجنس الآخر يهتمون به. كما أن غالبيتهم تود أن تعرف شيئاً عن أساليب السلوك الاجتماعي الصحيح في حضرة الجنس الآخر. كما أنهم يودون أن يعرفوا

بعض المسائل التي تتعلق بالزواج والحياة الزوجية المقبلة. وتذهب نفس الدراسة إلى أن تنظيم محاضرات علمية عن الناحية الأسرية في أبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية يمثل ضرورة قصوى يتطلبها تنظيم المجتمع، وإلا كانت المخاطرة بإبعاد الشباب عن الحياة الأسرية(٧). إن الحاجة إلى المعرفة والفهم تمثل (ضمن عوامل أخرى) دافعاً للفرد نحو الزواج وتكوين الأسرة. ربما يرجع ذلك إلى أن هناك نوعاً من الخصوصية في الحياة الأسرية محاطاً بالسرية التامة خاصة فيما يتعلق بالحياة الجنسية وبعض الجوانب المتعلقة بالدور والمكانة لكل من الرجل والمرأة - هذا الجانب المحاط بالسرية هناك حب استطلاع لمعرفته وفهمه من خلال نظام مقبول هو الزواج. من جهة أخرى فإن هذا الجانب نظراً لكونه يرتبط بدوافع بيولوجية أخرى يدفع الفرد إلى الفهم والمعرفة المسبقة بما يُعِدُّه لقبول دوره الاجتماعي في المستقبل.

٥-الحاجة إلى الأمن: وهي تشمل الحاجة إلى البنية والنظام والأمن والقابلية للتنبؤ، والهدف الأول للشخص الذي يعمل عند هذا المستوى هو أن ينقص الشك ويتخلص من الريبة وعدم اليقين في حياته. كما أن إشباع حاجات

الأمن يؤكد للفرد أنه يعيش في بيئة متحررة من الخطر. ويدرك الأفراد بوعي أو بغير وعي أن الأسرة مصدر لإشباع الحاجة إلى الأمن. فإذا طبقنا هذه الفكرة على من هم في سن الزواج نجد أن معظمهم إن لم يكن جميعهم يدرك أن الزواج وتكوين أسرة يوفر له الأمن من الوحدة، ويجنبه اقتراف المعصية بما يترتب عليها من ثورة الضمير أو العقاب الديني والدنيوي.

وقد يترتب عليها عقاب اجتماعي. كذلك يجد هؤلاء في الزواج وتكوين الأسرة أمناً من النقد الاجتماعي العام بما له من انعكاسات نفسية خطيرة. فالفتاة التي لم تتزوج يطلق عليها لفظ (عانس) مع ما لهذا اللفظ من تأثير على حالتها النفسية، ناهيك عن نظرة المجتمع إليها بما فيها من نقد وشك، وقد يصل الأمر إلى تسفيه السلوك حتى ولو كان قويماً. في الأسرة والزواج أيضاً يجد الأفراد الأمن من مخاطر عدم إكمال دورة الحياة وتحقيق الرسالة الإنسانية، كما يجدون فيهما أمناً ضد الحرمان من الأمومة أو الأبوة. وقد بينت الدراسات النفسية مدى قوة دافع الأمومة في توجيه السلوك الإنساني. كما أن لهذا الدافع أساساً فسيولوجياً. فهرمون البرولاكتين (Prolactin) الذي تفرزه

الغدة النخامية له أهمية كبيرة في تنشيط هذا الدافع. كما تبين الأبحاث النفسية أن الفكرة التي تعتنقها المرأة عن الأمومة ومركزية مسؤوليات الأم الأسرية هي التي تؤثر في قراراتها المصيرية، ففي مجال العمل مثلاً بينت أبحاث (Yarrow) أن أكثر من أربعة أخماس الأمهات من الطبقة الوسطى غير المشتغلات بقين في المنزل لسبب رئيسي هو حاجة الأطفال لهن(٨). وربما لا يقل دافع الأبوة أهمية عن دافع الأمومة، ولما كان الزواج وتكوين الأسرة هو الطريق الشرعي المتعارف عليه لإشباع دوافع الأمومة والأبوة، فإنه يمثل جزءاً رئيسياً في تفسير السلوك الاجتماعي للإنسان، إنه يجد فيه الطرفان إشباعاً للحاجة إلى الأمن الاجتماعي في الحاضر والمستقبل. كما يجدان تحقيقاً لبنية اجتماعية وتوافقاً مع (نظام) أقرته الأديان والأعراف - ويجدان فيه الأمن من المواقف الاجتماعية المحبطة إذا ما تم التعرض لها.

٦-الحاجة إلى الانتماء والاستقلال: من الشائع في الدراسات النفسية اقتران الحاجة إلى الانتماء بالحاجة إلى الحب، ولكننا ونحن بصدد تحليل دوافع الزواج وتكوين أسرة نلاحظ أن الأقرب إلى الدقة أن تقترن الحاجة إلى الانتماء

بالحاجة إلى الاستقلال. فالفرد رجلاً كان أو امرأة قبل أن يتزوج يكون بالفعل منتمياً إلى أسرة التوجيه، بمعنى أبويه وإخوته ويشعر بالولاء لها، وقد يجد فيها من العطف والدفء العائلي ما يشبع لديه الحاجة إلى الحب في هذا الإطار.

غير أن الفرد يدرك شعورياً أو لا شعورياً أنه في حاجة إلى نوع آخر من الانتماء، الذي يمكن تسميته مجازاً (بالانتماء المستقل)، بمعنى الحاجة إلى أن ينتمي إليه أفراد آخرون، وينتمي هو إلى كيان اجتماعي جديد، وهذه الحاجة يتم إشباعها عن طريق الزواج وتكوين أسرة جديدة. لقد انتقل الفرد من حالة الانتماء التابع، إلى حالة أخرى جديدة هي الانتماء المستقل، وبينما يظل الأول قائماً وإن كان يضعف تدريجياً بمرور الزمن، نجد أن الثاني (الانتماء المستقل) تتثبت أركانه ويقوى مع مرور الزمن بفرض أن الحياة الزوجية والأسرية تسير سيراً طبيعياً على الأقل.

أو على الأكثر تسودها المودة والرحمة، مع ملاحظة أن ذلك الوضع يختلف في طبيعته ومحتواه من حالة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر حسب طبيعة البناء الأسري

وتفاعلاته. غير أن الضعف التدريجي في انتماء الفرد إلى أسرة التوجيه لا يعني أنه يصل إلى حالة الاندثار والزوال. إنه يظل قائماً من الناحية النفسية والعائلية. فجميع الذين تزوجوا وأصبحوا آباء بل وأجداداً، مازال لديهم شعور بالانتماء إلى آبائهم وأمهاتهم وتتفاوت شدة هذا الشعور من شخص إلى آخر، وهؤلاء بدورهم يشعرون بانتماء أبنائهم إليهم أكثر وفي الوقت نفسه يتوقعون أن يستمر هذا الانتماء ويتدعم. إنها سلسلة مترابطة الحلقات توضح أن الزواج وتكوين الأسرة يتضمن نوعاً من إشباع الحاجة إلى الانتماء والاستقلال.

٧-الحاجة إلى التفاعل الاجتماعي: التفاعل الاجتماعي هو تلك العملية التي يؤثر فيها الناس على بعضهم البعض من خلال التبادل المشترك للأفكار والمشاعر وردود الأفعال، وتذهب بعض الدراسات النفسية إلى أن التفاعل يبدأ لأن كلاً من المشتركين في الموقف الاجتماعي يتلقى من خلال الارتباط تدعيمات تشبع حاجاته الخاصة فالتفاعل الاجتماعي بين الأب وطفله الصغير في سياق عملية تعلم الصغير للغة مثلاً يستمر، لأن كليهما يتلقى إشباعات من خلال العلاقة كما أن كليهما يتعلم من

خلال التفاعل أساليب أساسية لردود الفعل تجاه الآخرين، ويذهب جون تيبو (John thibout) وهارولد كيلي (Harold Kelley) إلى أن التدعيمات الاجتماعية أيضاً تحدد استمرار أو قطع التفاعل الاجتماعي، فعند بدء علاقة ما يظهر كل مشترك في العلاقة جوانب متنوعة من شخصيته ملاحظاً بدقة لكيفية رد فعل الآخر تجاهها وذلك في نفس الوقت الذي يقيم فيه الملامح المتكررة لشخصية الآخر، فإذا كانت التجارب مقبولة من الطرفين أو تبشر بالقبول يستمر التفاعل، وإذا لم تكن كذلك تنقطع العلاقة. على مستوى الأسرة نجد أن الحاجة إلى التفاعل الاجتماعي الناجح تكون دافعاً إلى الزواج.

فالفتى والفتاة المقبلان على الزواج يتوقع كل منهما من الآخر أن يكون متعاوناً وودواً، وأن يعبرا عن اتجاهات متشابهة بما يحقق الإثابة لكليهما. الأفراد في ذلك يؤكدون قاعدة اجتماعية معروفة، وهي أن التفاعل يستمر إذا زادت المكافآت التي يحصل عليها كلا المشتركين في العلاقة على التكاليف الناجمة عنها. والارتباط بين الزوجين المتحابين يمنح العديد من المكافآت المتبادلة بتكلفة منخفضة ويفترض أن هذه الارتباطات المعمرة تمنح الكثير

من الإشباع المتبادل. إن الأفراد قبل الزواج، ينتمون بطبيعة الحال إلى جماعات متعددة يتخذ التفاعل الاجتماعي فيها صفات معينة قد تكون مزيداً من الإيجابية والسلبية، ولكنهم عندما يفكرون في الزواج وتكوين أسرة كثيراً ما يكون ذلك تحت تأثير حاجات متعددة من بينها الحاجة إلى تفاعل اجتماعي من نوع خاص يقوم على الأحاسيس والشعور والعواطف، فالأحاسيس هي الحياة وعدمها هو الموت، وقد جاءت الأديان متجاوبة مع هذه الحاجة الإنسانية حين دعت الناس إلى أن يملئوا حياتهم بالحب والإحسان، وفي الحياة الأسرية نجد الأزواج يطالبون بالإخلاص، والزوجات تطالبن بالإعزاز والتدليل.

الناس جميعاً يرغبون في العواطف والأحاسيس منهم وإليهم، لأن الأحاسيس تجعل للحياة قيمة، والجو الأسري القائم على التفاعل الاجتماعي السليم يكون مفعماً بالأحاسيس ويُعّد الفرد إعداداً جيداً لتنظيم مشاعره وانفعالاته تجاه الآخرين.إن الأفراد يتطلعون إلى نظام أسري يكون بمثابة المكان الاجتماعي والنفسي الآمن، الذي يجدون فيه المظلة الواقية من المآسي والأحزان والمواقف الصعبة في الحياة.

٨-الحاجة إلى السلطة: تتضمن السلطة معاني متعددة أهمها القدرة على التأثير في الآخرين بما يجعلهم يقدمون على سلوك معين ما كانوا يقدمون عليه لولا وجود صاحب هذا التأثير أو مصدره، ويعتبر بعض العلماء النفسيين مثل (أدلر وماك كليلاند)، أن السلطة خاصة من خصائص الفاعل أو حافز يدفع الفرد نحو زيادة تأثيره على الآخرين وعلى الأوضاع الاجتماعية، وتكمن السلطة مع مرتبة الشخص نفسه، ويرى أدلر أن الفرد (مسكون) بعقدة نقص فطرية يسعى إلى سدها أو تجاوزها من خلال الحاجة إلى التفضل والعلو أو التسلط على الآخرين.

كما تبرز نظرية ماك كليلاند الحاجة إلى الكمال والنجاح. هذه الحاجة تقود الشخص إلى القيام بسلوك معين بما قد يتيح له ممارسة السلطة وتذخر أدبيات علم الاجتماع العائلي بالأفكار الخاصة بالسلطة الأسرية، ففي بعض المجتمعات تكون السلطة للأب، بينما تكون السلطة للأم في البعض الآخر، أما عن كون الحاجة إلى السلطة دافعاً إلى الزواج وتكوين أسرة، فذلك أمر نلمسه بوضوح في حياتنا اليومية حتى من مجرد العبارات المتداولة

مثل: "ربة أسرة" أو "رب أسرة". وبصرف النظر عن سلطة اتخاذ القرار داخل الأسرة، فإن كلاً من الأب والأم يمارس نوعاً من السلطة حسب طبيعة الدور المنوط بكل منهما فقد تكون الأم ذات سلطة كاملة في النواحي التي تخص الشؤون الداخلية للمنزل، وقد يكون للأب نفس المستوى من السلطة فيما يخص جانب الإنفاق مثلاً، مع ملاحظة أن السلطة داخل المنزل تتحدد بالأعراف والتقاليد والدين، كما أنها متغيرة حسب مقتضيات المواقف والظروف، وهي أيضاً ذات صبغة اجتماعية إنسانية وليست رسمية إجبارية. وتتأثر بالعلاقات داخل الأسرة، كما أنها قد تكون على مستوى الإحساس والشعور دون الممارسة والسلوك. ولكنها في كل الأحوال موجودة.

٩-الحاجة إلى الخضوع: وقد عرفها البعض بأنها الحاجة إلى الإعجاب بالقائد والثناء عليه واتباعه عن إرادة، ويلاحظ أن ضيق نطاق هذا التعريف ومحدودية دلالته يجعله قاصراً عن تفسير ما نعنيه بالحاجة إلى الخضوع باعتبارها دافعاً إلى السلوك الزواجي والأسري. فالخضوع لا يعني بالضرورة أن يكون لشخص، وإنما قد يكون لمبدأ أو قيمة أو جماعة. ومن جهة أخرى، فإن الخضوع ليس بالضرورة أن يكون عن

إرادة فقد يكون إجباراً وقسراً (بالقوة).

وقد يكون نتيجة العادات والتقاليد بل والأديان. الحاجة إلى الخضوع في المجال الأسري تعني الاستجابة من جانب طرف معين لمطالب طرف آخر، وغني عن البيان أن نطاق ومحتوى الاستجابة يختلف من فرد إلى آخر، ويختلف حسب الثقافات كما يتوقف على طبيعة العلاقة بين الأطراف المشاركة فيها، ويختلف كذلك حسب الزمن والموقف، وترتبط الحاجة إلى الخضوع بشعور الفرد بضعفه إزاء قوى معينة، قد تكون قوى غيبية أو طبيعية أو اجتماعية، وعلى الرغم من أن الفرد يسعى إلى امتلاك القوة بما يعوض ما لديه من جوانب ضعف وقصور، إلا أنه يظل لديه شعور معين بالقصور والضعف، يختلف من فرد إلى آخر، ويرى (أدلر) أننا جميعاً نبدأ الحياة بمشاعر القصور لأننا نعتمد كلية على الراشدين لتحقيق البقاء.

فالأطفال يشعرون بالعجز وبأنهم لا حول لهم ولا قوة إزاء الراشدين الأقوياء الذين يعتمدون عليهم، إن هذا الشعور بالضعف والقصور يثير في الطفل الرغبة الشديدة للبحث عن القوة حتى يتغلب على مشاعر

القصور أو الدونية. غير أن ذلك لا يعني - حسب آراء أدلر- أن هذه المشاعر سيئة، ويذهب إلى القول بأنه "لكي تكون إنساناً في الحقيقة معناه أن تشعر بالقصور. إنها حالة عامة ومشتركة بين جميع البشر، وليست علامة من علامات الضعف أو الشذوذ، بل إنها القوة الدافعة وراء جميع الإنجازات الشخصية بشرط ألا تسيطر على حياة الفرد. والحياة الزوجية والأسرية تتضمن ليس فقط خضوع أحد الأطراف للآخر، ولكن أيضاً خضوعهم لمبدأ اجتماعي أو قيمة اجتماعية كمعيار لتقييم شخصية الفرد من وجهة نظر المجتمع.

١٠-الحاجة إلى التقدير: إن الإنسان يحتاج إلى تقدير الآخرين، فهذا التقدير يبعث فيه إحساساً بأنه متقبل وذو مكانة وشهرة، كما يعلي تقديره لذاته الأمر الذي يولد فى الفرد مشاعر الكفاءة والثقة والسداد وإذا لم تشبع حاجات التقدير يكون هناك مشاعر القصور وتثبيط الهمم. ويتطلب إشباع هذه الحاجات عادة الانغماس في الأنشطة ذات النفع الاجتماعي، غير أننا على الجانب الآخر نلمس بوضوح مدى انخفاض التقدير الاجتماعي لمن تعدوا سناً معيناً دون زواج، وتبدو هذه المسألة أشد وضوحاً بالنسبة

للمرأة، الأمر الذي يجعلها عرضة للقلق والتوتر واليأس والاكتئاب، إنها ينظر إليها بما تدل عليه ألفاظ وعبارات معينة تشير إلى انخفاض التقدير الاجتماعي، بما تشعر معه الفتاة بأنها غير مرغوبة، وأن حياتها غير ذات فائدة حيث أنها (كالشجرة التي بلا ثمرة) الأمر الذي يجعل الفتاة فريسة للوهن العصبي والاكتئاب - وعلى الرغم من أن بعض الفتيات يتجاوز سلوكهن الظاهري مسألة انخفاض التقدير الاجتماعي الناتج عن عدم الزواج، إلا أنهن يعبرن عن ذلك في السلوك الظاهري فقط وإن كن يشعرن بالألم النفسي حقيقة، وتشير الدراسات النفسية إلى أن الرجال أقل تأثراً من الناحية النفسية والسلوكية بمسألة انخفاض التقدير الاجتماعي نتيجة عدم الزواج بعد مرحلة عمرية معينة، وإن كانوا يتعرضون نتيجة ذلك للعديد من المواقف الاجتماعية ذات التأثير السلبي الحاد، كما تشير هذه الدراسات إلى أن الرجال والنساء على السواء يقعون فريسة للمعاناة النفسية والضغط الانفعالي نتيجة عدم التقدير الاجتماعي الناتج عن عدم الإنجاب، وبالتالي فإن الحاجة إلى التقدير الاجتماعي تمثل دافعاً للزواج وتكوين أسرة.

١١-الحاجة إلى الإنجاز: تعد الحاجة إلى الإنجاز من أهم الموضوعات التي اهتم بدراستها كثيرون من علماء النفس، وقد تزعم ديفيد ماكليلاند (David Mcclelland) وجون اتكلينسون (John.W.Atklinson) البحث في هذا الموضوع واستعملا كل أساليب البحث المتاحة من قياس التخيل، إلى التجارب المضبوطة ومن التخمينات الظواهرية (الفينومينولوجية) إلى النماذج الرياضية وأحياناً بكل هذه الأساليب مجتمعة. من خلال هذه الطرق البحثية كان يتم قياس الدرجة التي يحاول بها الشخص النجاح من أجل الشعور بإنجاز شيء وتبدو الحاجة إلى الإنجاز في فترة مبكرة من حياة الفرد، وتكون هذه الحاجة بالغة التطور بحلول سن الثامنة أو العاشرة.

وتشير دراسات (Marian.R.Winterbottom) إلى أن هذه الحاجة تحدث بصورة أكثر تكراراً وقوة في الأسر التي تشجع أطفالها على الاستقلال والاعتماد على أنفسهم في سن مبكرة. وفي مرحلة عمرية معينة يدرك الفرد - رجلاً كان أو امرأة - أن الزواج وتكوين أسرة - إنجاز أساسي على المستوى الشخصي والاجتماعي سواء من وجهة

نظر الفرد أو من وجهة نظر المجتمع. وإذا مضت فترة زمنية معينة دون أن يتزوج الفرد يكون شعوره بعدم الإنجاز على هذا المستوى.

ويزداد هذا الشعور حدة كلما تقدم السن بالفرد. وفي المجتمعات العربية والإسلامية تكون الثقافة مصدر تجسيد للآلام النفسية الناجمة عن شعور الفرد بعدم الإنجاز على المستوى الاجتماعي (الزواج) خاصة بالنسبة للمرأة. ولما كان التراث الثقافي ينتقل من جيل إلى جيل من خلال مؤسسات التنشئة المتعددة - فإن الحاجة إلى الإنجاز الاجتماعي من خلال الزواج وتكوين الأسرة تمثل أحد الدوافع الهامة التي تدفع الأفراد إلى ذلك.

١٢-الحاجة إلى تقدير الذات: يذهب بعض علماء النفس إلى أن النزعة إلى تحقيق الذات هي نزعة أساسية تكافح ليحقق الكائن الحي ذاته ويحافظ على بقائها ويزيد من قيمتها. ولما كان الناس جميعاً -على حد قول (روجرز) لديهم حاجة نظرية للبقاء والنمو وتقوية الذات. فإن جميع الدوافع البيولوجية تندرج تحت النزعة إلى تحقيق الذات إذ إنه يتعين إشباعها كي يستمر الكائن الحي في

نموه الإيجابي. علماً بأن هذه الدفعة إلى الأمام للحياة تستمر على الرغم من العقبات. ومن الناحية الاجتماعية نجد أن الدافع إلى تحقيق الذات يمثل قوة دافعة لدى الفرد في حياته.بحيث تدفعه إلى التمايز والاستقلال. وإلى أن يصبح أكثر التزاماً وإحساساً بالمسؤولية. وهناك من يعرف تحقيق الذات بأنه تلبية لدعوة أو قدر أو مصير أو مهنة. الزواج والأسرة بمثابة تلبية لدعوة بيولوجية واجتماعية. أنهما تلبية لقدر ومصير رسّخت قبوله الأديان والأعراف وغيرها من مكونات الثقافة. كما أنهما تلبية لوظيفة اجتماعية هي الحفاظ على النوع من خلال التناسل. فتحقيق الذات على المستوى الاجتماعي والنفسي يرتبط في مرحلة عمرية معينة بالحالة الزواجية والأسرية للفرد. رجلاً كان أو امرأة. بمعنى أن الرجل من المنظور الاجتماعي النفسي لا يشعر بتحقيق الذات بشكل كامل إلا إذا كان ضمن عوامل أخرى متزوجاً وله أولاد. كما أن المرأة من المنظور نفسه لا تشعر بأن ذاتها (كأنثى) قد تحققت إلا بوجود هذا الشرط.

ولقد كانت الانتقادات الرئيسية لنظرية ماسلو عالم النفس الشهير أن حديثه عن تحقيق الذات لا ينسحب

إلا على مجال العمل، خاصة عندما أفاض في وصف خصائص الأشخاص المحققين لذواتهم. لقد نسي ماسلو أن تحقيق الذات لا ينحصر في مجال العمل فقط وكثير من النساء العاملات يتركن العمل رغم نجاحهن الساحق فيه إذا تضارب مع دورهن كزوجات وأمهات. كما أن العديد من الرجال الذين حققوا ذواتهم على المستوى المهني وذاعت شهرتهم الآفاق، كانوا من أتعس الناس نفساً بسبب عدم قدرتهم على تحقيق ذواتهم في المجال الزواجي والأسري. وعلى الرغم من أن إدراك أهمية الزواج وتكوين أسرة كعامل ضمن عوامل تحقيق الإنسان لذاته، إلا أن هذا الإدراك يكون كامناً أو غامضاً بعض الشيء في المراحل العمرية الأولى من حياة الشخص، ولكنه يظهر بصورة قوية منذ مرحلة البلوغ باعتباره دافعاً للزواج وتكوين أسرة.

١٣-الحاجة إلى المجاهدة: إنها حاجة الفرد إلى الكفاح للتغلب على الضعف والاحتفاظ باحترام الذات، فالإنسان في حاجة إلى أن يجاهد ويكافح إما لتحقيق هدف أو رسالة أو مبدأ أو قيمة أو حتى لمجرد الاستمتاع بالحياة، ومن الطبيعي أن يختلف الكفاح في مضمونه وشدته من فرد إلى آخر حسب الجنس والسن والمستوى الطبقي وغير ذلك

من العوامل، ولكن تبقى الحاجة إلى المجاهدة من الدوافع التي تفسر الكثير من سلوكيات الفرد. وفي القرآن الكريم ما يشير إلى أن هذه الحاجة فطرية في الإنسان، ويتضح ذلك من قول الحق سبحانه: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾، أي في مكابدة ومجاهدة، والتي قد تتخذ صوراً متعددة وأساليب مختلفة من بينها الكفاح والمثابرة. ولا تنفصل هذه الفكرة بأية حال من الأحوال عن دوافع الزواج وتكوين أسرة، فالشاب أو الفتاة يعرفان جيداً -بدرجات متفاوتة- أن الزواج يتضمن التزاماً ومسؤولية وقيوداً. وفي كثير من الأحيان يتطلب مضاعفة الجهد في العمل (المهنة) لتوفير مستلزمات المعيشة، ويعرفان كذلك مدى المشقة التي تتطلبها تربية الأطفال من رعاية نفسية وصحية وتعليم وكساء وغذاء..الخ.

وعلى الرغم من إدراك كل هذه الصعوبات وغيرها، إلا أن الأفراد يقبلون على الزواج لتكوين الأسرة. أحد جوانب تفسير ذلك يتمثل في الحاجة إلى المجاهدة، ليس فقط لأنها من تكوين الإنسان، ولكن أيضاً من مفهوم تقييم الناتج المتحصل على ضوء الجهد المبذول ولعل هذا يفسر لنا بعض جوانب رفض الفتاة الزواج من شخص معين

وترحيبها بالزواج من شخص آخر، وكذلك الأمر بالنسبة للفتى، إن الفرد رجلاً كان أم امرأة يدخل في عملية تقييم معقدة، تتدخل فيها عوامل نفسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وبيولوجية، وينتهي إلى رفض الشخص وليس إلى رفض مبدأ الزواج مطلقاً، اللهم إلا في الحالات النادرة والتي غالباً ما تكون مرتبطة بأمراض نفسية، إن عدم رفض المبدأ، أو حتى تأجيل تنفيذه يؤكد الحرص عليه، ويفسر ذلك بعوامل عديدة من بينها الدافع إلى المجاهدة.

١٤-الحاجة إلى المعاضدة: يقصد بها حاجة الفرد إلى دعم الآخرين ومساعدتهم له، وإلى أن يدعم الآخرين ويساعدهم، أي الحاجة إلى المعاضدة المتبادلة على المستويين السلوكي والمعنوي، لا شك أن الفرد رجلاً كان أو امرأة يتوقع أن يجد نوعاً من الإشباع لهذه الحاجة في إطار الأسرة، فالأب يترجم مسؤوليته تجاه الأولاد والزوجة إلى واقع عملي من الرعاية والاهتمام من خلال مسالك عديدة مثل الإنفاق ومتابعة دروسهم واصطحابهم إلى أماكن الترفيه...الخ والزوجة تترجم مسؤوليتها تجاه الزوج والأولاد إلى واقع عملي من خلال الرعاية اليومية لشئون المنزل بمعنى آخر يصبح القيام بدور الأب ودور الأم تجاه الأسرة

مصدر إشباع للحاجة إلى المعاضدة من خلال (العطاء). أي أن لأداء الدور انعكاسات نفسية ممثلة في إشباع حاجة معينة. وتختلف درجة هذا الإشباع باختلاف نوعية وكفاءة أداء الفرد لواجبه الأسري تجاه الأفراد الآخرين بالأسرة.

أما جانب (الأخذ) بمعنى الحصول على المعاضدة والدعم من الآخرين، فإنه يتمثل في توقع الزوجة موقفاً إيجابياً من الزوج وتوقع الزوج موقفاً إيجابياً من الزوجة. وكلاهما يتوقع موقفاً إيجابياً من الأبناء. والموقف الإيجابي تتعدد أشكاله ومحتوياته ودرجاته بدءاً من الثناء والتقدير وانتهاء بالأفعال والسلوكيات التي تعبر عن الاهتمام والتعاون. وفي ظروف معينة يتوقع الزوج كما تتوقع الزوجة الحصول على الدعم والمساندة من أسرة التوجيه. سواء كانت ظروفاً سارة أو غير سارة. في الوقت نفسه يتوقع الآباء الحصول على مساعدة ودعم الأبناء لهما في المستقبل. بعد أن يتقدم بهما العمر، ويصبح كل منهما في حالة من الضعف. إن الحاجة إلى المعاضدة تتضمن بعض جوانب المشاركة والتعاون. كما يتداخل فيها الأخذ والعطاء. الحاضر والمستقبل. الجوانب السلوكية والانعكاسات النفسية.

١٥-الدوافع الجمالية: تنظر الدراسات النفسية إلى الدوافع الجمالية على أنها تشمل الموسيقى والفن والشعر، والجمال كقيمة ودافع في الوقت نفسه. غير أننا يمكننا التوصل إلى فهم أفضل للدوافع الجماليه في الزواج وتكوين أسرة من خلال الربط بين الرؤية الفلسفية والرؤية النفسية.

يصنف بعض الفلاسفه القيم التي تضبط سلوك الإنسان تحت معاني أساسيه هي الحق والخير والجمال في مقابل الأوجه الثلاثة التي يحلل بها علماء النفس حياة الإنسان الواعية وهى الإدراك والسلوك والوجدان. فالإدراك يحدث حالة شعورية تضعف أو تشتد وفق خطورة الموقف الذي يحيط بالفرد، ويتصرف الفرد على النحو الذي يحقق له ما يبتغي، والغرض في الإدراك أن يكون صحيحاً لا مضللاً حتى يجيء السلوك آخر الأمر على أساس سليم.

ومن هنا كانت قيمة الحق في حياة الإنسان، فهو يريد أن يعلم ما هناك على وجه الدقة واليقين، وعلى الحق يبني الإنسان علمه، وعلى علومه يبني حياته المادية كلها. هذا عن قيمة الحق وما يقابلها من معنى الإدراك. أما عن قيمة

الخير وما يقابلها من السلوك، فإن هدف الفرد أن يجيء سلوكه محققاً لأهدافه، والسلوك الصحيح (فضيلة)، وهذا يعني السلوك الذي تدل خبرة الإنسان أنه خير ما يحقق الأهداف، والإنسان يقيس صواب السلوك بمقياس الخير الذي يترتب على فعله فالخير إذن قيمة ترشد السلوك. أما عن الوجدان فهو مجازاً الحلقة الوسطى بين الإدراك والسلوك، وهنا نجد أن الإنسان يبتغي لنفسه أن تجيء الحالة الوجدانية بما يشيع في نفسه الطمأنينة والرضا، فنراه على هذا الأساس يختار ثيابه ومسكنه ويبدع الفنون صوتاً ولوناً ونحتاً وعمارة.

إن الجمال أحد قيم ثلاث تدور عليها حياة الإنسان دوران الرحى حول قطبها، وعلى الرغم من أن الحاجات الجمالية التي يشبعها الزواج وتكوين أسرة قد تبدو غير واضحة في نظريات الدافعية، إلا أن مظاهرها موجودة ربما بدرجة تفوق الحصر، وينظر الأفراد إلى حياتهم الزوجية والأسرية في بعض جوانبها على أنها لا تخلو من الجمال الفني والجمال الطبيعي، تستهدف الخلق والإبداع، أو تقنع بالتقدير والتذوق، وإذا افتقدت ما يعبر عن ذلك يكون هذا الافتقاد مصدراً للتوتر وفقدان الاتزان، وقد يترتب عليها إخفاق

مشروع الزواج أو تداعي الحياة الأسرية. شيء جميل في حياة المرأة عندما يتقدم لخطبتها شاب تتوافر فيه ما كانت تتمناه. المنطق نفسه بالنسبة للرجل. مرحلة الخطوبة بما فيها من تعارف وتآلف. تأثيث منزل الزوجية بما يضفي عليه مسحة جمالية تناسب العرس. حفل الزفاف وإتمام الزواج. الحمل وإنجاب الأطفال. السكينة والمودة والرحمة في العلاقة بين الزوجين. ترتيب المنزل بنظام معين... الخ كل هذه الجوانب وغيرها يأملها الفرد رجلاً كان أو امرأة وكثيراً ما تكون دافعاً قوياً للزواج. ويتخوفون من افتقادها إنهم يتطلعون إلى نوع من الانفعال الجمالي القائم على الانسجام والتوافق بما يعلي شأن قيمة الإنسان. وهنا نجد اقتران القيم الجمالية بالجانب الذاتي القائم على التأثر بالمواقف والاستمتاع بما فيها من جمال. هذا التأثر والاستمتاع ربطه الفلاسفة بالعقل. خاصة الفلاسفة الذين ارتكزت رسالتهم على فكرة (جمال) الإنسان. لقد كشفوا عن إيمان عميق باعتباره كائناً جمالياً. إنهم يرون الإنسان ليس مجرد حيوان ناطق. وإنما هو إنسان وتكمن إنسانيته في تمتعه بالعقل الكلي الذي لا ينحصر في ذاتيته الجزئية. كما أنه جميل لأنه يجمل حياته بالعقل

ويحاول أن يصل إلى الكمال ومجرد محاولته تلك -تبرهن على أن النقص جزء من النسيج البشري.

(ب) دور الأسرة في إشباع حاجات الطفل

يرى بعض علماء النفس المحدثين أن خبرات الطفولة المبكرة تترك آثاراً دائمة في شخصية الفرد، وقد عنوا عناية خاصة بخبرات الرضاعة والتبرز والجنس وأثرها في شخصية الراشد. وقد اقترحوا مجموعة طرق لتربية الطفل ويرون أنها تضمن نمو شخصيته نمّوًا سوّيا. إنهم مثلا فضلوا الرضاعة من ثدي الأم على الرضاعة من الزجاجة، وقالوا بوجوب التأخر في تدريب الطفل على إخراج فضلاته، كما قالوا بعدم فرض جدول قاس بمواقيت إطعام الطفل. غير أن التجريب لم يؤكد صحة هذه النظريات دوماً، وتتفق الدراسات النفسية الأكثر إمبيريقية على أن نمو الطفل متكيفاً تكيفاً حسناً، وكينونته راشداً صالحاً يتوقف على مدى إشباع الحاجات العضوية والحاجات النفسية، وسوف نتناول أهم الحاجات النفسية التي تتيح الأسرة إشباعها للطفل:

١-الحاجة إلى الانتساب والانتماء: إن الطفل بحاجة ماسة إلى الأب والأم لينمو نمواً سوياً. فإذا كان غياب أحد الوالدين غياباً طويلاً يضعضع الطفل ويجعله يحن إلى الغائب العزيز فماذا يحل به إذا غاب عنه أبواه معاً أو تخليا

عنه؟ إن الانتساب لوالدين أو "لأسرة" هو حق أساسي للطفل. ولنا أن نتصور مدى المعاناة إذا اكتشف الفرد أنه كان لقيطاً أو كان أبواه مجهولين. إنه يشعر بذل شديد واحتقار للنفس قد يؤثران في مجرى حياته وطباعه ويجعلانه محباً للعزلة والانطواء والبعد عن الأقران والمجتمع، حزيناً حتى اليأس (٩).

٢-الحاجة إلى الأمن: إن الطفل يشعر بخوف غامض يستولي عليه ولا سيما إزاء الغرباء، وفقدان الشعور بالأمان يسبب قلق الطفل وخوفه وعدم استقراره، لذلك يشعر بالحاجة لأن يلجأ إلى حضن أمه ولكي يكون قرب والديه حتى يشعر بالأمان ويتقي شر المجهول. ويكون على الأم الدور الأكبر في إشباع حاجة الطفل إلى الأمن خلال العام الأول، وسرعان ما تصبح مسؤولية بقية أفراد الأسرة - الأب والأخوة الكبار للطفل، ومن خلال رعاية الطفل وتغذيته والاهتمام به ومداعبته يشعر بالحماية والأمن تجاه أي مصدر تهديد، ويشعر بالأمان على حاضره ومستقبله، وما لم تتوافر هذه العوامل في المناخ العائلي يصبح الطفل أكثر عرضة للاضطراب النفسي والسلوكي.

٣-الحاجة إلى الحب والمحبة: وهي من أهم الحاجات الانفعالية التي يسعى الطفل إلى إشباعها. إنه في حاجة إلى أن يشعر بحب الآخرين له، وأن يحب الآخرين، فالحب المتبادل بين الطفل ووالديه وإخوته وأقرانه وغيرهم من المحيطين به يمثل حاجة أساسية لصحته النفسية، كما أن الطفل يريد أن يشعر أنه مرغوب فيه، وأنه ينتمي إلى جماعة ودودة، وإلى بيئة اجتماعية صديقة. إنه يحتاج إلى الصداقة والحنان وما لم تشبع هذه الحاجة لدى الطفل يصبح عرضة للاضطراب النفسي وسوء التوافق لأنه محروم عاطفياً.

٤-الحاجة إلى الرعاية الوالدية والتوجيه: فالرعاية والتوجيه تكفل للطفل تحقيق مطالب النمو النفسي والجسمي على النحو السليم، ويكون إشباع هذه الحاجة من خلال تعبير الوالدين عن سرورهما بالطفل وتقبله والفخر بدورهما كوالدين، مع إحاطة الطفل بالحب والرعاية والاهتمام.

ويلاحظ أن انشغال الوالدين عن الطفل، أو عدم وجودهما أحدهما أو كليهما بجواره لسبب أو لآخر لا يتيح

الفرصة للطفل في تحقيق المستوى الجيد من النمو في أبعاده المختلفة.

٥ - الحاجة إلى الاستقلال واحترام الذات: إذا كان الطفل في حاجة إلى رعاية الآخرين وتوجيهاتهم، فإنه ينحو في نموه إلى الاستقلال والاعتماد على النفس. إنه يحتاج إلى تحمل بعض المسئوليات وإلى قدر من الحرية في أداء بعض الأعمال بنفسه دون معونة من الآخرين فإذا كانت الأسرة تتيح للطفل هذه الفرصة، وتشجعه على التفكير الذاتي المستقل، وتعامله على أن له شخصيته المستقلة ووجهة نظره الخاصة في بعض الأمور، فإنها تشبع فيه الحاجة إلى الاستقلال. من جهة أخرى يشعر الطفل بالحاجة إلى المكانة واحترام الذات، وأنه جدير بالاحترام وأنه كفء يحقق ذاته ويعبر عن نفسه في حدود إمكاناته وقدراته، وهذا يصاحب عادة احترامه للآخرين. والطفل يسعى للحصول على المكانة المرموقة التي تعزز ذاته وتؤكدها، وهنا يأتي دور الأسرة في إتاحة الفرصة للطفل أن يقوم بالأشياء التي تبرز ذاته ويستخدم فيها قدراته استخداماً بناء، كما يتعين أن يعبر الوالدان عن احترامهما وتقديرهما لإنجازات الطفل.

٦-الحاجة إلى تعلم المعايير السلوكية: إن الطفل يحتاج إلى تعلم المعايير السلوكية نحو الأشياء والأشخاص ويحتاج إلى المساعدة في تعلم حقوقه وواجباته، ماله وما عليه، ما يفعله وما لا يفعله وكذلك يحتاج إلى معرفة ما يصح ومالا يصح وهو في خلوة أو في جماعة، أو وهو في الأسرة أو خارج نطاقها..الخ. ويقوم الكبار بإشباع حاجة الطفل إلى تعلم المعايير السلوكية، وتقوم الأسرة ثم المدرسة ووسائل الاتصال بهذا الإشباع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ولكن دور الأسرة يعتبر محورياً في هذا الشأن، ليس فقط لأنها المؤسسة الاجتماعية والنفسية الأولى للطفل، ولكن أيضاً لأن الطفل يقضي الغالبية العظمى من وقته في التفاعل داخلها.

٧-الحاجة إلى إرضاء الآخرين: يحتاج الطفل إلى أن يكون الآخرون راضين عنه، سواء كانوا من الراشدين أو الأقران، فالطفل يرغب في إرضاء الكبار حتى يحصل على الثواب أو العائد. ويقوم الوالدان والأخوة الكبار في الأسرة بإشباع هذه الحاجة لدى الطفل من خلال إتاحة الفرصة له لأن يقوم بالسلوك الإيجابي وتشجيعه على القيام

بهذا السلوك والإعراب عن الاستحسان والتقبل لأداء الطفل و تصحيح أدائه برفق. إن إشباع حاجة الطفل إلى إرضاء الآخرين يساعده في تحسين سلوكه وفي توافقه النفسي الاجتماعي، حيث يلاحظ في سلوكه استجابات الكبار والآخرين بصفة عامة ويحرص على إرضائهم، كما أن حرص الطفل في سلوكه على إرضاء أقرانه يكون تحت دافع جلب السرور وكسب حبهم وتقديرهم وترحيبهم به كعضو في جماعتهم، ويكون إشباع هذا الدافع من خلال إتاحة الفرصة للطفل أن يتفاعل مع أقرانه ومشاركتهم في اللعب والعمل، ويلعب الوالدان دوراً أساسياً في تشجيع الطفل على التعامل مع الأقران وتزويده بالقيم والمعايير التي تجعل سلوكه مقبولاً في هذا الشأن.

٨- الحاجة إلى الإنجاز والتقدير الاجتماعي: يحتاج الطفل إلى التحصيل والإنجاز والنجاح، ولذلك نجده يسعى إلى التعرف على البيئة المحيطة عن طريق الاستطلاع والاستكشاف والبحث وراء المعرفة، وعندما يشجع الوالدان طفلهما على ذلك في ضوء توجيهات تربوية سليمة، تكون الفرصة مواتية لتوسيع إدراك الطفل وتنمية شخصيته وغرس روح الشجاعة فيه، وعندما

يعبر الوالدان عن استحسان إنجازات الطفل، وكذلك عن تقديرهما لإنجازاته وأدائه وشخصيته، فإنهما يشبعان فيه الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير وهذا يمكنه من القيام بدوره الاجتماعي السليم الذي يتناسب مع سنه ومع المعايير المعمول بها.

٩- الحاجة إلى اللعب والمرح: إن اللعب ضروري لنمو الطفل جسمياً ونفسياً وعقلياً، وهو وسيلة هامة ليتعرف الطفل على المحيط الاجتماعي واكتشاف العالم من حوله، كما أن اللعب يكشف عن ميول الطفل ويعبر عن دوافعه وغرائزه وينفس عن رغباته المكبوتة بأسلوب صحيح. وفي السنة الأولى يكون لعب الطفل انفرادياً ثم يتطور ليصبح في جماعة الأقران، ويسهم اللعب الانفرادي في جعل الطفل يعتمد على نفسه وعلى قدراته الذاتية، أما اللعب في جماعة من الأطفال، فإنه يجعل الطفل اجتماعياً يعتاد على الأخذ والعطاء ويقلل من نزعاته الأنانية ويخرجه من عزلته وانطوائيته، ويتيح له الفرصة في التعبير عن قدراته بحرية، ويعلمه المنافسة الحرة والروح الرياضية ويجلب له السرور لدرجة أن الطفل يتحمل الشدائد ويستقبلها بصدر رحب أثناء اللعب مع الأقران(١٠).

ويبرز دور الأسرة في إشباع حاجة الطفل إلى اللعب من خلال إتاحة الألعاب له، واختيار الألعاب التي تناسب عمره وجنسه، وتخصيص وقت لمشاركة الطفل ألعابه، إذ إن الطفل يسعد بذلك. كما تقوم الأسرة بدور التوجيه الهادف، بحيث لا يكون اللعب لمجرد اللعب، وإنما يكون بجانب ذلك للتسلية والإمتاع وتنمية ملكات التفكير، وتنشيط قدرات الطفل الحركية والعضلية. ومن خلال توجيه الوالدين للطفل أثناء اللعب تنمى فيه العديد من الفضائل كالتعاطف والمحبة والمساواة والتعاون واحترام حقوق الآخرين، والإيثار، والرحمة والرفق. كما تشبع الأسرة حاجة الطفل إلى المرح والانطلاق من خلال إتاحة الفرصة كي يخرج من المنزل إلى حديقة أو نادٍ ليجري وينطلق دون أن تحده قيود، فالألعاب المتوفرة داخل المنزل لا يمكن أن تعوض عن الحركة الحرة ولا يمكن أن تسد النقص الذي ينتج عن عدم لقائه بأطفال من سنه يتبادل معهم أحاديث الطفولة وخيالاتها.

١٠- الحاجة إلى الحرية: وتشمل حرية اللعب والتسلق والجري وحرية التعبير والكلام وحرية التفكير، فالحرية من العوامل التي تساعد الطفل على النمو، لكن الحرية التي نقصدها ليست الحرية المطلقة، بل هي الحرية الموجهة والمنظمة لأن الحرية بدون توجيه وتنظيم تورث القلق، فالطفل دائماً بحاجة إلى سلطة عطوفة مرشدة، قوية ضابطة، ولا تعارض في الإطار العائلي بين الحرية والسلطة، فالوالدان مثلا يمكن أن يتركا للطفل حرية اختيار اللعبة التي يفضلها والطعام الذي يشتهيه، ولون الثوب الذي يحب أن يرتديه.. وغير ذلك من الأمور التي تتمشى مع ميل الطفل إلى ممارسة حرياته ضمن قواعد محددة بما يقيه خطر السقوط ويشعره بالأمان، هذه القواعد بما تمثله من سلطة حافظة، يشعر بها الطفل طبيعياً ويحب الخضوع لها حتى عندما يرفض دعوتنا له ويقول (لا)، فهذه (اللا) الرافضة لا تعبر عن إحساساته العميقة بل هي نوع من التنكيد والمضايقة، أو هي في بعض مراحل العمر حاجة بريئة إلى إثبات الذات (١١).

مراجع ومصادر الفصل الثالث

١-سناء الخولي، الأسرة في عالم متغير (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤) ص١٧٥.

٢-زيدان عبد الباقي، الأسرة والطفولة (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٩) ص٤.

٣-جبارة عطية جبارة، المشكلات الاجتماعية والتربوية: تشخيص، علاج، وقاية (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢) ص ١٣-١٣٤.

٤-نوال نصر، معلم مرحلة التعليم الأساسي والضبط الاجتماعي داخل الفصل الدراسي، مجلة دراسات تربوية، المجلد العاشر، الجزء ٦٩ (القاهرة: رابطة التربية الحديثة، ١٩٩٤) ص ٢٥ - ٥٦.

5-Clarence Hibbs. The church as ■ Multigenerational relational in: Hendrika vande kemp (ed) family Therapy: christian system. perspectives. christian explorations in psychology (Grand Rapids: Baker Book House. 1991) PP 1.9 - 134.

٦-محمد عثمان نجاتي، علم النفس والحياة، ط١٥ (الكويت: دار القلم، ١٩٩٣) ص١,١.

٧-أحمد زكي صالح، علم النفس التربوي (القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٩١) ص٢٧٦.

8-M.R.Yorrow Maternal Employment and child rearion (New york: lon gnan, 1961.

٩-إلياس ديب، عالم الولد، ط١ (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٨٦) ص١١٥.

١٠-عاكف يوسف صوفان، طفلك ليس أنت، ط١ (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٨) ص٥٥.

-حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة ط٥ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٠) ص٢٩٨.

١١- إلياس ديب، مرجع سابق، ص١١٨.

الفصل الرابع

الأسرة: تنظيم اجتماعي فاعل في تطبيق الشريعة الإسلامية

إن أي تنظيم اجتماعي لا بد أن يرتكز على نسق قيمي معين، ولقد تضمن الدين الإسلامي الحنيف نسقاً قيمياً متكاملاً للأسرة بما يضمن الحفاظ عليها قوية متماسكة بما يعود بالخير على المجتمع كله بكافة أفراده وتنظيماته الاجتماعية، ذلك أن الدين بوجه عام كمصدر للقيم هو ذلك الجهد الذي له من العمر ما عاشته الإنسانية نفسها، وهو الأفكار والمشاعر والآمال التي تستعر مشبوبة في صدر المؤمن لما تحمله من قيم تفوق القيم جميعاً.

وتكمن أهمية الدين في عمق الشعور بتلك القيم وشدة الاقتناع بها والتي تشير إلى وجود واقعي وضرورة لا مفر من مواجهتها، ويقف الإحساس بوجود تلك القيم على قدم المساواة مع إحساس المؤمن بوجوده هو نفسه، فالدين هو الوعي بتلك القيم والغايات والسعي دوماً إلى تدعيمها والتوسع في نشر أثرها. والأديان جميعاً تستند إلى موقف معين من القيم، ولعلها هي نفسها موقف قيمي صريح، وتعتمد نظرة الأديان الكونية على تعيين مراتب الأشياء والأفعال ومنازلها، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عرف ذلك التدرج في المنزلة كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة، قد يكون منها الطقوس والشعائر

والصلوات والمعاملات. ويسلم هذا التدرج القيمي إلى قيمة عليا تكون منبع القيم جميعاً ومصدر السلطة والإلزام وأصل الوحدة في كل تجليات الكون.

وعلى هذا الأساس يكون الفوز في الدنيا والآخرة محسوباً بمدى الامتثال للقيم الدينية والأخذ بما تأمر به واجتناب ما تنهي عنه (١) ويتضمن الدين الإسلامي نسقاً قيمياً صالحاً لكل جوانب الحياة في المجتمع الإنساني في كل عصر وفي كل أوان بما في ذلك ما يتعلق بالأسرة. في هذا الإطار نجد أن الدين الإسلامي يعترف صراحة بالطبيعة البشرية ولا ينكر عليها مطالبها، ويقرر أن الزواج هو النظام الذي يباح في إطاره اتصال الذكر بالأنثى اتصالاً له صفة الاستدامة وذلك بتنظيمه وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما يحتويان من أحكام تتمشى مع طبيعة البشر دون أن تحملها ما لا تطيق. ومن حكم تنير السبيل وسط خضم الحياة وتعين على تحمل أعبائها.

في هذا الجو الزواجي الإسلامي يكون إنجاب الأطفال وتنشئتهم في أسرة متماسكة متحابة، وفي سبيل ذلك يضع الإسلام تدابير وقائية وأخرى علاجية تتضمن تحقيق

هذا الهدف بما فيه صلاح الإنسان في الدار الدنيا والدار الآخرة.

فإذا كان الإسلام قد أباح الزواج ولم ينكر على الفطرة البشرية مطالبها، فإنه في الوقت نفسه وضع تدابير وضوابط من شأنها تحقيق الهدف الأسمى لوجود الإنسان وهو أن يكون خليفة الله في الأرض، فتكون بمثابة عاصم للإنسان من الشيطان ومن نفسه الأمارة بالسوء، وهذا يعني أن أي تشريع يخالف ما جاء به الإسلام في أي شأن من شؤون الحياة، لا بد أن يكون وخيم العاقبة على الفرد والجماعة والمجتمع. فإذا نظرنا إلى ما يخص الزواج والأسرة من تدابير وضوابط إسلامية، نجد أنها تضمن كفاءة الأسرة في تحقيق أقصى إشباع ممكن لحاجات الوالدين والأبناء، كما أنها تضمن في الوقت نفسه استمرار توالد وتدفق العواطف والمشاعر بصورة متبادلة بين جميع أفراد الأسرة وهي كذلك تجعل من الأطفال قرة عين لوالديهم، وتجعل من الوالدية دعماً عاطفياً، وحماية عاطفية للأبناء، وتحول دون الاضطراب العاطفي، وتتيح أفضل الإمكانيات للتعبير عن العواطف وتحقيق التوازن النفسي. غير أن ذلك كله يتوقف على الالتزام بمعايير وضوابط وضعها الإسلام

كي تحقق الأسرة غاياتها وأهدافها وهي في ذلك تكون مجالاً وأداة في تطبيق الشريعة الإسلامية، وسوف نناقش فيما يلي دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال المباحث الأساسية الآتية:-

المبحث الأول: تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجي.

المبحث الثاني: الأسرة والتربية الإسلامية للأبناء.

المبحث الثالث: دور الأسرة في غرس مفاهيم العقيدة والعبادات الإسلامية.

المبحث الرابع: دور الأسرة في تطبيق الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفرادها.

المبحث الخامس: دور الأسرة في تطبيق الأخلاق الإسلامية في المعاملات.

وفي الصفحات القادمة توضيح لهذه العناصر بإيجاز.

المبحث الأول: تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجي

يبدأ الزواج، أي طلب المرأة للزواج منها بالوسيلة المتعارف عليها، وهي الخطبة باعتبارها من مقدمات الزواج وقد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجية ليتعرف كل من الزوجين على الآخر، ويكون الزواج على هدى وبصيرة. والحكمة الإسلامية في أن يكون الزواج مسبوقاً بالخطبة، تكمن في إعطاء الفرصة لكل من الخاطب والمخطوبة أن يرى كل منهما الآخر رؤية شرعية، حتى يكون الوفاق والاتفاق بينهما مبنيين على المعاينة المباشرة، ومعلوم أن نظر الرجل إلى المرأة يستتبع نظرها إليه، فإذا قبل كل منهما الآخر توطدت دعائم الزواج بينهما وعاشا حياة مستقرة راضية (١)، والقبول الذي نعنيه هو القبول الحقيقي الصادق بصورة متبادلة بين الطرفين، كما أن الحياة المستقرة الراضية لا تعني أن الحياة الزوجية ستكون نعيماً مقيماً، وإنما لا بد أن تتضمن نوعاً من الصعوبات وبالتالي لابد أن يكون هناك حرص وتضحية من الطرفين حتى تستقيم الحياة الزوجية ويسودها التوافق. ويعطي الإسلام المرأة - ثيباً كانت أم بكراً - الحرية الكاملة في إبداء رأيها

فيمن يخطبها، بالقبول أو بالرفض، وليس لوليها أو أبيها الحق في إجبارها على الزواج ممن لا تريده، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «لا تزوج الأيم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن» (٣) والأيم هي المطلقة أو الأرملة، واستئمارها يعني طلب الأمر منها بعد استشارتها.

فالارتباط الزواجي لا بد أن يقوم على الاختيار الحر لكل من الطرفين، والمرشد الأساسي والذي لا غنى عنه لهذا الاختيار هو "التمسك بالدين"، وتبرز لنا حكمة الرسول ﷺ بهذا الصدد في نصحه بالظفر بذات الدين: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (٤)، ويؤكد نفس المعنى في الرجل عندما يتقدم لخطبة المرأة: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» (٥) ويحذر الرسول ﷺ من اختيار شريك الحياة على أسس أخرى غير الدين: «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها، لم يزده الله إلا دناءة» (٦). لقد جاء الإسلام ليهذب النفس البشرية ويكبح شهواتها، فالله عز وجل خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد. ولقد كشفت النظريات

النفسية والاجتماعية (فيما بعد) عن أن هناك دوافع شعورية أو لا شعورية تدفع الشخص إلى اختيار الشخص الذي يجد فيه تكميلاً لنقصه. وكثير من يبحثون عمن تتوافر فيهن هذه الصفات الواردة في الحديث ليتزوجوا منهن، إنما يؤكدون عليها لأنهم يفتقدونها في أنفسهم، فالأذلاء ينشدون العزة، والفقراء يبغون الثروة، والأدنياء يولعون بالحسب. أما الأسوياء فهم الذين يضعون تمسك المرأة بدينها كأساس للاختيار الزواجي. وقد قال الرسول ﷺ: «من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها».

وإذا كانت الشخصية هي ناتج الوراثة والبيئة، فإن الدين الإسلامي الحنيف قد أحاطنا علماً بهذه المسألة ونحن بصدد الاختيار للزواج. فقد حذرنا الرسول ﷺ من المرأة الجميلة التي نشأت في بيئة فاسدة، غير سوية: «إياكم وخضراء الدمن» (٧). ويقول الرسول ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» (٨). والهدف من هذا التخير تجنيب الأسرة العلل والأمراض الوراثية التي تضعف النسل وتؤدي إلى أزمات وضغوط على الأسرة، وآثار سيئة على المجتمع. ويؤكد الرسول ﷺ نفس المعنى المشار إليه في حديث آخر بقوله

ما معناه «اغتربوا لا تضووا»، «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا» أي نحيفاً. أي أن الإسلام يوضح لنا الضوابط بحيث يكون النسل قوياً، وقد أثبت الطب الحديث صحة هذا الاتجاه، ففي حالة القرابة القريبة قل أن ينجو الأطفال من الأمراض الموجودة بالأسرة أو العيوب الموروثة، ولكن إذا كان الزوجان من أسرتين متباعدتين، فإنه يكثر أن ينال الأطفال خير ما في الأسرتين، وأن يفلتوا من عيوب أهل الأب وأهل الأم (٩). ومما لا شك فيه أن الزواج الذي لا يسفر عن إنجاب يفقد الأسرة كثيراً من البهجة، ويتعس الزوجين ويقلقهما، ولذلك يحرص الإسلام على تجنيب الأسرة مثل هذه الأمور، ويحرص على التبصير بالتدابير التي تجعلها أسرة "مكتملة". يقول الرسول ﷺ: «عليكم بالودود الولود» (١٠)، «لا تزوجن عجوزاً ولا عاقراً فإني مكاثر بكم الأمم» (١١) أي أن الإسلام يرغب في اختيار المرأة الخصيبة للزواج، ومع أن الإسلام قد وضع أمامنا الصورة المثالية للزوجة الصالحة، إلا أنه صارحنا منذ البداية بطبيعة المرأة، وبالتالي ما يجب أن تكون عليه معاملتنا لها حتى تستقيم الحياة الزوجية، لقد قال رسول الله ﷺ ما معناه أن «المرأة خلقت من ضلع أعوج» لا شك أن ذلك توجيه للأزواج أن يوطنوا

أنفسهم على ما يعرفه كل مسلم من أن الكمال لله وحده. وأن الزوج إن كره من زوجته خلقاً رضي منها آخر. أما أن يطلب الكمال، وهو يعرف أنه هو نفسه لم يصل إلى الكمال ولن يصل إليه، أو يصر على استعمال الشدة مع الزوجة لتحقيقه فهذا سوف يحطم الحياة الزوجية. وعلى ضوء تعاليم الإسلام، فإن الحياة الزوجية يجب أن يسودها التسامح والتغاضي عن بعض الأمور التي لا تمس الدين أو الفضيلة، والوصول باللين إلى ما تعجز الشدة عنه. لقد استوصى الرسول ﷺ بالنساء خيراً، وبين لنا الإسلام أن هناك حقوقاً للزوجة وحقوقاً مشتركة بينهما. كما أن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله، وقد كان رسول الله ﷺ يغمر بيته بالبشاشة والإيناس والرفق. ومن أقواله ما معناه أن الله عز وجل يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق. وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق، وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير كله (١٢).

المبحث الثاني: الأسرة والتربية الإسلامية للأبناء

إن طريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة روحه وعقله، حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض، إن الإسلام يتعامل مع الكائن البشري ككل، ويأخذه بفطرته التي هو عليها دون أن يغفل شيئاً من هذه الفطرة، ودون أن يفرض عليها شيئاً ليس في تركيبها الأصيل، فيتناول الإسلام هذه الفطرة بدقة بالغة يعالج كل وتر منها، ويضبط كل نغمة تصدر عن هذا الوتر فيضبطها بضبطها الصحيح، والإسلام في الوقت ذاته يعالج الأوتار مجتمعة ولا يعالج كلاً منها على حدة حتى لا تصبح نشازاً لا تناسق فيها، ولا يعالج بعضها ويهمل البعض الآخر، حتى لا تصبح النغمة ناقصةً غير معبرة عن اللحن الجميل المتكامل الذي يصل في جماله الأخاذ إلى درجة الإبداع (١٣).

وقد اقتضت طريقة الإسلام في التربية على هذا النحو (تجنيد) كافة المؤثرات التربوية بما يتناسب مع خصائص كل مؤثر، ومع نتائج تفاعلات هذه الخصائص مجتمعة، ومع فطرة الإنسان بما ينتج عنه تحقيق أهداف التربية المتكاملة على النحو الصحيح، كان من الطبيعي وفق

هذه الرؤية الإسلامية أن تأتي الأسرة كمؤسسة تربوية أساسية. فالأسرة تمثل أهم المحاضن التربوية وأقواها أثراً في بناء شخصية الطفل، إنها الوعاء الاجتماعي الأول الذي يتلقى الطفل ويتفاعل معه ويشعر الطفل بالانتماء إليه، ويتعلم منه كيف يفكر ويسلك في سعيه لإشباع حاجاته ودوافعه. فالأسرة تسهم بالقدر الأكبر في تشكيل شخصية الطفل ورسم توجهاته في الحياة، والطفل يعتمد على والديه اعتماداً كلياً في بدايات حياته، فهو يتعلم منهما المعرفة بأنماط السلوك، والعادات، والقيم التي يتشربها بالمحاكاة والتقليد والتوجيه. كما يتعلم اللغة وكيفية التعبير عن أفكاره ومشاعره، ويعتمد الطفل على الوالدين في غذائه وكسائه ونظافته.... الخ. أي أن الأسرة بمثابة المجال الأول الذي يتلقى من خلاله التربية المتكاملة بدنياً، وعقلياً وإيمانياً، ووجدانياً واجتماعياً، وقد بينت الشريعة الإسلامية أصول التربية ودور الأسرة في ذلك:

التربية البدنية

وهي تهدف إلى المحافظة على الجسم قوياً سليماً خالياً من الأمراض والعلل. ووسيلة ذلك الغذاء الصحي والوقاية والعلاج من الأمراض. وقد أولت الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً بالتربية البدنية على أساس أن الإسلام دين القوة، وتأتي قوة البدن على رأس الأخذ بأسباب القوة. وقد أرسى الإسلام أصول التربية البدنية التي تضع الأسرة على الطريق القويم. ويتضح ذلك فيما قرره الإسلام بشأن النظافة، والطعام والرياضة، والوقاية من الأمراض والعلاج منها إن الأسرة المسلمة هي التي تربي أبناءها على النظافة في البدن والثوب والمكان، وهي التي تعلم أبناءها آداب الخلاء، وكيفية الاستنجاء، والاستنزاه من البول (التطهر منه)، وهي التي تعلم هؤلاء الأبناء وتعودهم على تنظيف أسنانهم بالسواك أو فرشاة الأسنان وقاية لهم من الأمراض التي تنشأ عن إهمال هذا السلوك، والأسرة المسلمة هي التي تعلم أبناءها الوضوء والاغتسال. وطهارة الثياب والتطييب.

وفيما يخص الغذاء، باعتباره المقوم الرئيسي للتربية البدنية السليمة، فإن الأسرة المسلمة هي التي تطعم

الأبناء الطعام الحلال الطيب الذي مصدره من حلال، وغير محرم، ويفيد الجسم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً﴾ (البقرة: ١٦٨). إن الطعام يكون حلالاً إذا كان من طريق مشروع، ولم يكن من الأطعمة المحرمة شرعاً، ويكون طيباً إذا كان لذيذ الطعم مفيداً للجسم، نظيفاً من الملوثات، مقبولاً عند النظر إليه، مستساغاً وشهياً... هذه المعاني تشملها عبارة (الحلال الطيب). والأسرة المسلمة هي التي تربي أبناءها على العادات الغذائية السليمة بما يحافظ على قوة أبدانهم:

• عدم الإسراف في الأكل: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١). «بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (١٤).

• الأكل عند الشعور بالجوع، فقد ورد عن النبي ﷺ ما معناه «جوعوا تصحُّوا»، ونستنتج من ذلك تنظيم مواعيد الطعام لما لذلك من آثار صحية شديدة الفائدة حسبما بينت ذلك الدراسات الحديثة المعنية بالتغذية والصحة.

• بدء الطعام باسم الله، والأكل باليمين، عن عمر بن

سلمة قال: كنت في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصَّحْفَةِ ف قال لي: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» (١٥).

هذه الآداب الغذائية تتفق مع متطلبات قوة البدن، ومع إنسانية الإنسان. ومع مقتضيات الدور التربوي للأسرة المسلمة. ومن أجل التربية البدنية الصحيحة، يوجه الإسلام الأنظار إلى أهمية الرياضة. ففي أكثر من موضع نجد الحث على تعليم الأبناء وتعويدهم على ممارسة الألعاب الرياضية مثل السباحة، والرماية، وركوب الخيل، ولا يقتصر الأمر على هذه الرياضات فقط. فطالما أن الإسلام دين القوة، ويؤكد أن المؤمن القوي خير وأحب من المؤمن الضعيف، ولما كانت قوة البدن أحد متطلبات القوة بوجه عام، فإن ممارسة كافة الرياضات التي تقوى البدن مباحة طالما جاءت في حدود الشرع.

ومن مقتضيات التربية البدنية حسب المنهج الإسلامي أن تحرص الأسرة المسلمة على الوقاية والعلاج من الأمراض، لقد أرست الشريعة كثيراً من أساليب الوقاية من المرض عندما حددت أسس الاختيار الزواجي بما في ذلك التخير

للنطف، وتفضيل الاغتراب في الزواج حتى لا تظهر الأمراض الوراثية الناجّة عن زواج الأقارب، وكذلك عندما رسخت أصول النظافة والعناية بالغذاء والرياضة... فكل هذه الأمور وما شابهها يظهر جانب الوقاية من الأمراض، أما جانب العلاج، فإن الشريعة الإسلامية تأمر بالعلاج، وبالتالي، فإن التربية البدنية حسب أصول هذه الشريعة تتضمن المحافظة على الجسم وصيانته:

• عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله» (١٦).

• عن أسامة بن شريك قال: «كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا، يا رسول الله أنتداوى؟ قال، نعم، عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد هو الهرم» (١٧).

التربية العقلية

العقل أفضل النعم التي اختص بها الله الإنسان، وقد عني الإسلام بالعقل ودعا إلى العلم وحث على التأمل والتفكير، والتربية العقلية تتضمن تعليم الأطفال القراءة والكتابة ومساعدتهم منذ الصغر في اكتساب المهارات الأساسية وتدعيم دور المدرسة في هذا الشأن، وإثارة تأملهم وتفكيرهم وربطهم بالعلوم الحديثة سواء من خلال مناهج المقررات الدراسية، أو من خلال تنشيط ذاكرتهم وإثارة تفكيرهم وتوجيهه إلى التأمل في إبداع الخالق العظيم بحيث يشبون على طلب العلم.

ويأتي دور الأسرة في استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال التربية العقلية للأطفال منذ الصغر من خلال ربطهم بكتاب الله تلاوة وحفظاً، فإن في ذلك تزويد العقل بحصيلة معرفية كبيرة دون أن يكون هناك شروط الفهم لتلك الآيات، لأن حفظ كتاب الله وترتيله هو بحد ذاته تنمية عقلية للإنسان، ومع الإصرار على حفظ القرآن الكريم منذ الصغر فإن انطلاق العقل من القيود لابد أن يكون هدفاً، فالتقيد بما ثبت من الدين ضرورة، وأما اجتهادات العلماء والفقهاء فإن العقل لا بد أن يعمل

عمله بها، ولا يكون عقل المسلم في قيد من تلك الأقوال، أو تابعاً لتلك الآراء، لأن التبعية بلا وعي ولا روية تمثل إهداراً لطاقة العقل، وتحجيماً لإمكانياته وإضعافاً لنموه في مجالات الحياة. فالحرية في التفكير أقرتها الشريعة الإسلامية، حتى يتحرر العقل وينطلق في إطار الضوابط الإسلامية، ليتأمل في خلق السماوات والأرض، ويسعى إلى طلب العلم النافع.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ: «علموا ويسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت» (١٨) فهذا الحديث الشريف يضع أصولاً تربوية غاية في الأهمية للأسرة المسلمة وهي بصدد شرح الدروس للأطفال، فكثير من الآباء مثلاً يبدون القسوة والعقاب البدني، والانفعال عندما يعاونون أطفالهم في الدروس، وقد يعرض الأب أو الأم المسألة بطريقة صعبة تعوق فهم الطفل لها، كما قد يتوعدانه بالعقاب والتهديد... ولو تأمل هؤلاء الآباء ما يعكسه الحديث المذكور من أصول تربوية لعاونوا أطفالهم في دروسهم على أفضل وجه. وفي سيرة السلف الصالح ما يؤكد على أهمية عناية الأسرة المسلمة بالتربية العقلية لأبنائها من خلال العلم، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **امُروا**

أولادكم بطلب العلم)، والعلم كل ما ينفع الإنسان، وليس قاصراً على علوم الدين فقط، وإنما جاءت أحكام الشريعة للحث على العلم في كل جوانب الحياة، والشرط في ذلك أن يكون علماً نافعاً سواء للفرد أو المجتمع.

التربية الإيمانية

للأسرة التأثير الأساسي والأول على شخصية الطفل فيما يتعلق بتربيته على الإيمان، إن الطفل يولد على الفطرة، أي فطرة الإسلام، ومهمة الأسرة أن تتعهد هذه الفطرة بالعناية والرعاية فتخرجها من حالة الاستعداد الكامن إلى مسار السلوك الظاهر، وهنا تكون الأسرة بمثابة القوة التي تُنضج الفطرة الإسلامية في نفوس الصغار، فهذه القوة (لا تنشئ) الفطرة، ولكنها تخرجها من مكمنها أو مكامنها، لأن الفطرة خلقها الله عز وجل، وعلى الأسرة مسؤولية مساعدة الطفل على التعبير السلوكي عما فطره الله عليه.

فإذا لم تقم الأسرة بمسؤوليتها هذه، أو إذا وجهتها وجهة أخرى تكون الأسرة في موقف الإثم والخطيئة الذي يستحق عقاب الله عز وجل. والسلوك الإسلامي هنا أي كاستعداد فطري كامن يتعين تنميته وإظهاره يشبه الاستعدادات الأخرى في شخصية الطفل كقدرات كامنة، فالطفل لديه استعداد للحركة ولكنه يولد عاجزاً عن الحركة والمشي، ويحتاج إلى معونة خارجية ليتحرك ويمشي، فإذا فقد هذه المعونة فقد لا يتمكن من المشي

المعتاد. فالمعونة الخارجية ليست هي التي أوجدت الحركة، إذ إن الحركة هي استعداد فطري لدى الطفل، وإنما المعونة الخارجية (الأسرة) عملت على تنمية هذا الاستعداد. المنطق نفسه فيما يخص فطرة الإسلام، إنها تولد مع الطفل، ووظيفة الأسرة هي أن تتعهد هذه الفطرة بالرعاية والتوجيه والتقويم، وإلا ظلت كامنة أو انحرفت عن مسارها الطبيعي. فعندما يخبرنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بأن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإن التربية من خلال الأسرة تتضمن تنظيم الدفعات الفطرية، وفق حواجز وضوابط وإلا نشأت هذه الدفعات طاغية أو منحرفة، كالأشجار الصغيرة في مرحلة نموها لابد أن تقلم وتشذب، وإلا شبت مختلفة غير مثمرة (١٩). ولعل هذه الفكرة تتأكد من واقع ما جاء به الإسلام من أنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها: قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (الروم: ٣٠). وبقول الرسول ﷺ ما معناه أن المولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

والفطرة في التصور الإسلامي هي أن يتوجه الإنسان

إلى ربه، صادقاً في مشاعره، ملتزماً في سلوكه، مطبقاً لأحكام شريعة الله في الأرض، وتدعيم هذا التوجه يكون من خلال الرسائل التربوية اليومية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في التعامل مع كل أفراد الأسرة، فالبر للوالدين، وحسن العشرة للزوجة، والوقاية من النار للأولاد، وحسن تربيتهم، كل ذلك معانٍ تدعم الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويكون دور الأسرة هو تنظيم الجرعات التربوية التي تشكل الشخصية الإسلامية المسلمة.

والأسرة المسلمة هي التي تبدأ بتعليم الطفل مفاهيم العقيدة الإسلامية، بما فيها كلمة التوحيد، والشهادة لنبيه ﷺ بالرسالة، والحقائق الإيمانية والأمور الغيبية كالإيمان بالله والملائكة والكتب السماوية والرسل، واليوم الآخر، وشيئاً فشيئاً تلفت الأسرة نظر الطفل واهتمامه إلى حب الله ورسوله، ومعاني الحلال والحرام، وضرورة مراقبة الله عزوجل، ودلائل عظمته وقدرته، والاستعانة به والالتجاء إليه، والخضوع له(٢٠). وهكذا تتدرج الأسرة في تعليم الطفل مفاهيم ومعاني العقيدة الإسلامية بحيث يكون مهيأ لتعلم العبادات وممارستها، فتعليم الصلاة يبدأ من سن السابعة، بحيث يؤديها في سن العاشرة وإلا عوقب

على تركها. قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع» (٢١).

إن التربية الإيمانية هي مسؤولية الأسرة خلال السنوات الأولى من حياة الطفل. وتظل هذه المسؤولية قائمة لا يلغيها التحاق الطفل بالمدرسة. لأن دور الأسرة بجانب كونه أساسياً فإنه يصبح مكملاً لدور المدرسة في هذا الشأن. والتربية الإيمانية إذا كانت تقوم على تعليم الطفل العقيدة وبعض العبادات والأخلاق. فإنها تتطلب أن يكون الوالدان قدوة عملية صالحة في هذا المضمار.

التربية الوجدانية

وتعني تهذيب ورعاية الأبناء من الناحية السيكولوجية على المستوى العاطفي والانفعالي، ويشمل ذلك تدريب الأطفال على ضبط انفعالاتهم، والتعبير عن مشاعرهم بالطرق المقبولة، والاستجابة للمثيرات المختلفة بالأسلوب التوافقي، وغرس وترسيخ العواطف والانفعالات والاتجاهات والميول الإيجابية في نفوس الأطفال في السياق المناسب. إن الأسرة المسلمة تؤدي دورها في التربية الوجدانية للأبناء من خلال الثراء العاطفي المتبادل بين الأبوين، والتعبير عن الحنان والحب والعطف والدفء للأبناء، واحترام كيانهم، وتقوية ارتباطهم بالأسرة، ومنحهم الاستقلال الذاتي القائم على الضبط والتوجيه النابع من آداب الإسلام وقيمه التربوية.

والتربية الوجدانية للطفل تتطلب توفير جو مشبع بالحب والحنان لينشأ الطفل سعيداً، وعدم كبت انفعالات الطفل خاصة في مرحلة الرضاعة. أما فيما بعد فيمكن توجيه الطفل إلى كيفية التعبير عن انفعالاته بالأسلوب المقبول. ونظراً لأهمية العاطفة في حياة الطفل، فقد أوصى الإسلام بذلك في أكثر من موضع. فقد جاء في

الحديث الشريف، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده» (٢٢).

أي أن الحنان على الطفل إذا كان من متطلبات نموه النفسي، فإنه في الوقت نفسه يرفع من شأن المرأة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فمها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها من النار» (٢٣).

ولا يعني ذلك، أن الأم فقط هي المطالبة بالتربية الوجدانية والإثراء العاطفي للطفل، بل إن الأب والأقارب أيضا مطالبون بذلك اهتداء بسنة الرسول ﷺ. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم» (٢٤).

وفي سيرة الرسول ﷺ ما يؤكد حنانه على حفيديه الحسن والحسين ، وكان يربط بين الحنان تجاه الأطفال وبين رحمة الله بالكبار، حتى إننا نجد في أكثر من موضع بأن عدم التعبير عن الحب والحنان للأطفال يرتبط بنزع الرحمة من القلب (٢٥).

إن استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية يلزم الأسرة بإشباع تلك الحاجات النفسية، والتي يؤدي عدم إشباعها إلى انحرافات سلوكية تنعكس أضرارها على الفرد والمجتمع، وإشباع تلك الحاجات عند الأطفال لا يمنع من ضبطها والتعامل معها في حدودها. من جهة أخرى، فإن التربية الوجدانية للطفل تتضمن وقايته من الاضطراب الانفعالي، فالغضب والاكتئاب والحزن والعزلة والخجل كلها انفعالات مكتسبة تستطيع الأسرة تدعيمها أو إزالتها أو منعها.

فالإحساس بالمسؤولية مثلاً هو إحساس نفسي مكتسب عندما يتعلمه الطفل في صغره يتعامل به في كبره، وعندما يغضب الطفل ويترتب على هذا الغضب استجابة لطلبه فإن الغضب سيكون أداة ضغط على

الأهل للاستجابة لمطالبه في كل مرة. ولهذا فإن مهمة الأسرة أن تتعامل مع تلك الانفعالات فيما يناسبها، وأن تضع في الاعتبار أثر تلك الانفعالات على الطفل في حاضره وآجله.

التربية الاجتماعية

تعني التربية الاجتماعية حسب شريعة الإسلام تنشئة الأطفال على أخلاق وآداب الإسلام في علاقاتهم بالآخرين، وهذه الأخلاق ذات مردود طيب على الفرد والجماعة والمجتمع على كافة المستويات، والشريعة الإسلامية جاءت شاملة وعميقة في هذا الشأن بما يناسب كافة مواقف التفاعل بين الفرد والآخرين، بما يضمن الحقوق والواجبات لدرجة أنه يمكننا القول بأن الأسرة إذا التزمت بتنشئة أفرادها اجتماعياً حسب الشريعة الإسلامية، كانت في ذلك أداة التطبيق لهذه الشريعة الغراء، ومن أمثلة ما جاءت به الشريعة الإسلامية في هذا الشأن (٢٦).

• محبة الوالدين والإحسان إليهما، واللطف بهما، والعمل على إرضائهما، وطاعتهما فيما لا يغضب الله، والبر بهما، وابتغاء رضائهما ودعائهما الطيب، والدعاء لهما بالرحمة.

• الأخ يشد أزر أخيه ويقويه، ويرعى حقوقه، ويدعو له بالخير، ويحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه.

• صلة الأرحام، والمودة والرحمة بين الأقارب، وإيتاء حقوق

ذوي القربى.

• تأكيد مبدأ الأخوة والتقوى والإصلاح في المجتمع، ومخاطبة الناس بالحسنى، وحب الجميع، وتطهير القلب من الغل والحقد والحسد.

• الجيران، والزملاء، والسائلون، واليتامى، والفقراء والمحتاجون.... كل هؤلاء لهم حق الإحسان في القول والعمل، وحق المساعدة، واللطف في التعامل معهم.

• كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله، والمسلم مكرّم في حضوره وغيبته، والمجتمع الإسلامي مجتمع طهر ونقاء.

• التسامح وإفشاء السلام، والحلم، والتفاهم، واللين في القول... مبادئ تحكم الحوار مع الآخرين.

• تشجيع من يستحق التشجيع، والشفاعة الحسنة لمن يستحقها، والاعتراف بمحاسن الناس... من العوامل التي تبني المجتمع وتطّيب العلاقات الاجتماعية.

• الاصلاح ذات البين، والوقوف في وجه البغي والظلم والعدوان، وتحري الحقيقة، والتمسك بالعدل.... من علامات

الإيمان واستقامة الشخصية.

• الإعراض عن لغو الكلام، وعدم الجهر بالقول السيئ، وعدم المناجاة بالإثم والعدوان والمعصية.

• المجاملة، ورد التحية بأحسن منها، وإنزال الهداة منازلهم، والاعتراف بذوي الفضل، واستشارة أصحاب الرأي والفكر... من خصال المؤمن كريم النفس.

• النساء شقائق الرجال، ولكل دوره في المجتمع، ولا وجود لجنس دون الآخر، فلا تباغض ولا تحاسد بين الجنسين.

• الأمانة والعدل أساس البيع والشراء، والعهود يجب الوفاء بها، والتلطف مع الناس يعين على أداء المهمة، والكتمان يساعد على قضاء الحاجة.

• المعيشة الحلال، وكسب الرزق من المصادر الحلال، تنفع المسلم وتجعله يحيا حياة طيبة.

• الاتحاد قوة، والتفرق ضعف، والتنازع يذهب القوة، والتنافس في الخيرات محبوب.

• المسلم لا يظلم نفسه ولا غيره، ويرفض الظلم ما وسعه.

• التفقه في الدين، واتباع الحق، وغض البصر، وحفظ الفرج، وحرمة البيوت، ومراعاة آداب الزيارة... كلها آداب إسلامية يجب على المسلم الحرص عليها.

• المؤمن يعزه الله، ومن يعزه الله فلا مذل له، إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فيجب أن نلتمس العزة عند الله وحده.

هذه بعض متضمنات التربية الاجتماعية في الإسلام، وتأتي مسؤولية الأسرة في تطبيق هذه الجوانب بحيث تكون جزءاً أصيلاً في شخصية الأبناء بما يجعلهم ملتزمين بالأخلاق الإسلامية في التعامل، وهنا تكون الأسرة قد قامت بدورها في تطبيق جانب أساسي من جوانب الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث: دور الأسرة في غرس مفاهيم العقيدة وممارسة العبادات الإسلامية

العقيدة الإسلامية هي عقيدة التوحيد والإيمان، وتتضمن الإيمان بالله عز وجل، وجوداً وتوحيداً وكمالاً، والإيمان بالملائكة، والكتب السماوية المنزلة من عند الله. كما تتضمن الإيمان بالرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، والإيمان باليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار، بالإضافة إلى الإيمان بالقدر خيره وشره. والعقيدة الإسلامية هي لب الإيمان، وتقوم عليها كافة جوانب الشريعة الإسلامية.

أما العبادات في الإسلام، فإن مفهومها يتسع حتى ليشمل كل عمل يتقرب به الإنسان إلى الله. فإذا كانت الصلاة عبادة، فإن العمل عبادة، وقراءة القرآن عبادة، وابتغاء مرضاة الله في أي سلوك إنما هو يندرج تحت مفهوم العبادة.

وفي مقدمة العبادات تأتي أركان الإسلام، وهي بجانب الشهادة لله بالوحدانية ولرسوله بالنبوة والرسالة الصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً. هذه العبادات ركن أساسي للإيمان، وعليها بني الإسلام،

وهي ليست طقوساً مبهمة أو سلوكيات مجهولة الهدف، وإنما تنطوي على معان عميقة شديدة الأثر في علاقة الإنسان بربه وبغيره من الناس.

فالصلاة هي عمود الدين، وهي صلة بين العبد وربه، من أقامها على النحو الصحيح فقد أقام الدين كله، ومن تركها فقد ترك الدين كله، والصلاة ليست مجرد حركات تؤدى، وإنما هي طهارة للبدن والنفس، وخشوع لله وخضوع له، وامتثال لأمره، ويحض الدين الإسلامي القرآن والسنة على إقامة الصلوات في أوقاتها، ويتوعد تاركيها بشديد العذاب وضنك المعيشة لما في تركها من إعراض عن ذكر الله وابتعاد عن الدين، وللأسرة الدور الأساسي في تنشئة الأبناء على إقامة الصلاة، من خلال تعليمهم إياها، وممارسة شعائرها، وحث الناس على الالتزام بها، وأمرهم بأدائها، فأداء الصلاة إنما هو التزام بالقانون الرباني، أما الدولة والمجتمع، فينحصر دورهما في تهيئة الظروف وتسخير التسهيلات التي تساعد على ذلك، وإزالة أي عراقيل تحول دون أداء الصلاة – ولكن تبقى جهود الدولة والمجتمع محددة بالاستجابة الذاتية من جانب الأفراد امتثالاً لأوامر الله عز وجل، وهذه ليست مهمة جهة قانونية أو هيئة عامة

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما مهمة الأسرة التي تغرس القيم، وتمارس الشعائر، ويكون الوالدان نموذج خير وقدوة صالحة للأبناء، فتكون الصلاة جزءاً من نظام الأسرة اليومي.

أما الزكاة فليست مجرد أموال أو أطعمة أو أشياء تعطى للمحتاج، وإنما هي تجسيد لقيمة البذل والعطاء والرحمة والمودة والتعاطف والتكافل. إنها تنظيف للنفس من أدران النقص والبخل والشح، كما أنها تعبير عن التسامي بالفرد والمجتمع إلى مستوى أنبل، وقبل ذلك فهي امتثال لأمر الله عز وجل، وتتضمن الصدقة الآثار الطيبة التي تتضمنها الزكاة بل إن دائرة الصدقات أوسع بدرجة تجعلها في متناول كل أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، يقول الرسول ﷺ «إن تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال صدقة، وإفراغك دلوك في دلو أخيك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة» (٢٧).

إن تلك الممارسات السامية تنطلق من الأسرة أولاً، من خلال وجود نماذج تربوية، وتوجيهات إسلامية، وتدعيم

نفسي لتلك الممارسات. إن إخراج الزكاة من أموال المسلم يجب أن يصحبه فرح ونشوة تعبد، تتناسب مع ما أعطاه الله للمسلم من مال حلال، وتجسد معنى من معاني التكافل بين المسلمين. إن الزكاة فيها تزكية للمال وتنمية له، وبركة فيه، وليست إنقاصاً منه أو تقليلاً له. إن تلك المعاني السامية تغرس في الأسرة من خلال الممارسة الذاتية، ويتعرف الأبناء على أهمية ومعنى الزكاة من خلال ما تقوم به الأسرة.

والصيام ليس مجرد الإمساك عن شهوة البطن وشهوة الفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس خلال شهر رمضان وإنما هو تزكية للنفس، وامتثال لأمر الله عز وجل، وترك المعاصي، وتقوية النفس في التغلب على شهواتها ونزواتها، بجانب ما للصوم من آثار صحية متعددة، والصوم كركن من أركان الإسلام يدخل في عداد العلاقة بين الإنسان وربه، فلا يمكن فرضه على الناس بقانون، ولكن الأسرة المسلمة بما لها من سلطة الضبط الاجتماعي والتأثير النفسي والمراقبة على أفرادها هي القادرة على وضع أفرادها في السياق الإيماني والاجتماعي الذي يؤدون من خلاله فريضة الصوم. إن القانون الوضعي يمكن أن

يضع عقوبة لمن يجاهرون بالفطر في رمضان، وكذلك يمكن أن يقيد بعض الأنشطة كإغلاق المطاعم...الخ، ولكنه - أي القانون - يقف عاجزاً تماماً عندما يدخل الأمر في علاقة الإنسان مع الله الذي يعلم السر وأخفى.

هنا يظهر دور الأسرة في التنشئة والممارسة لأداء فريضة الصوم، وكذلك صوم التطوع باعتباره تطبيقاً لسنة الرسول ﷺ بما يعنيه ذلك من تدعيم لعوامل الضبط النفسي، التي تنعكس بإيجاد رقابة للإنسان على نفسه (كل نفس بما كسبت رهينة) وهذه الاتجاهات النفسية تتكون في الأسرة العازمة على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية، وليست تلك الأسر التي تنظر إلى استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية على أنه قرار سياسي لا دخل لهم في تنفيذه إلا بما يصل إليهم من أحكام قانونية.

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو فريضة تؤدى مرة في عمر الفرد ولا مانع من تأديتها أكثر من مرة، والحج فريضة على كل مسلم بالغ عاقل وله استطاعة في المال والبدن، وأداء فريضة الحج إنما يأتي في إطار علاقة الإنسان بربه امتثالاً لأوامره واجتناب نواهيه، وكل ما يمكن

للدولة أن تفعله في هذا الشأن هي تيسير سبل الحج أياً كانت وسائلها في ذلك. أما أن تجبر الحكومة أحداً على الحج، فهذا أمر غير وارد. ويأتي دور الأسرة في استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الإعداد لهذه الفريضة، والحث عليها وجعلها أولوية في حياة أفرادها. والتذكير بأحكامها وشعائرها وتعليم المستعد للحج بآدابها وممارساتها لكي يعود كيوم ولدته أمه.

هذه نظرة عامة على العقيدة والعبادات التي تمثل أركان الإسلام. فإذا تساءلنا عن أهمية موقع الأسرة في تطبيق ذلك، سنجد أن هذه الأهمية تفوق أهمية أي مؤثر آخر. إن المؤسسات الرسمية والأهلية يمكن أن توجه وترشد، والقانون الوضعي قد ينص ويفرض، ولكن الأفراد قد يستجيبون أو لا يستجيبون للتوجيه والإرشاد. وقد تنالهم عقوبة القانون أو يفلتون منها. أما الأسرة كتنظيم اجتماعي فإنها تأتي بمثابة المؤثر الفاعل الذي بقدرته غرس متضمنات الشريعة والانتقال بها إلى حيز الممارسة وترسيخها في نفوس الأبناء لتكون جزءاً أصيلاً في فكرهم وسلوكهم، وتنتقل عبر الأجيال. إن ممارسة الأسرة للعقيدة والعبادات هي بمثابة تجفيف منبع المعاصي وتطهيره، وهي

الأساس الذي لا غنى عنه لأي مجتمع يبتغي تطبيق الشريعة الإسلامية.

إن الصغير الذي ينشأ في أسرة تردد عقيدة التوحيد، وتؤدي الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت فإنه في الغالب سوف ينشأ ويشب على تلك الممارسات، أو على الأقل سيكون أكثر استجابة لها وانقياداً عند مرحلة معينة من مراحل النمو. إن المساجد، ووسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات والتنظيمات في الدول الإسلامية تمارس الكثير من جهود التبصير والتوعية والدعوة إلى الله، لكن النتيجة من ذلك تتوقف على استجابة الأفراد لها، وهؤلاء الأفراد هم أولاً وأخيراً أعضاء في أسرة، ويختلفون من حيث موقعهم في بناء القوة وبالتالي التأثير داخل الأسرة، وبالتالي يتحدد مدى (تطبيق) و(ممارسة) العقيدة وأركان الإسلام، لا مجال هنا لقانون يفرض من الدولة، وإنما دور الدولة يتمثل بصفة أساسية في التوعية والتيسير، وتبقى الأسرة هي المجال الأساسي للاستجابة السلوكية أي التطبيق والممارسة.

إن استكمال أحكام الشريعة الإسلامية يجب أن يكون شعار كل أسرة مسلمة في كل زمان ومكان بغض النظر عن التوجه العام للدولة. وأساس تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية هو الفرد المسلم. والأسرة المسلمة قبل أن يكون المجتمع المسلم.

إن استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية ليس قراراً سياسياً وإنما منهج حياة للإنسان المسلم. وما ذلك القرار الذي اتخذه أمير البلاد إلا توجيه للمسلم لتطبيق الإسلام داخل أسرته ومجتمعه في عملية تناسق تؤدي إلى الرقي والتقدم والنمو الحضاري، وإلى المحافظة على هوية الأمة المسلمة.

وسواء أكان توجيه الدولة إلى استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية أو لم يكن فإن مسؤولية الأسرة كبيرة في مجال تطبيق الشريعة وما ذلك التوجه من الدولة إلا استكمال لمقومات المجتمع الكويتي. وليكون هناك تناسق وتناغم بين ما يمارسه الفرد في بيته وما يلتزم به في مجتمعه لتكون هوية الأمة واضحة. ومسارها الإسلامي علامة خير نقدمه للبشرية كنموذج بشري متميز.

المبحث الرابع: دور الأسرة في تطبيق الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفرادها

لقد حرص الإسلام على تمتين الروابط بين أفراد الأسرة، ومن أهم وسائله في ذلك تلك الضوابط التي تتعلق بالحقوق والواجبات تجاه أفراد الأسرة بعضهم البعض، ومن المؤكد أن الالتزام بهذه الحقوق والواجبات والتنشئة عليها تصبح معه الأسرة مجالاً حيوياً ووسيلة فعالة لتطبيق جانب رئيسي من جوانب الشريعة الإسلامية، وتتمثل حقوق وواجبات أفراد الأسرة في خمسة مستويات:

(أ) الحقوق والواجبات المشتركة للزوج والزوجة.

(ب) حقوق الزوج على الزوجة.

(ج) حقوق الزوجة على الزوج.

(د) حقوق الأبناء على الوالدين.

(هـ) حقوق الوالدين على الأبناء.

وفيما يلي توضيح هذه الحقوق والواجبات حسبما ورد في الشريعة الإسلامية:

(أ) الحقوق والواجبات المشتركة للزوج والزوجة

فما إن يتم الزواج حتى يصبح لكلا الزوجين حقوق مشتركة تتمثل في إحسان العشرة (العشرة بالمعروف) والاستمتاع الجسدي، والإرث. لقد أمر الله بإحسان العشرة بين الزوجين وحث كلا منهما على تصفية النفس وتنقيتها وتطهير جو الأسرة من العوارض التي تعكر صفو الحياة الأسرية أو تؤدي إلى سوء العشرة أو الإساءة فيها أو إليها، وإحسان العشرة يكون بالبعد عما ينفِّر، والسعي إلى ما يرضي والتعاون على جلب الخير ودفع الشر، والإخلاص في أداء الواجب مع العطف والتسامح والتلطف في الحديث واحترام الرأي وإشاعة الأنس والتفاهم والصراحة والتراحم وما إلى ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية من جو صحي خال من أسباب النزاع والشقاق وعوامل الضيق والكآبة.

من جهة أخرى يحل للزوجين الاستمتاع الجنسي ويكون على كل منهما أن يقوم بواجب الإعفاف للآخر، وفي ذلك إشباع لحاجة فطرية أو غريزية. ومن المعروف أن الدافع الجنسي من الدوافع الفسيولوجية ذات الأهمية في الصحة النفسية والحياة الاجتماعية. وقد بالغ (فرويد) في تقدير هذه الأهمية، وفسر كثيراً من الأمراض النفسية

والعقلية باضطراب الوظيفة الجنسية. لكن الإسلام جعل الزواج إطاراً مشروعاً للعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة بما يلبي حاجة فطرية من جهة ويحفظ بقاء النوع والأنساب دون أن تشيع الفاحشة في المجتمع من جهة ثانية.

الحق الثالث من الحقوق المشتركة بين الزوجين يتمثل في حق الإرث حيث يستحق كل منهما في تركة صاحبه نصيباً معلوماً حدده القرآن. وبهذا الاستحقاق يشعر كل من الزوج والزوجة بنوع من الأمن الاقتصادي والاجتماعي، ولا يخاف أي منهما من ضياع حقوقه أو ضياع ممتلكات شريكه المتوفى. لقد وضع الإسلام تنظيماً للميراث يجعل للزوجة نصيباً في تركة زوجها، وللزوج نصيباً في تركة زوجته. كما يحافظ على حقوق الأبناء. وأي انتهاك لهذا التنظيم يصبح تحدياً لشريعة الله وتجاوزاً لحدوده. (٢٨).

(ب) حقوق الزوج على الزوجة

يضع الإسلام مجموعة من المعايير والضوابط التي تمثل حقوقاً للأزواج وواجبات على الزوجات. وتدور أهم هذه الحقوق حول الطاعة، التأديب، قرار الزوجة في بيت الزوجية، الخدمة في البيت. فالمرأة إذا نشزت وعصت أمر زوجها فله عليها حق الطاعة وله أن يلزمها بأدائه متخذاً في ذلك كل الوسائل المشروعة. **وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار فقال: «اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل أصفر كان ينبغي لها أن تفعل»** (٢٩) **وعن تميم الداري ﷺ عن النبي ﷺ: «حق الزوج على زوجته أن تطيع أمره، وأن تبر قسمه، ولا تهجر فراشه، ولا تخرج إلا بإذنه ولا تدخل عليه من يكره»** (٣٠). وقد ركز الفقهاء تركيزاً واضحاً على أهمية أن تلبي الزوجة رغبة زوجها فيها (إرضاء رغبة الزوج) باعتبار أن ذلك من العناصر المكونة لطاعته. فإذا كانت قادرة على ذلك مع انتفاء الموانع الشرعية ولكنها تمتنع، يكون ذلك نشوزاً تستحق عليه التأديب. ويباح للزوج حق تأديب زوجته، وذلك بدرجات متفاوتة تبدأ بالوعظ والإرشاد

مروراً بالإعراض والهجر وانتهاء بالضرب غير المبرح، الذي يردع ولا يوجع، وفي كل الأحوال يجب أن يكون حق التأديب بما يليق بمكانة الزوجين ولا يتعارض مع الكرامة الإنسانية وقبل ذلك يجب أن يكون في حدود ما شرع الله.

ولما كانت الزوجة هي القائمة عادة على الأمور الداخلية بالمنزل، والمحافظة على ما فيه، ولما كان الزوج عادة هو الذي يتولى العمل خارج المنزل، فإن من حقه أن تقر الزوجة في بيت الزوجية للعناية بشؤون الزوج والأبناء، ولقد أثير جدل فقهي واسع النطاق حول عمل المرأة بما لا يتسع هنا المجال لذكره، ولكننا بوجه عام نجمل القول في أن المرأة يمكنها العمل خارج المنزل أو الخروج طالما كان في ذلك إفادة مشروعة وضرورة، وبرضاء الزوج، وبما لا يتعارض مع حقوق الأسرة وواجبات المرأة والتزامها بحدود الله. أما بخصوص قيام الزوجة بالأعمال المنزلية، فإن هناك بعض الآراء الفقهية التي ترى أن ذلك ليس من حقوق الزوج على الزوجة، بينما توجد آراء أخرى ترى أن ذلك من حقه سواء بشروط أو بدون شروط. لكن الدين الإسلامي الحنيف، الذي يصلح لكل زمان ومكان نجد فيه الحسم الواضح لهذه المسألة. فمن الأحكام الإسلامية "لا ضرر ولا ضرار".

وعندما لا تقوم الزوجة بأعباء المنزل من نظافة وتنظيم وإعداد للطعام.. الخ. يمكن أن يترتب على ذلك مشقة ومكابدة للأسرة ككل، وحتى في حالة الاستعانة بالخدم، فإن وجودهم قد يترتب عليه مشاكل وأضرار لا حصر لها سواء على الأسرة أو على المجتمع، وكلنا يعلم مدى وخطورة المشاكل والآثار المترتبة على الاعتماد على الخدم الأجانب في البيت الخليجي. صحيح أنه لم يرد نص من القرآن أو السنة يلزم المرأة بحق الزوج في أن تقوم بالعمل المنزلي، إلا أنه في الوقت نفسه لا يوجد نص يمنع ذلك، ولقد جرى العرف في كل العصور منذ عصر الرسول ﷺ على أن تقوم المرأة بخدمة بيتها، ولم يكن ذلك محل نزاع أو خلاف بما يستدعي نصاً فيه، فقد كان النساء يقمن بخدمة أزواجهن دون أن يشعرن بغضاضة في ذلك أو يجدن أنهن مرغمات عليه، بل إن فاطمة رضي الله عنها، كانت تقوم بخدمة البيت والقيام بشؤونه لدرجة أن أصاب الألم يدها من طول إدارة الرحا والإمساك بمقبضها، ولم تطلب من زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يأتي لها بخادم يريحها من عناء هذه الأعمال ويقوم عنها بالخدمة، لكنها ذهبت إلى أبيها ﷺ ليحقق لها ذلك، ومعروف أنه ليس في نساء

العالمين من يصل إلى مقام أهل البيت شرفاً وفضلاً. ولهذا قالت طائفة من فقهاء السلف إن على الزوجة خدمة البيت والأولاد (٣١).

(ج) حقوق الزوجة على الزوج

وهي الواجبات التي على الزوج أن يؤديها للزوجة ولعل من أهم هذه الحقوق "حسن العشرة". والمهر الذي هو حق للزوجة وحدها وليس لأبيها ولا لأقرب الناس إليها أن يأخذ شيئاً منه إلا برضاها واختيارها. قال تعالى: (وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً) (النساء: ٤) فإذا أعطت الزوجة شيئاً من مالها حياءً أو خوفاً أو خديعة فلا يحل أخذه. قال تعالى: (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً{٢٠} وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً) (النساء:٢١:٢٠) وليس في الإسلام حد أعلى وحد أدنى للمهر. إن تقرير حق المهر للمرأة يكون له آثار اجتماعية ونفسية إيجابية إذا كان في استطاعة الزوج. وإذا كان الزوج قد نفذ هذا الحق عن سماحة واقتناع. وللمرأة أيضاً حق المتعة، وهي هبة أو عطية يعطيها الزوج للزوجة إذا طلقها، ويكون في ذلك تطييب لخاطرها وتخفيف لألم الفراق. قال تعالى: (وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ) (البقرة:٢٣٦)

وللزوجة أيضاً حق النفقة وهي تشمل السكن والطعام والملبس والعلاج وكل ما يلزم لاستمرار الحياة. قال تعالى: (وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا) (البقرة: ٢٣٣). وقال تعالى: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) (الطلاق: ٦) وإذا كان الرجل متزوجاً بأكثر من امرأة، فإن من حقهن عليه التسوية بينهن في كل ما يستطيعه ويدخل تحت قدرته من الحقوق مثل الإنفاق وإحسان المعاملة ولطف العشرة والمبيت.. الخ.

(د) حقوق الأبناء على الوالدين

إن الأبناء ثمرة تكوين الأسرة، ودعم في بنائها وامتداد لوجودها، والأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية "الفراخ" الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة وتفسر الحياة وتتعامل مع الحياة، والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة.

وربما كان ذلك لأن وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة ودوره في الأرض أضخم دور، وبالتالي لا بد من طول فترة إعداده وتهيئته وتدريبه لهذه الوظيفة وهذا الدور ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل، ولا شك أن حاجة الطفل لملازمة أبويه أشد من حاجة أي كائن حي آخر لأبويه، وتبدأ مسؤولية الأبوين عن الأبناء منذ أن يكونوا أجنة في بطون أمهاتهم وتستمر حتى يستقل كل منهم ويصبح قادراً على تكوين أسرة، وحتى بعد ذلك يأمرنا الإسلام بصلة الرحم واستمرار التواد بين الآباء والأبناء، ولعل أهم حقوق الأبناء تبدأ أولاً بأن يحسن اختيار الأبوين بعضهما لبعض، بحيث يختار الرجل المرأة الصالحة لتكون أماً لأبنائه، وتختار المرأة الرجل الصالح

ليكون أباً لأبنائها. وقد سبقت الإشارة إلى معايير الإسلام في الاختيار الزواجي من خلال الخطبة. وفي الحقيقة لا تنفصل الحقوق المشتركة للزوجين أو حقوق أي منهما تجاه الآخر عن حقوق الأبناء، لأن أداء كل طرف لواجباته التي تمثل حقوقاً للآخر إنما يترتب عليه حياة أسرية سعيدة، تشكل بيئة نفسية واجتماعية صحية تنعكس على الطفل منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه، إلى أن يصبح رجلاً وشيخاً فيما بعد، في الوقت نفسه هناك حقوق خاصة بالأبناء فقط: فمن حق الطفل مثلاً حسن اختيار الاسم وقد ورد العديد من الأحاديث التي تدعو صراحة إلى ذلك منها قوله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم» (٣٢). وهناك ضوابط حددها الفقهاء استلهاماً من السنة الشريفة بشأن اختيار أسماء الأطفال وأهم هذه الضوابط ألا تكون منفرة وألا توحي بالشر، وعموماً فإن خير الأسماء ما عبِّد وحمِّد، حسبما ورد بهذا المعنى في السنة الشريفة. كما أن الرضاعة حق للطفل على الأم، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة: ٢٣٢). ويري الحنفية أن الأم مطالبة بهذا الحق ديانة لا قضاء (٣٣) وعلى الرغم من وجود اجتهادات فقهية حول

هذه المسألة، إلا أنه على ضوء هذه الآية الكريمة وعلى ضوء البحوث النفسية التي تجمع على ضرورة الإشباع العاطفي للطفل جراء رضاعته من ثدي الأم، كما أثبتت البحوث الطبية ما لذلك من آثار صحية. ويحدث في بعض الأحيان ألا تتمكن الأم من إرضاع الطفل لسبب عضوي أو اجتماعي.

وهنا يتعين على الوالدين إتاحة بديل لحفظ حياة الطفل. فالطفل له حق الحياة، وقد حرم القرآن تحريماً قاطعاً قتل الأبناء كما حرم قتل النفس عموماً ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٣١) ولا يشترط أن يكون القتل بالمعنى المتعارف عليه كما كان يفعل العرب في الجاهلية، فالإجهاض وعدم العناية بالصحة البدنية للطفل بما يعرض حياته للخطر كلها يمكن أن تندرج ضمن القتل. وللطفل أيضاً حق الحضانة بمعنى القيام بتربية الصغير ورعاية شؤونه وتدبير طعامه وملبسه ونومه وتنظيفه، والرأي الراجح عند العلماء أن الحضانة تتعلق بها ثلاثة حقوق: حق المحضون وحق الحاضن، وحق الأب أو من يقوم مقامه. وهذه الحقوق إذا اجتمعت وأمكن التوفيق بينها ثبتت كلها، وإن تعارضت

كان حق المحضون مقدماً على غيره لأن مناط الحضانة هو حفظ الصغير ونفعه (٣٤). هناك أيضاً حق النفقة، وهو من ضمن الحقوق الواجبة في الفقه الإسلامي ومن حق الأبناء على الآباء حق العدل، لقد قال الرسول ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» (٣٥) وقال أيضاً: «لا تدعوا على أولادكم أن يوافق ذلك ساعة إجابة» (٣٦) فالعدل بين الأبناء في العطية والبسمة والكلمة يقيهم من أن تصطبغ مشاعرهم بالحقد وتتحول عاطفة الأخوة بينهم إلى ميول عدوانية تهتك علائق القرابة القريبة وتقضي على وشائج الرحم الرحيمة، ولم يُروَ عن رسول الله ﷺ أنه أمر بعقاب الإبن العاق بحرمانه أو إنقاص حقه في الحقوق عن إخوانه.

بل إن أمره بالعدل كان مطلقاً يشمل كل الأبناء دون تمييز بين صالح وطالح ومطيع وعاق، وقد تبين في عرض القرآن الكريم لقصة يوسف عليه السلام أن الذي أشعل حقد إخوته وأدى إلى تآمرهم عليه، ما بدا لهم من إيثار الأب له، واختصاصه بألوان من القرب والكرم ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ{٨} اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾ (يوسف:٨-٩) وفي هذه

القصة عبرة لمن يعتبر. فهل يلتزم الآباء بما قررته الشريعة الإسلامية الغراء ويعدلون بين أبنائهم؟. إن اختصاص الآباء لبعض الأبناء بشيء من الاستحسان والرعاية ينشئ الحقد في قلوب الأبناء، ويفسد الصلة بينهم، ولا شك أن رابطة الأبوة والأمومة المتساوية لا تخول أن يمتاز بعض الأبناء على بعض. فلا يجوز إثارة الخلل والعوج بإظهار البر واللطف لبعضهم دون البعض، وقد أمر الإسلام بالعدل بينهم في المنح والإعطاء وفي الإحسان والرحمة

ومن حقوق الأبناء أيضا عدم الدعاء عليهم بالشر، إن دعاء الآباء على الأبناء بالشر قد يستجاب وتقع للأبناء الأحداث التعيسة، ولن يؤدى هذا الدعاء إلى استقامة أمورهم، إنه دعاء شر، ولن يأتي الشر بالخير، كما أنه يوحى إلى الأبناء أن قلوب آبائهم قدّت من صخر وغلفت بغطاء كثيف من القسوة، وأن هؤلاء الآباء ليسوا على الخلق الذي يجب أن يكونوا عليه مع أبنائهم من الرحمة والشفقة والعطف والحنان، ويتطور هذا المعنى في نفوسهم وتتداعى الأفكار العدوانية، ثم تتسع الفجوة بين الآباء والأبناء، وتكون النتيجة أن ينفصل هؤلاء عن هؤلاء فلا يكون الآباء آباء ولا الأبناء أبناء (٣٧)، ومعنى أن لا يكون

الأبناء أبناءً أنهم لا يكونون بارين بوالديهم، أو ببعضهم البعض، ولعل ما نلاحظه في الحياة الواقعية وما تنقله لنا أخبار الصحف عن الخلافات بين الأقارب، إنما يفصح عن اختلال من نوع ما في التربية من حيث افتقادها ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين ذوي الأرحام، فالتربية السليمة وفق أخلاق الإسلام ينتج عنها (بالتأكيد) فضائل البر والإحسان بالأقارب، وصلة الأرحام.

ويروى في الأثر أن أخوين كان أكبرهما متزوجاً ويعول أبناءه، بينما أصغرهما لا يزال يبحث عن زوجة صالحة، وقد ترك لهما أبوهما قطعة أرض كانا يزرعانها قمحاً، وبعد الحصاد اقتسما محصول القمح بالسوية، ولكن الأكبر قال لزوجته إن أخي يعيش وحده وليس له زوجة ولا أولاد، وليس له من يساعده، وقد فكرت في أن أحمل عشر حزم من كومتي سراً فأضعها على كومته معونة له، وسعدت الزوجة الصالحة بفكرة زوجها الطيب الحنون وشجعته على تنفيذ الفكرة، وتصادف أن فكر الأخ الأصغر في نفس الليلة أن يحمل عشر حزم من كومته سراً ليضعها على كومة أخيه الذي يعول زوجة وأولاداً، وفي الصباح وجد كل منهما كومته كما هي لم تنقص، وفي الليلة التالية قام

كل منهما بما قام به البارحة. وتعجب في اليوم التالي كما تعجب بالأمس. واستمر كل منهما بضع ليال يؤدي ما يراه واجب الأخ نحو أخيه إلى أن تصادف لقاؤهما في جوف الليل في منتصف الطريق بين الكومتين وكل منهما يحمل من كومته ليضع على كومة أخيه. وألقى كل منهما حمله وكان بينهما عناق طويل (٣٨). إن هذا الحب بين الأخوين هو ناتج التربية الصالحة. كما أن موقف زوجة الأخ الأكبر عندما باركت فكرة زوجها في أن يساعد أخاه إنما هو نتيجة حسن اختيار الزوجة.

(هـ) حقوق الوالدين على الأبناء

إنها واجبات على الأبناء تجاه والديهم، سواء كان هؤلاء الأبناء يعيشون مع الوالدين أو يعيشون حياة مستقلة. وتتمثل هذه الحقوق في حق الطاعة، حق النفقة، حق الإرث، الدعاء لهما، إكرام صديقهما، إنفاذ عهدهما، صلة رحمهما، لقد فرض الإسلام على الأبناء أن يطيعوا والديهم في كل ما هو داخل دائرة إرضاء الله عزوجل، وعلى الرغم من ضرورة عدم طاعة الوالدين فيما يعصى الله به، إلا أن ذلك لا يعني مقاطعتهما، بل لابد من مصاحبتهما بالمعروف باعتبارها فرضاً لازماً في شريعة الله.

قال تعالى: (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) (لقمان:١٥)، وهكذا يصل الأمر بالإسلام العظيم إلى أنه حتى إذا كان الوالدان مشركين بالله، لا بد من الإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف دون أن يعني ذلك طاعتهما فيما يغضب الله، أو الشرك به، والإحسان إلى الوالدين في هذه الحالة يكون بالبر بهما، والنصح والإرشاد لهما، ومن إكرام الوالدين النفقة عليهما عند الحاجة وتجنيبهما المشقة الكبرى، والدعاء لهما اعترافاً

بفضلهما، واللين لهما في القول، وعدم الإساءة إليهما بأية صورة من الصور مهما كانت ضئيلة بالقول أو بالفعل: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً{٢٣} وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) (الإسراء:٢٣-٢٤). ويحلل أحد فقهاء الشريعة الإسلامية والقانون مسألة الدعاء بالرحمة تحليلاً يتلاقى مع المنظور النفسي والاجتماعي قائلاً: « إن الرحمة تحول النفس إلى خلق طيب صاف صفاء الفطرة وتجعل مشاعر القلب مرتبطة برب الخلق فلا تميل إلى غيره ولا تطمع في سواه.. إن الرحمة هي الأمل الذي يراود كل ضعيف..

ثم إنها هي اللغة التي كان يتخاطب بها الآباء مع الأبناء وهم صغار، ولولا هذه الرحمة التي أودعها الله في قلوب الآباء، لما نال الأبناء ما نالوا حتى أصبحوا بشراً أسوياء، فالأبناء وهم صغار كانوا في أمس الحاجة للرحمة نظراً لصغرهم وضعفهم، والآباء وهم كبار أصبحوا في أمس الحاجة إلى الرحمة (٣٩) نظراً لكبرهم وعجزهم.. والنص على صيغة الدعاء بالرحمة تنبيه للأبناء أن يلتزموا سبيل

الرحمة بتعويد قدراتهم الفكرية واللسانية على ذلك ولاسيما عندما يبلغ الآباء الكبر. ويضيف النص الممارسة السلوكية إلى هذه القدرات في قوله تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) ومن حقوق الوالدين على الأبناء إنفاذ وعدهما بمعنى الوفاء بالعهود والوعود والالتزامات التي كان الوالدان قد قطعاها على نفسيهما في حياتهما، وأن يصلا رحمهما بما يبقى على سلسلة القرابة والود قوية متماسكة فلا تضعف أو تتلاشى أو يشوبها العداء بعد موت الوالدين. ويقرر الإسلام أيضاً أن من حقوق الوالدين على الأبناء إكرام صديقهما. يقول رسول الله ﷺ: «إن أبرَّ البِّر أن يصل الرجل أهل ودِّ أبيه» (٤٠).

المبحث الخامس: دور الأسرة في تطبيق الأخلاق الإسلامية في المعاملات

دور الأسرة في تطبيق الأخلاق الإسلامية في المعاملات

كان التمسك بالأخلاق الإسلامية مصدر القوة للمجتمع الأول الذي تشكل بقيادة رسول الله ﷺ وكانت الخطوط الأساسية للتناقض لا تكمن في بنية هذا المجتمع، وإنما كانت تمتد صوب الخارج، أي بينه وبين المجتمعات الجاهلية من حوله، فمثلاً لم يكن هناك صراع بين الرجل والمرأة، أو بين الغني والفقير في المجتمع الإسلامي، وإنما كان هناك صراع بين المسلم وغير المسلم، وكان هذا يدفع المجتمع الإسلامي إلى مزيد من التوحد أفقياً وعمودياً. في الحالة الأولى كان يزداد تماسكاً ووضوحاً بين أفراده كافة.

وفي الحالة الثانية كان كل فرد من هؤلاء يسعى لمزيد من التحقيق بالعقيدة الجديدة لكي يكون أكثر قدرة على التعبير عن مطالبها. لقد تمكن الرسول ﷺ من تشكيل المجتمع القدوة، المجتمع النموذج الذي بلغ مرتقى صعباً لم يكن بمقدور مجتمع في تاريخ البشرية أن يبلغه، الأمر الذي يؤكد نجاح الرسول ﷺ في مهمته من جهة، وعلى

قدرة الإسلام من جهة أخرى على تغيير الإنسان والنسيج الاجتماعي بإعادة بنائهما. لقد أعيد بناء الإنسان من جديد، وكانت الخيوط المتفرقة التي تنسج رقعة هذا المجتمع على قدر من المتانة والإتقان بحيث كان بمقدور المجتمع المتمخض عن الحركة الإسلامية أن يصنع المستحيلات وأن يضرب مثلاً عملياً على قدرة الجماعة البشرية المؤمنة أن تمارس بجدارة مهمة استخلافها العمراني في العالم. على كافة المستويات وبتوازٍ ملحوظ كان المجتمع الإسلامي يتحرك إلى فوق (إلى الأفضل) ابتداء من أولويات التحقق بالمنظور العقيدي للعالم وانتهاء بالتنفيذ لمطالب العبادة بمفهومها الشامل مروراً بمسألة القيم الخلقية والمعاملات والآداب والسلوك وكذلك بقدرة هذا المجتمع على العطاء الدائم والاستجابة المتواصلة للتحديات بحيث يحمي ذاته من التراخي - الذي هو نقيض التوتر - والقدرة المستمرة على الفعل الحضاري(٤١).

لا شك أن السر في هذه القوة الهائلة التي امتلكها المجتمع الإسلامي إنما ترجع إلى الإيمان الحقيقي والتمسك الصادق بالدين الإسلامي الحنيف باعتباره عقيدة ومنهج حياة متكامل. وكذلك باعتباره دين الفطرة. إنه يتجاوب

مع الفطرة البشرية، فالفرد يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون وإلى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالباً منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروبها، وهو يجد الأمن والطمأنينة في حمايته ورعايته، ويبدو ذلك واضحاً في سلوك الإنسان عبر التاريخ وفي مختلف المجتمعات الإنسانية تقريباً، وإن كان هناك اختلاف في تصور الإنسان لطبيعة الإله والطريقة التي يسلكها في عبادته وذلك وفقاً لمستوى تفكير الإنسان ودرجة تطوره الثقافي

وما هذا الاختلاف إلا مجرد اختلاف في طريقة التعبير عن الدافع الفطري الموجود في أعماق النفس البشرية منذ الأزل، غير أن امتزاج الروح بالجسد وانشغال الإنسان بمطالب جسده وبمطالبه المختلفة التي تستلزمها الحياة الدنيا جعل هذا الاستعداد الفطري عرضة لأن تطمره الغفلة ويغمره النسيان ويطويه اللاشعور في أعماقه، ويصبح الإنسان في حاجة إلى ما يوقظ فيه دافع التدين وينفض عنه غبار النسيان ويبعثه من أعماق اللاشعور ليظهر واضحاً جلياً في الإدراك والشعور، يتم ذلك عن طريق تفاعل الإنسان مع الكون وتأمله فيما يحتويه من

مخلوقات ومعجزات (٤٢).

ولعله من العوامل التي تساعد على إيقاظ وبعث دافع التدين في الإنسان ما يحيط به في بعض الحالات من أفكار تهدد حياته وتسد أمامه سبل النجاة فلا يجد منها مهرباً إلا الالتجاء إلى الله، فيتجه إليه سبحانه بدافع فطري طالباً منه النجدة.. الإنسان في مسلكه هذا إنما يشعر بحافز إلى الاستنجاد بقوة أسمى وأقوى وأعظم منه، وإذا كان الإنسان بطبيعته لديه استعداد أو ميل إلى التدين على هذا النحو، فإن الإسلام دين الفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠) وفي الحديث النبوي الشريف ما يؤكد هذا المعنى، فعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة جمعاء، وهل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم قال أبو هريرة، واقرؤا إن شئتم: فطرة الله التي فطر الناس عليها» (٤٣) والإنسان خلقه الله مزوداً بمجموعة من القوى والغرائز والدوافع والميول الفطرية، كما أنه يكتسب من البيئة العديد من السمات بحيث تكون شخصيته ناتجاً للتفاعل بين كل من

الوراثة والبيئة. وتقوم التربية والتنشئة بإضفاء الطابع الإنساني على الشخصية، ويبدأ دور التنشئة والتربية منذ ما قبل الولادة عن طريق العناية الصحية والنفسية والاجتماعية بالأم. وما إن يخرج المولود إلى الحياة حتى تبدأ الأسرة خاصة الأم في تعهده بالعناية والرعاية وإشباع حاجاته الفسيولوجية. ومع نمو الطفل يكتسب الثقافة. وتدخل مؤسسات أخرى في التنشئة بجانب الأسرة. ولكن يظل دور الأسرة بمثابة السياق الاجتماعي الأول لتشكيل الشخصية.

ولعل من أهم سمات التنشئة الإسلامية التي هي من واجبات الأسرة المسلمة، ترسيخ المبادئ الخلقية في نفوس النشئ؛ فالأخلاق هي قوام التربية في الإسلام، والدين والأخلاق حقيقتان متصلتان حسب المفهوم الإسلامي ولا يمكن الفصل بينهما. وقد بيَّن الإسلام المسائل الخلقية من حيث أصولها وبواعثها وأحكامها والغاية منها. والتربية الإسلامية تحث على ترسيخ المبادئ الأخلاقية عن طريق التلقين والممارسة وفق ما رسمه الإسلام للناس من معروف يلتزمون به، ومنكر يجتنبونه. والأخلاق الإسلامية تجمع بين الطابع الشخصي والطابع الاجتماعي، إنها

تستهدف إصلاح شأن الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، والأسرة المسلمة هي تلك التي تقوم على هذه الأخلاق وتربي أبناءها على الالتزام بها. إنها أي الأسرة حينئذ تكون مجالاً ووسيلة لتطبيق الشريعة الإسلامية بوحي من ضمير أفرادها، وليس بموجب قوة أو إلزام إلا من الله عز وجل. وفيما يلي إشارة مركزة عن الأخلاق الإسلامية التي يكون التزام الأسرة بها هو التطبيق العملي لجانب أساسي في الشريعة الإسلامية:

الصدق

إنه ببساطة عدم الكذب في القول والعمل، والصدق خلق إسلامي أصيل يعود على صاحبه بخير الجزاء، فالله تعالى يجزي الصادقين بصدقهم، ويثني القرآن الكريم على هذا الخلق الذي يجعل الإنسان مقبولاً عند الله عز وجل: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً{٥٤} وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً) (مريم: ٥٤-٥٥). ولقد حقر الإسلام الكذابين ووعدهم بأشد العذاب، وربط الكذب بصفات غير محمودة كالجبن والبخل، لأن الكذب الذي هو عكس الصدق رذيلة

تدل على تغلغل الفساد في النفس. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب» (٤٤). ويقول الرسول ﷺ: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب» (٤٥). ويحذرنا الرسول ﷺ من الكذب «يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم! فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم» (٤٦). كما قال الرسول ﷺ «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً، هو لك مصدق وأنت له كاذب» (٤٧). ولسنا بحاجة إلى تأكيد ما يؤدي إليه الكذب في العلاقة بين الزوجين من خلافات ومشاحنات في الحياة الزوجية وربما وصل الأمر إلى الطلاق. وحتى في حالات عدم تأثر العلاقة بين الزوجين، فإن الكذب ينتقل إلى الأطفال على سبيل التقليد. كما أن أسلوب التنشئة في التعامل مع الطفل يؤدي إلى نفس النتيجة (الكذب) فقد بينت الدراسات النفسية أن أسباب الكذب لدى الأطفال منها ما يتصل بالبيئة الأسرية بشكل مباشر مثل: تقليد الأبوين، عدم ثقة الوالدين في الطفل وعدم تصديقه. صورة الذات، بمعنى: القول مراراً للطفل بأنه كاذب حتى يصبح مقتنعاً بذلك. الدفاع عن النفس حيث يلجأ الطفل إلى الكذب للتهرب من النتائج غير

السارة كعدم استحسان الأبوين لسلوكه أو عقابهما له (٤٨) ويوصى الإسلام بغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها. **عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا. فقالت: تعال أعطك. فقال لها ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة، (٤٩). وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لصبي تعال، هاك ثم لم يعطه فهي كذبة»** (٥٠). وفي السنة الشريفة ما يحرم الكذب حتى ولو كان على سبيل المزاح أو المدح والثناء. كما بينت أن الكذب يؤدي إلى الفجور وسواد القلب. وإنه وبال على الفرد والمجتمع. وأشد وبالاً على الأسرة والتفاعل بين أفرادها لأنه يؤدي إلى انعدام الثقة. والأسرة الصالحة هي التي يتمسك أفرادها بالصدق في أقوالهم وأفعالهم، وهي التي تربي أبناءها على هذه الفضيلة.

الأمانة

وهي خلق إسلامي ذو دلالة واسعة، وتقضي بأن يشعر كل أفراد الأسرة بتبعتهم في كل أمر يوكل إليهم، ويدركون إدراكاً جازماً بأنهم مسؤولون عنه أمام ربهم. يقول رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته» (٥١). وكان النبي ﷺ في حياته الأولى يلقب بالأمين. والأمانة كخلق من أخلاق الأسرة المسلمة تعني أن يحافظ أفرادها على حقوق الله، وعلى حقوق بعضهم البعض. فلا يفرط الأب في حقوق زوجته وأبنائه، ولا تفرط الأم في حقوق زوجها وأبنائها. ولا يفرط الأبناء في حقوق الوالدين. ولا يفرط الأبناء في حقوق بعضهم تجاه البعض وعلى مستوى المجتمع. فإن الأمانة تعني التزام أفراد الأسرة الأمانة مع الآخرين: في حديثهم ووظيفتهم وواجباتهم وودائعهم وأسرارهم. والمحافظة على قدسية وسرية العلاقات الزوجية أمانة. فما يضمه البيت من شؤون العشرة بين الرجل وأسرته يجب أن يطوى في أستار مسبلة. فلا يطلع عليه أحد مهما قرب (٥٢). إن

الثرثرة فيما يخص ما يقع بين المرء وزوجه نوع من السفاهة والوقاحة. ويقول رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها» (٥٣).

تعلم العلم

فالتربية الإسلامية تعتبر طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وللدلالة على الأهمية التي أولاها الله سبحانه وتعالى للعلم والتعليم، نجد أن كلمة "العلم" ومشتقاتها على اختلاف مدلولاتها قد وردت في كتابه العزيز نحو أربعمائة مرة، وكلمة "الكتابة" ومشتقاتها نحو ثلاثمائة مرة، وكلمة "القراءة" ومشتقاتها خمسين مرة. كما أن كلمات الفكر والفقه والعقل والتدبر والتذكر قد تكررت مرات عديدة. كما يتضمن القرآن أدوات الكتابة والقراءة، فوردت كلمات مثل صحف، وقراطيس، وورق وقلم، ومداد - مرات عديدة (٥٤) ويدعو القرآن الكريم للقراءة بأمر صريح من الله عز وجل. ويذكر السيوطي أن الشريعة الإسلامية تعتبر التعلم حقاً وواجباً فأمرت بأدائه بدليل قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق:١). ويقول

الرسول ﷺ: إن الله لم يبعثني متعنتاً، إنما بعثت معلماً ومبشراً. فمن أراد الدنيا فليتعلم، ومن أراد الآخرة فليتعلم، ومن أرادهما معاً فليتعلم» (٥٥). والتعليم بالنسبة للأطفال إلزامي في نظر فقهاء المسلمين. يقول ابن حزم في كتاب الإحكام: «... وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون، أو من حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم. ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم إما بأنفسهم، وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم. وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك، وأن يرتب أقواماً لتعليم الجهال» (٥٦).

عن معاذ بن جبل: «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدّث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم، ويقتدي بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب

ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار في الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الآخرة، التفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء».

الوفاء

وهو يعني احترام العقود والعهود سواء كانت بالقول أو بالفعل. ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير، فلا عهد في عصيان ولا يمين في مأثم، والعهود التي يرتبط بها المسلم درجات، أعلاها مكانة وأقدمها ذماماً العهد الأعظم الذي بين العبد وخالقه، ثم تتدرج في المنزلة لتشمل كل ما يخص حياة الفرد. وتكون الزوجة وفية لزوجها، والزوج وفياً لزوجته، إذا احترم كل منهما "الميثاق الغليظ" الذي ربط بينهما بحياة الزوجية. وقد منح الإسلام عقد الزواج مزيداً من التشديد والرعاية، قال رسول الله ﷺ ما معناه: إن أحق ما وفيتم به من شروط ما استحللتم به الفروج، فالاستخفاف بهذا الرباط وما يترتب عليه من آثار إنما

يولد العداوة والبغضاء بدلاً من السكينة والرحمة التي يفترض أن تقوم عليها حياة الزوجين كما أن الوفاء يقضي من الأبناء بر الوالدين والإحسان إليهما خاصة عند الكبر، جزاء لما عانوه من المشقة في التربية. ويؤكد رسول الله ﷺ ضرورة الوفاء بما يترتب على عقد الزواج من حقوق للزوجة قائلاً: «أيما رجل تزوج امرأة على قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها، خدعها، فمات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان، وأيما رجل استدان ديناً، لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه، خدعه حتى أخذ ماله، فمات ولم يؤد إليه دينه، لقي الله وهو سارق» (٥٧). وإذا كانت الأمانة خلق من أخلاق الإسلام، فإن الأسرة المسلمة هي التي تلتزم بالأمانة، وتربي أبناءها على هذا الالتزام: الأمانة مع الله، ومع النفس، ومع الجماعة والمجتمع والوطن.

الإخلاص

يقصد به أن يكون كل عمل المرء خالصاً لوجه الله تعالى، يقصد مرضاته، ويخشى عذابه، ويرجو رحمته، ويستعيذ من نقمته. الإخلاص يشمل البعد عن الرياء ونوازع الأثرة وحب الثناء والتطلع إلى الجاه وبعد الصيت والرغبة في العلو والافتخار - هذه كلها تناقض الإخلاص كخلق إسلامي. وعلى مستوى الأسرة، نجد أنه شتان بين امرأة تتزين لزوجها لتدخل السرور إلى قلبه وامرأة أخرى تتزين حتى يقول الآخرون إنها جميلة، وشتان بين رجل يؤدي العبادات امتثالاً لأوامر الله عز وجل وتنشئة أبنائه على تقوى الله، ورجل آخر يؤدي العبادات حتى يقول عنه الآخرون إنه رجل البر والتقوى. وشتان بين رجل يتزوج امرأة لتكوين أسرة مسلمة وإعفاف نفسه، ورجل آخر يتزوج امرأة لعرض من أعراض الدنيا الزائلة. يقول رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جيء بالدنيا فيميز منها ما كان لله وما كان لغير الله رمي به في نار جهنم» (٥٨). وعلى مستوى الأسرة أيضا نجد أن اللذات التي تشتهيها الأنفس، إذا صاحبتها النية الصالحة والهدف النبيل تحولت إلى قربات إلى الله عز وجل. عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إنك لن

تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في فم امرأتك» (٥٩). وقال أيضاً: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة» (٦٠). معنى ذلك أن الأسرة المسلمة هي تلك التي تقوم حياتها على أداء الأعمال خالصة لوجه الله عز وجل، سواء كانت تلك الأعمال تتعلق بالعبادات أو المعاملات، وسواء كان ذلك يخص الأسرة كوحدة اجتماعية، أو يخص علاقة أفرادها مع المجتمع.

أدب الحديث

يقصد بهذا الخلق الطيب، أن يقول المرء خيراً إذا تكلم وأن يعود لسانه على الجميل من القول لما لذلك من تعبير حسن عما يجول في النفس، كما أنه فضيلة تسلك مع ضروب البر ومظاهر الفضل التي ترشح صاحبها لرضوان الله، لأن الكلام الطيب يبعد الإنسان عن اللغو، ويحفظ المودة والصداقة ويمنع كيد الشيطان، ويطفئ الخصومات. وفي القرآن الكريم تأكيد على أن "الإعراض عن اللغو" من صفات المؤمنين، وأن "نقول للناس حسناً". وتأكيد أيضاً على "القول المعروف". وفي السنة النبوية الشريفة تأكيد على أدب الكلام من خلال العديد من المعاني التي وردت

في أحاديث الرسول، لدرجة أن "حصائد اللسان هي التي تكب الناس على وجوههم في النار". وأن المؤمن عندما يتحدث يجب أن يقول خيراً أو ليصمت. وفي الحديث الشريف: «عليك بطول الصمت، فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك» (٦١). وفي الحديث أيضاً: «إن العبد ليقول الكلمة، لا يقولها إلا ليُضحك بها المجلس، يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض، وإن الرجل ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه» (٦٢). إن أدب الحديث "كخلق إسلامي"، يضفي على الأسرة مقومات الاحترام المتبادل والبهجة والسرور، ويعمل على تدفق الحوار وتواصله ويشجع على التعبير عن الآراء والعواطف بأسلوب راق، ويعمل على تمتين الروابط ويدعم الصراحة. ويحول دون الخصومات والمشاجرات لأنه يضبط الانفعال ويحول دون تصاعد الخلافات الأسرية. إن أدب الحديث وقاية للأسرة المسلمة من إثارة الخلافات واستفحالها بين الزوجين. ويعتقد الباحث أن الزوجين لو التزما بأدب الحديث لما وجدت الخلافات الأسرية المستعصية، لأن أدب الحديث معناه عدم تبادل السباب والاتهامات التي قد تفضي إلى الاعتداء البدني بما يؤدي إلى الطلاق وتحطيم الأسرة. ويكفي أن نطالع الأخبار التي تنشرها الصحف عن هذا الموضوع بكل أسف.

سلامة الصدر من الأحقاد

يقصد بهذا الخلق الطيب أن يعيش المرء مبرأ من وساوس الضغينة والحقد، يحب للآخرين ما يحبه لنفسه، إن الضغينة والحقد والحسد تؤدي إلى الخصومة والغضب، والغل والافتتال فتتفكك الروابط، وتتلمس عيوب الآخرين للتشنيع بهم، إنها تؤدي إلى الغيبة والنميمة وجميعها نهى عنها الإسلام لأنها تنزع الإيمان من القلب ويقول الله عز وجل: (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحشر: ١٠). وعن عبد الله بن عمرو قيل: «يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان. قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد» (٦٣).

وتعتبر سلامة الصدر من الأحقاد في مقدمة الأخلاق الإسلامية التي تتوقف كفاءة الأسرة على الالتزام بها، ولكي نوضح ذلك ببساطة نقول: إن الزوج الذي يضطرم صدره بالضغينة والحقد على الآخرين سوف يكون ناقماً على حياته بما في ذلك حياته الزوجية. وهذه النقمة تعبر عن نفسها في علاقته بالزوجة والأبناء فيتوتر جو الأسرة وتنتفي منه المودة والسكينة والرحمة. والمنطق نفسه

بالنسبة للزوجة التي تقارن نفسها بالأخريات التي تعتقد أنهن أفضل منها. وقد يصل بها الأمر إلى معايرة الزوج أو تحميله بما لا يطيق. وقد يتعلق الأمر بموضوعات يستحيل تحقيقها الأمر الذي يؤدي إلى تدني اعتبار الذات وسوء التوافق النفسي والاجتماعي لدى الزوجة. وينعكس ذلك على علاقتها بكل المحيطين بها بما في ذلك أفراد الأسرة. كما أنه في بعض الخلافات الزوجية يصل الأمر بالطرفين أو بأحدهما إلى الكيد والرغبة في الانتقام بوسائل غير إنسانية تعبر عن عدم سلامة الصدر من الأحقاد بما يعنيه ذلك من انتهاك حرمة الزوجية وانتهاك "الميثاق الغليظ" الذي ارتبطا بموجبه. من جهة أخرى ولتوضيح فكرة أن "سلامة الصدر من الأحقاد إنما هي من أخلاق الأسرة المسلمة فإن الإسلام قد أمرنا "بالعدل". وهذا يعني العدل بين الأبناء في المعاملة حتى لا تضطرم الغيرة والحقد في نفوسهم على بعضهم البعض. كما يعني أن يكون الرجل عادلاً بين نسائه إذا كان متزوجاً بأكثر من واحدة. وذلك في حدود ما يمكنه أن يسيطر عليه. لأن عدم العدل بين النساء في هذه الحالة سيؤدي إلى تأجج نيران الغضب والبغض والكراهية. وسيملأ الصدور بالأحقاد.

النظافة والأخذ بأسباب الصحة

يقصد بذلك أن يأخذ المسلم بكل أسباب النظافة للجسم والمكان الذي يقيم به لما في ذلك من التزام إيماني وحفاظ على الصحة النفسية والبدنية، وقد أكد القرآن الكرم على أهمية نظافة البدن بالوضوء والاغتسال، وحرم تناول ما من شأنه إلحاق الضرر بالجسم مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، كما حرم شرب الخمور وكافة أنواع المسكرات - فكلها ثبت بالدليل القاطع أنها تلحق بالجسم والعقل أبلغ الضرر، وفي الحديث الشريف تبدو العناية واضحة بنظافة الفم والأسنان.

فالسواك سنة مؤكدة عن المصطفى ﷺ، وفي الحديث: «تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة» (٦٤)، «إنه ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاماً وهو قائم يصلي» (٦٥)، وهناك بعض الأطعمة ذات الروائح النفاذة غير المحببة التي رأى الإسلام أن يبتعد آكلوها عن المجالس حتى لا تفوح رائحتهم، وفي ذلك حفاظ على الكرامة الشخصية والشعور الجمعي. وعندما يؤكد النبي ﷺ على أهمية النظافة الشخصية بقوله «إن الله جميل يحب الجمال»، فإنه قد بين وسائل ذلك:

نظافة الثياب، تهذيب الشعر، التطيب بالعطر، الاغتسال بالماء، ومن الواضح أن الإسلام عندما أمر بالنظافة، فإن هذا الأمر لم يقتصر على المستوى الشخصي فقط، وإنما يشمل الجانب الاجتماعي والبيئة، كما أن الإسلام يقرن النظافة بالبيئة، لقد أمرنا ﷺ بإماطة الأذى عن الطريق، وأمرنا بتنظيف أفنية المنازل «ونظفوا أفنيتكم» ونهى نهياً قاطعاً عن البول في الماء الراكد والماء الجاري، وكذلك عن البراز في الموارد، هذه الأمور جميعاً تؤكد حرص الإسلام على صحة ونظافة الفرد والمجتمع، كما أنها تؤكد أن الإسلام قد سبق دعاة حماة البيئة اليوم.

ولو كان العالم قد طبق تعاليم الإسلام لما ظهرت المشكلات البيئية التي تهدد حياة الإنسان في الوقت الحالي، ومن توجيهات الإسلام كذلك ما يتعلق بالوقاية والعلاج من الأمراض الفتَّاكة، لقد أمر الرسول ﷺ بأنه إذا كان الطاعون في بلد ونحن خارجها فلا ندخلها، وإذا حدث الطاعون في بلد ونحن فيها فلا نخرج منها، كما أمرنا بالتداوي عند المرض مؤكداً أن لكل داء دواء، وحذر من اللجوء إلى الخرافات طلباً للشفاء «من علَّق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا أودع الله له» (٦٦) نتبين من ذلك كله

أن الإسلام الحنيف هو دين النظافة، وعندما يؤكد النبي الكريم أن «النظافة من الإيمان»، فإن ذلك مبدأ عام ينسحب على كافة جوانب حياة الفرد. والنظافة ذات انعكاسات إيجابية مؤكدة على المستوى النفسي والفيزيقي بما يتمكن معه الفرد من أداء الأعمال والعبادات فيفوز بالدنيا والآخرة. والأسرة المسلمة هي التي تأخذ بكل أسباب النظافة والصحة على المستوى الفردي والاجتماعي، وهي التي تربي أبناءها على النظافة، وتضرب المثل والقدوة للآخرين في هذا الشأن.

الجود والكرم

الإسلام يدعو إلى البذل والعطاء ويحذر من الشح والبخل، ويتوعد البخلاء وذوى الشح بعذاب أليم. وقد كان رسول الله ﷺ كريما جوّاداً على أهل بيته والفقراء والمحتاجين من المسلمين. وإذا كان الدين الإسلامي يدعو إلى الإنفاق، فإنه ينهى عن التبذير والإسراف، ويشبه المبذرين "بالشياطين" كما أفاضت كتب الفقه الإسلامي في بيان فضل الإنفاق على النفس والأهل.

فالإسلام يوصى بأن يكرم المرء نفسه ثم أهل بيته ثم

ذوي رحمه وسائر الناس. وعلى ضوء هذه القاعدة، فإن الأسرة المسلمة هي تلك التي تكفي حاجاتها من الحلال وتصون أفرادها عن مظاهر الفاقة دون إسراف ولا تقتير. وقد يحرص المرء على المال لأنه يريد ترك أولاده في ثراء يحميهم تقلب الأيام وأحداث الليالي وهذا قصد حسن. والمسلم مكلف بأن يصون ذريته وأن يمنع عنهم العيلة. وفى الحديث الشريف «... لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» (٦٧). ولكن ذلك لا يعنى أن يضحي الإنسان بنفسه وبمروءته وبرضوان الله عليه ليقتر من كسبه حتى يبقيه لأولاده. فالبخل بالحقوق وكنز الأموال للأبناء لا يمحو فقراً ولا يضمن غنى، ولا يقبل من صاحبه يوم القيامة عذر. إن المسؤول عن الأسرة عليه أن يتعرف المطالب المعقولة لأهله وولده وأن ينفق عن سعة في قضائها. فليس من الدين أن يدع المرء زوجته وأبناءه في حال قلقة من الضيق والاحتياج ثم يضع ماله في مصرف آخر فروابط الأسرة أولى بالعناية وأحق بالتوثيق من غيرها(٦٨). يقول رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» (٦٩). ويقول الرسول الكريم أيضا: «إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو

يحتسبها كانت له صدقة» (٧٠) ومن خلال الجود والكرم كخلق إسلامي أصيل، يكون تمتين الروابط بين الأسرة والأقارب والجيران من الفقراء والمحتاجين، فالأقرباء أولى بالمعروف. وفي الحديث الشريف: «يا أمة محمد، والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة» (٧١). والجود والكرم كخلق إسلامي أصيل ينبغي أن تتمسك به الأسرة المسلمة يتناقض مع الأثرة والأنانية بكافة مظاهرها، وهو الترجمة العملية لأخلاق الرحمة والإيثار التي أودعها الله في قلوب الآباء على أبنائهم. **عن عائشة رضي الله عنها قالت:** جاءتني مسكينة تحمل ابنتين: فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فمها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي كان لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها من النار» (٧٢).

الحلم والصفح

إن الأسرة المسلمة هي تلك التي يتمسك أفرادها بالحلم عند الغضب، والصفح عن أخطاء الآخرين وذلك في ضوء عدم التهاون في حدود الله عز وجل. ويضرب لنا القرآن الكريم أروع المثل في قصة سيدنا هود مع قومه: (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ{٦٦} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٦٧} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) (الأعراف:٦٦ – ٦٨). **وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ما تعدون الصرعة فيكم؟ قالوا: الذي لا تصرعه الرجال. قال: ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب» (٧٣). وقال رجل للنبي ﷺ: «أوصني ولا تكثر عليَّ لعلي لا أنسى» قال:«لا تغضب» (٧٤).** وتحفل السنة النبوية الشريفة بالمواقف والأحاديث التي تنهى عن الغضب وتؤكد الصفح والحلم كخلق من أخلاق المسلم. ومن المعروف أن عدم الصفح وعدم الحلم يرتبطان بتأجيج نيران العداوة والخصومة والرغبة في الانتقام بما ينهك الأنفس أو يزهقها، ويفكك الروابط أو يقضي عليها.

وبالتالي يضعف الفرد والجماعة والمجتمع. أما الغضب فإنه انفعال شديد الضرر بسبب التغيرات الفسيولوجية

التي تؤدي إلى زيادة كمية السكر في الدم، وتقلص العضلات وقد أكدت بحوث الطب "السيكوسوماتي" على أن الاضطرابات الانفعالية ومن بينها الغضب تؤدي إلى أمراض بدنية شديدة الخطر على الجهاز الهضمي والقلب والغدد، والمخ، وعادات الإخراج (٧٥) الأمر الذي يكشف لنا عن عظمة الدين الإسلامي الحنيف عندما يأمرنا بالحلم والصفح، وألا "نغضب"، ولعل هذه الفكرة ذات دلالة شديدة الأهمية بالنسبة للأسرة، فكم من بيوت تحطمت بسبب نوبات الغضب المتبادلة بين الزوجين وكم من أجواء أسرية توترت وتكدر صفوها، لأن أحد الزوجين أو كليهما سريع الانفعال والغضب لأتفه الأسباب، وفي حمأة الغضب وسورته لا يكون هناك مجال للعقل والمنطق، فيقدم الفرد على تصرفات لها آثار مدمرة تثير الندم والشعور بالذنب فيما بعد، كما أثبتت الأبحاث النفسية الحديثة أن الأطفال الذين يعيشون في جو أسري مفعم بالغضب والتوتر تنمو فيهم نوازع الشر والعدوان، ويصبحون سريعي التهيج، ويفتقدون الاتزان النفسي والثبات الانفعالي.

واستكمالاً لتوضيح الجانب الديني والنفسي فيما يتعلق بالغضب، لابد من التأكيد على أن الدين الإسلامي الحنيف عندما ينهى عن الغضب، فهذا لا يعني أن يكون الإنسان بارداً أو جامداً أمام أحداث الحياة ومواقفها، فقد يغضب الإنسان لدينه أو عرضه أو شرفه، أو أهله أو ممتلكاته، فهذا جزء من الطبيعة الإنسانية غالباً، كرد فعل على مثير معين بما يمكنه من الاستجابة الصحيحة والمشروعة دينياً وخلقياً، وهذا عادة يكون في مواقف معدودة، وحتى في هذه المواقف (المعدودة) لا يجب أن يستبد الغضب بالفرد ويصبح وكأنه كتلة من حمأ مسنون، يرتعش كالمجنون، يرغي ويزبد، ويلعن ويطعن، فيبوء بالخسران المبين. لقد حذرنا القرآن الكريم والسنة الشريفة من الوقوع في هذا الأمر المهين، وها هي الدراسات النفسية الحديثة تؤكد صحة هذا التحذير الذي أتى به الإسلام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان.

الصبر

تتسع مجالات الصبر لتشمل: الصبر على الطاعة، والصبر على المعصية، والصبر على النوازل. ويقصد بالصبر على الطاعة تحمل المشاق التي قد يكابدها الفرد وهو يقوم بالأعمال الطيبة والصالحة.

أما الصبر على المعصية، فيقصد به مقاومة الإغراءات والشهوات التي يمكن أن يصيبها الفرد من جراء ارتكاب أفعال يحرمها الشرع. بينما الصبر على النوازل يعني أن يتحمل المرء ما ينزل به من مكاره في النفس أو الأهل أو المال أو الممتلكات... الخ. وقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات المباركات التي تحض على الصبر وتؤكد جزيل ثواب الصابرين في المعاني الثلاثة المذكورة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: ١٣٢) ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨). ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦) ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ{١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{١٥٦} أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة:١٥٥-١٥٧).

والأسرة المسلمة هي التي يتحلى أفرادها بفضيلة الصبر، وهي التي تنشئ أبناءها على هذه الفضيلة، وتحفل حياة الأسرة (يومياً) بالمواقف التي تتطلب الصبر، فتربية الأبناء وتعليمهم لا بد أن يقترنا بالصبر، والأزمات التي تواجهها الأسرة لا بد من التعامل معها بصبر حتى تصبح المواجهة الفعالة ممكنة وعلاقة الأسرة بالأقارب والجيران تتطلب الصبر والتسامح، كما أن دور المرأة في المنزل، وكذلك دور الرجل خارج المنزل كلاهما يتطلب الصبر والمثابرة.

القصد في الترف

يقصد بذلك ألا يكون المرء عبداً لمظاهر الترف، وألا يغرق في الملذات، فلا يكون عبداً لشهواته وملذاته. لقد أمرنا الإسلام بألا ننسى نصيبنا من الدنيا بحيث لا تكون كل همنا أو مبلغ علمنا، كما أمرنا أن نأخذ بأسباب الخشونة، فإن النعم لا تدوم. ويندرج تحت هذه الفكرة العديد من

المعاني والسلوكيات التي يجب أن تلتزم بها الأسرة. لعل من أهمها ألا يكون الفرد عبد بطنه يعيش في الدنيا ليأكل ما لذ وطاب من الأطعمة الفاخرة بسفه وتبذير. لقد روي عن النبي ﷺ «أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة» (٧٦). كما جاء في الحديث الشريف: «ما ملأ ابن أدم وعاء شرا من بطنه» (٧٧). ولا يعني ذلك بأية حال من الأحوال عدم الاستمتاع بالطيبات من الأطعمة، وإنما يعني الاستمتاع دون إسراف أو تقتير. والأسرة المسلمة هي التي يكون لباس أفرادها في حدود معقولة بما يحافظ على التجمل وحسن الشمت وستر الجسم وليس للمباهاة والاختيال والاستعراض.

ولا داعي لإنفاق المال الكثير لشراء الملابس وتكديسها، وكذلك لا داعي لتضييع الوقت الطويل في ارتداء الملابس للحصول على نظرات الإعجاب "إنه لمن الحماقة أن يجعل الشاب من جسمه معرض أزياء يسير بها بين الناس، يترقب نظرات الإعجاب تنهال عليه من هنا ومن هناك، إن هناك من يقضون الساعات الطوال في البيوت ليس لهم من عمل إلا استكمال وجاهتهم والاطمئنان إلى أناقتهم. ولو أنهم كُلِّفوا ببذل هذا الوقت في التزيد من علم أو التفقه

في دين لنفروا ونكصوا. إنهم يحسبون اتساق الملابس على أجسامهم شارة الكمال وكفى. وقد ندد الإسلام بهذا الطيش ونفر المسلمين منه (٧٨). قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، وألهب فيه ناراً» (٧٩). ومن الثابت أن الإسلام حرّم الحرير والذهب على الرجال. وإذا كان قد أباحهما للنساء، فليس يسوغ لهن أن يجعلن التزين شغلهن الشاغل الذي يستهلك الأوقات والثروات.. هذه بعض تعاليم الإسلام فيما يتعلق بالقصد في الترف. فهل تلتزم بها الأسرة حتى تكون بحق أداة ومجالاً لتطبيق جانب هام من الشريعة الإسلامية. يقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين» (٨٠). وعن حذيفة قال: «نهى رسول الله أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه» (٨١).

الحيـاء

إنه التحرج من فعل ما لا ينبغي على ضوء أوامر الإسلام ونواهيه. والحياء خلق من أخلاق الإسلام. كما أنه شعبة من الإيمان. ويضرب لنا النبي ﷺ أروع المثل في الحياء. فعن

أبي سعيد الخدري: «كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه» (٨٢). ويقول ﷺ: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما، رفع الآخر» (٨٣). وعندما يفقد المرء الحياء يهبط إلى الدرك الأسفل من البؤس والشقاء النفسي والاجتماعي. يقول الرسول ﷺ: «إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا لم تلقه إلا مقيتاً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً، نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً، فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام» (٨٤). ونوضح الفرق بين الحياء والخجل.

في أن الأول يكون في إطار ما هو مشروع أما الثاني فإنه يكون في إطار ما هو مشروع وما هو غير مشروع على السواء. فعندما يخجل المرء عن نصرة المظلوم حتى لا يلومه الظالم يكون هذا خجلاً ممقوتاً. أما عندما يخجل المرء عن التقاعس عن نصرة المظلوم، فهذا هو الحياء المحمود. فهناك بون شاسع بين الحياء والجبن. إن الحياء هو الشجاعة في الحق والالتزام به. وهو الخجل من الباطل بمواجهته وعدم ارتكابه. والأسرة المسلمة هي التي تتمسك بالحياء في علاقتها

بالله عز وجل، وفي العلاقة بين أفرادها، وعلاقة هؤلاء الأفراد بغيرهم، وهي التي يستحي فيها الأب أن يقصر في حقوق زوجته وأبنائه، وتستحي فيها الأم عن التقصير في حقوق زوجها وأبنائها، ويستحي فيها الأبناء عن التقصير في حقوق الوالدين. الأسرة المسلمة هي التي يستحي أفرادها من المعصية قولاً وفعلاً في كل تعاملاتهم.

الترابط

يرتكز البناء الاجتماعي للأسرة على بناء عضوي يتألف من صلات الدم التي تحدد علاقات وواجبات والتزامات متبادلة بين أفراد الأسرة ببعضهم البعض، علماً بأن صلات الدم (Consanguinity) هي المترتبة على العلاقات العضوية التي نطلق عليها اصطلاح القرابة (Kinship). من هنا فإن الأسرة جماعة أولية من أفراد تعتمد العلاقة بينهم على صلات الدم التي بموجبها يكون كل فرد قريباً من الآخرين، وعلى الرغم من أن هذه القرابة تمتد إلى (أسرة التوجيه) أي الأسرة الأصلية لكل من الزوج والزوجة، إلا أن أهم ما يميز الأسرة هو الارتباط العضوي المباشر الذي يجعل أفراد الأسرة أقرب ما يكون إلى بعضهم البعض

مقارنة بأي بناء عضوي آخر(٨٥).

فالترابط بين أفراد الأسرة له أساس عضوي اجتماعي. وله تقنين إسلامي يوضح الحقوق والواجبات والالتزامات والمسؤوليات المتبادلة بين هؤلاء الأفراد تجاه بعضهم البعض. ومن هنا فإن التعبير الفعلي عن قيم الترابط إنما هو أجدر بأن يكون موجوداً وبالصورة الصحيحة بين أفراد الأسرة. لقد نبَّهنا الإسلام إلى أن المؤمنين إخوة (أيا كانوا في أي مكان من بقاع الأرض) ونبهنا إلى أن المسلمين جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. لا شك أن الترابط الصحيح بين أفراد الأسرة (Family) هو المرتكز الأول لكي يمتد هذا الترابط ليصبح بين المؤمنين والمسلمين بصرف النظر عن جنسهم ولونهم ولغتهم، ووطنهم.

والترابط الصحيح الذي نعنيه هو ذلك الترابط المستمد من الإسلام. والأسرة المسلمة هي تلك الأسرة المترابطة. والتي يندعم ترابطها باستمرار حرص الوالدين على القيام بتربية الأبناء والاندماج معهم وإتاحة الفرصة لهم للنمو السوي في شخصياتهم. وهي التي يلتزم فيها الأبوان

بواجباتهما تجاه الآخر وتجاه الأسرة، وهي التي تبث قيم الحب والانتماء بين أفرادها، وتصبح عامل جذب يستقطب كل مكوناته فلا ينخرط أي منهم في جماعات شاذة أو منحرفة، وهي التي تشبع حاجات هؤلاء الأعضاء وتكون بؤر انطلاق وتبادل للعواطف والسكينة والمودة والرحمة وصلة الرحم. لا شك أن ذلك يستلزم قيام الأبوين بدورهما الوالدي، فلا يتركان الأبناء للخدم، ولا تكون الأثرة أو الأنانية لدى أي منهما بما يخل بواجباته ومسؤولياته الأسرية. فإذا التزمت الأسرة بكل ذلك قولاً وفعلاً تصبح أداة ومجالاً لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

العلاقة بالآخرين

تتحدد علاقات التنظيم الاجتماعي على أساس مجموعة من المتغيرات يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند الدراسة ومن أجل أفضل فهم تقسم هذه العلافات إلى قسمين: علاقات داخلية وعلاقات خارجية، وتذهب بعض الدراسات الاجتماعية إلى أنه في دراسة التنظيمات (كالأسرة) تبين أن المعرفة من الداخل فقط لا تكفي، لأن استبعاد التأثيرات الخارجية يؤدى إلى فصم الوحدة

التنظيمية عن الإطار الذي تنتمي إليه والذي لا يمكن فهمها إلا من خلاله.

كما أن قصر الدراسة على الخارج يؤدى إلى إهمال الميكانيزمات الداخلية التي تؤدى إلى عدم فهم طبيعة التفاعل وما يترتب عليه من سلوك أو اتجاهات. كذلك فإن عدم الربط بين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية يؤدى إلى عدم إدراك طبيعة المعوقات أو المشاكل أو التوترات أو التصدعات التي تصيب الوحدة التنظيمية (٨٦) ومن المؤكد أن شخصية الأسرة والعلاقات بين أفرادها، تؤثر بدرجة أو بأخرى على علاقتها بالآخرين.

ولعل من أهم المكونات الخارجية علاقات أفراد الأسرة بالآخرين مثل الأقارب والجيران وأفراد جماعات العمل والمهن والهوايات والأنشطة.. الخ. وكل هؤلاء لهم تأثير مباشر أو غير مباشر على أعضاء الأسرة. والإسلام دين ألفة وتجمع، ونزعة التعرف إلى الناس والاختلاط بهم تتضح في تعاليمه، ومن المعروف أن الإنسان اجتماعي بطبعه، والإسلام يقر هذه الفطرة، وفي الوقت نفسه فإن الإسلام أوجب اعتزال الفتن والفساد إذا لم يكن من الممكن تغييرها

باليد واللسان، وقد قال رسول الله ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» (٨٧) وعلى ضوء تعاليم الإسلام. ومتطلبات دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. يتعين أن يكون أصدقاؤها ممن يتسمون بالتقوى.

وأن تكون هذه الصداقة خالصة لوجه الله مبرأة من الأعراض الدنيوية. فالعلاقة هنا أساسها التحاب في الله. قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: المتحابون بجلالي في ظل عرشي، يوم لا ظل إلا ظلي» (٨٨). وقد نبهنا القرآن الكريم، إلى أن الأخلاء يوم الحساب سيكونون أعداء إلا المتقين المتحابين في الله. وعندما يختار الفرد أصدقاءه من هذا النوع (المتقين) سيكونون عوناً له في دينه ودنياه. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «المرأ على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (٨٩) ويوضح لنا الإسلام مدى فداحة الندم الذي يخبره الفرد إذا اختار أصدقاء سيئين وسار في ركابهم. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً{٢٧} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً{٢٨} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩). إن الصديق السيئ لأحد أفراد الأسرة قد يكون سبباً

في تدميرها. لذلك فإن الأسرة تكون أداة ومجالاً لتطبيق الشريعة الإسلامية إذا التزمت وقامت التنشئة فيها على حسن اختيار الأصدقاء بحيث يكونون من ذوي التقوى، وفي هذا الإطار يكون تبادل الزيارات والهدايا والمنافع والمشاركة الوجدانية.

العمل والانتفاع بالوقت

فالأسرة المسلمة هي التي تلتزم قولاً وفعلاً بقيمة العمل أداءً وإتقاناً، باعتباره حقاً لكل فرد من أفرادها وواجباً عليه، وهي التي تلتزم بمبدأ أن العمل شرف والعمل حياة وبدونه لن يكون هناك شرف أو حياة. ولعله من بين أهداف التربية الإسلامية إعداد الفرد لحرفة أو مهنة يكسب منها عيشه بطريق حلال طيب. وقد أمرنا الله عز وجل أمراً صريحاً بالعمل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ﴾ كما ورد نفس المعنى في سنة الرسول ﷺ حين رأى عابداً انقطع للعبادة ليله ونهاره ويعتمد في معيشته على أخيه، فقال عليه السلام: «أخوه أعبد منه»، كما نبه الرسول الكريم إلى أن الفرد الذي يأخذ حبله ويحتطب به خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

وقد قال ابن سينا: «إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون عليه صناعته فيوجه لطريقه». ولقد كان المسلمون قادة للغرب في إتقان المهن والحرف. كما كانوا معلميه في العلوم التجريبية كالطب والتشريح والفلك والهندسة والكيمياء وغير ذلك من العلوم. والأسرة المسلمة هي التي تنشئ أفرادها على أن يحرصوا أشد الحرص على استثمار الوقت فيما هو نافع ومفيد. إذ إن جميع ما ضاع من الإنسان قد يمكن استرداده أو تعويضه إلا الوقت. ومعنى ضياع الوقت ضياع العمر. والإنسان يوم القيامة سيسأل عن وقته فيما قضاه. قال رسول ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن أربع، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» (٩٠).

وقد نظم الإسلام وقت المسلم حيث جعل الليل سكناً والنهار عملاً ابتغاء فضل الله في السعي والكد من أجل الرزق الحلال. ويبارك الله في وقت العبد إذا استيقظ مبكراً. قال رسول ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» (٩١). وروى عن فاطمة بنت المصطفى عليه الصلاة والسلام قالت: مرَّ بي رسول ﷺ وأنا مضطجعة متصبحة، فحركني

برجله، ثم قال: «يا بنية قُومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس» (٩٢). ولقد أثبت العلم الحديث أن النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً له تأثير إيجابي ملموس على صحة الفرد بدنياً ونفسياً بما يؤدي إلى زيادة الإنتاج وإتقان العمل، ومن المؤسف أن العديد من الآباء يضيعون وقتهم فيما لا طائل منه، حين يقضونه في السهر والمعصية وكان أجدر بهم قضاء الوقت فيما هو أجدى وأنفع: عمل مفيد، تربية الأبناء، تعلم العلم، مراعاة أمور المنزل، قراءة القرآن الكريم والتفقه في الدين، وغير ذلك من الأعمال الصالحة. ويقيني بأن الأسرة الكويتية لو استثمر أعضاؤها وقتهم على النحو الصحيح لكان للمجتمع شأن آخر. فلو أن المرأة الكويتية راعت الله في وقتها لأمكنها القيام بأعباء المنزل بسهولة وتفرغت لتربية أبنائها على خير وجه دون الاعتماد على الخادمات.

ولو أن الشباب الكويتي عرف قيمة الوقت لأمكنه سد حاجات الأمة من القوى العاملة المؤهلة لتحقيق التقدم والتنمية في كافة المجالات دون الحاجة إلى عمالة أجنبية. إن حسن استغلال الوقت ليس بالشيء الصعب أو العسير

وهو لا يتطلب تشريعاً أو قانوناً، وإنما ينبع من اقتناع ذاتي بأهمية الوقت وبالحكمة القائلة: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك وهذه المعاني بيَّنها لنا الإسلام.

العــزة

وهي تعني ألا يذل المرء نفسه، فالمسلم الحق هو الذي لا يضع نفسه موضع الضعف والهوان في علاقته بالآخرين، لدرجة أن الله يأمرنا إذا لم نجد العزة والحرية والقوة في المكان الذي نقيم فيه علينا أن ننشد هذه المعاني في مكان آخر، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً) (النساء:٩٧)، فالإنسان إذا لم يكن باستطاعته أن يعيش عزيزاً مكرماً في مكان وعلى الرغم من ذلك ارتضى لنفسه الهوان والذل وبقى في هذا المكان إنما يكون مأواه النار، وقد استثنى القرآن الكريم من ذلك من لا يقدر على الرحيل (إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً) (النساء:٩٨)، والإحسان هو طريق العزة.

ونعني بالإحسان التمسك بالدين وإتقان العمل الذي نكلف به، وبعد ذلك لا يكون لأحد علينا من سبيل. فالنفع أو الضر بيد الله وحده، وليس هناك مخلوق كائناً من كان باستطاعته أن ينفعنا إلا بشيء قد كتبه الله لنا، أو يضرنا إلا بشيء قد كتبه الله علينا.

والعزة تتحقق أيضاً بأن يعف المرء عما في أيدي الناس، وإذا طلب شيئاً لا مفر من طلبه فعليه أن يطلبه بعزة نفس، ولا يقلق على رزقه أو يستبطئه، ولا يحاول أن يرضي أحداً بسخط الله، وغني عن البيان أن العزة لا تعني التفاخر والتكبر على الناس، ولا تعني عدم الاعتراف بذوي الفضل فهذه كلها ليست من العزة في شيء. والأسرة المسلمة هي التي تلتزم بالتواضع والعزة وتنشئ أبناءها عليها، وهي الأسرة التي يضرب فيها الوالدان أوضح الأمثلة لعدم الخوف إلا من الله عز وجل. والعزة لا تتناقض مع الذلة في غير مسكنة عندما يتعامل الفرد مع المؤمنين، ولا مع خفض جناح الذل من الرحمة في العلاقة مع الوالدين فكل هذه الأمور من متطلبات عزة المؤمن.

الرحمة

إنها صفة من صفات الخالق العظيم، وهي تعني الرأفة و الجود والعطاء والعطف والتعاطف واللين والرفق وعدم القسوة أو الغلظة. وإذا كان الله عز وجل هو "خير الراحمين" وأن رحمته سبقت غضبه، فإن النبي ﷺ يقول «... إن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب» (٩٣) ويقول: «... لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا يا رسول الله كلنا رحيم، قال ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة» (٩٤) وقال ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» (٩٥) وقال: «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء» (٩٦) ولقد أُرسل النبي رحمة للعالمين، ووصف القرآن المؤمنين بأنهم رحماء بينهم. وفي بعض المواقف تكون الرحمة ظاهرها القسوة وباطنها الرأفة والمنطق والعدل فالأب قد يأخذ أطفاله بنوع من القسوة في بعض المواقف من أجل مصلحتهم ديناً ودنيا. والطبيب قد يجرى العملية الجراحية للمريض لاستئصال شأفة المرض.

والقاضي قد يحكم بالإعدام على الجاني والمستهتر حماية للمجتمع وتنفيذاً لأوامر الشرع والقانون.. الخ.. في مثل هذه المواقف وما شابهها تكون القسوة قائمة

على منطق المصلحة العامة، أو الخاصة بفرد معين. وهي لا تناقض الرحمة التي يعنيها الإسلام، أو لم يأمرنا الله عز وجل بأن نكون أشداء على الكافرين؟ وقد نالت الحياة الأسرية والعائلية الكثير من الاهتمام فيما يتعلق بالتطبيق العملي لمعنى الرحمة. فالمودة والرحمة هي أساس العلاقة بين الزوجين. كما أن الله عز وجل قد أودع الرحمة في قلوب الآباء والأمهات وأوصى الأبناء بالبر بالوالدين والرحمة بهما، ويشدد الإسلام على صلة الرحم تدعيماً للروابط والعلاقات الطيبة بين الأسرة وأقاربها. كما أوصى الإسلام بالرحمة باليتيم والبر به وكفالته. وكذلك بالخدم، ومما يروى عن رسول الله ﷺ ما معناه أنه لم يسأل خادمه عن شيء فعله لِمَ فعله، أو عن شيء تركه لِمَ تركه، وذلك على امتداد عشر سنين كاملة قضاها هذا الخادم عند رسول الله ﷺ. ولعل المستفاد من ذلك أن يكون الإنسان رحيماً مع الخدم، وأن يعطيهم حقوقهم كاملة غير منقوصة، وأن يعاملهم برفق دون إهدار لكرامتهم، ويصل الأمر بالإسلام الحنيف إلى أن يؤكد الرحمة بالحيوان، قال رسول ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (٩٧).

القــوة

يقول الرسول ﷺ «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» (٩٨). فالإسلام دين القوة والمنعة، ويكون المسلم قوياً إذا تغلغل الإيمان في نفسه واستمكن منها، "إنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه ككل، فإذا تكلم كان واثقاً من قوله، وإذا اشتغل كان راسخاً في عمله ،وإذا اتجه كان واضحاً في هدفه، وما دام مطمئناً إلى العاطفة التي تعمر قلبه، فقلما يعرف التردد سبيلاً إلى نفسه، وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه، إنه يثق فيما يرى أنه الحق، يعامل الناس على بصيرة من أمره، إن رآهم على الصواب والحق تعاون معهم، وإن وجدهم مخطئين نأى بنفسه واستوحى ضميره وحده (٩٩).

والأسرة المسلمة هي التي يأخذ أفرادها بكل أسباب القوة، وتربي أبناءها على ذلك، والقوة التي نعنيها هي كل الأساليب المشروعة التي تتبع للفوز في الدنيا والآخرة، وينصدر الإيمان هذه الأساليب جميعاً. فقوة الإيمان لدى الأب والأم تفرض الإيمان على الأبناء وتقنعهم به، فيصبح

رضا الله مبتغاهم. لا يخافون سواه، وتربي فيهم العزيمة والمثابرة والإصرار على تحقيق أهدافهم المشروعة بالأساليب التي أقرها القرآن والسنة، وتبعدهم عن الهواجس والشك والريبة، إنهم في أعمالهم يتوكلون على الله ويأخذون بالأسباب بكل التصميم وكامل الإرادة ويبتعدون عن حياة الخلاعة والفجور، ويسلكون طريق النزاهة والاستقامة والمروءة وأداء الفرائض. إن القوة في الأسرة المسلمة تتضمن الصراحة في القول والعلاقات، والجرأة في الحق، فلا يخشى الأفراد في الله لومة لائم، ولا تضعف عزيمتهم تحت تأثير الإغراءات أو قوة الجبارين. والأسرة المسلمة التي تربي أبناءها على الإيمان إنما تبث فيهم فضائل النبل والكرامة وتبعدهم عن الرذائل والعجز والتلاعب وسائر الموبقات، فيحققون آمالهم في الحياة، ويسعون إلى مرضاة الله، بالإيمان والعلم والعمل، فيشبون أسوياء أصحاء، وبالتالي تتجنب الأسرة التعاسة النفسية والهوان الاجتماعي.

هذه بعض أهم الأخلاق الإسلامية التي تميز الأسرة المسلمة. إنها تمارس هذه الأخلاق، وتربى أبناءها على اتباعها في إطار الالتزام بالدين الإسلامي عقيدة ومنهج حياة، والأسرة بهذا تصبح مجالاً ووسيلة لتطبيق جوهر

الشريعة الإسلامية، بما يعنيه ذلك من السمو النفسي الذي يتضمن يقظة الضمير ودماثة الخلق. فالأسرة بهذا تسمو بنفس كل فرد فيها، فيبتعد عن الصغائر ولا يعيش الحاضر وحده، وإنما يعيش مرتبطاً بالحاضر متحسباً للمستقبل، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

وشعور الإنسان بسموه النفسي هو الذي يعبر عنه "بالضمير أو الأنا الأعلى" والذي يقف من الإنسان موقف الرقيب يدفعه لأداء الصالح وينهاه عن ارتكاب الصغائر، يحثه على مراقبة الله تعالى في كل أقواله وأفعاله. لا شك أن هذا يتطلب أن ينشأ الطفل في بيئة اجتماعية (أسرية) تلتزم بالإسلام قولاً وفعلاً بحيث يتشرب منها الطفل هذا الالتزام ولاسيما وأن غرائز الطفل واستعداداته وقواه النفسية هي المادة الخام والتي يمكن تشكيلها على نحو معين منذ البداية. فإذا أحسن توجيهها والإشراف عليها ورقابتها - كان الناتج شخصية إسلامية قوية مدركة لهدفها في المجتمع.

مراجع وهوامش الفصل الرابع

١-صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، ط٢ (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر،١٩٨٤) ص ٢١٦.

٢-حسن الساعاتي، بحوث إسلامية في الأسرة والجريمة والمجتمع (القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٩٢) ص٨،

٣-البخاري، ج ٣، ص ١٥٥.

٤-صحيح أبي عبد الله البخاري، ج ٣، ص ١٥٠.

٥-رواه الترمذي.

٦-رواه الطبراني.

٧-محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٥) ص ٦٨.

٨-رواه ابن ماجة من حديث أم المؤمنين.

٩-سامية حسن الساعاتي، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي (القاهرة: مكتبة سعيد رأفت،١٩٨٨) ص١٠٤.

١٠-رواه أبو داود والنسائي.

١١-المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٦، ص٣٩٧٠

١٢-كمال البوهي، دعوة إلى السعادة (القاهرة، دار وهدان للطباعة والنشر، د.ت) ص١٥٠.

١٣-عجيل جاسم النشمي، وسائل التربية الإسلامية، مجموعة أبحاث مؤتمر تهيئة الأجواء التربوية لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، (المحور الأول)، الكويت، الديوان الأميري، ذو القعدة ١٤١٣هـ، إبريل ١٩٩٣، ص٩٠ - ٣٩٠

١٤-رواه الترمذي.

١٥-رواه مسلم.

١٦-رواه مسلم.

١٧-رواه الترمذي.

١٨-رواه ابن عباس.

١٩-محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ط١٠

(القاهرة: دار الشروق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) ص١٧٥٠

٢٠-فاطمة عمر نصيف، حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة، ط١، سلسلة رسائل جامعية، رقم ٢٤ (جدة: مؤسسة تهامة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ص٢٦٢٠.

٢١-رواه أبو داود.

٢٢-رواه البخاري.

٢٣-رواه مسلم.

٢٤-رواه البخاري.

٢٥-فاطمة عمر نصيف، مرجع سابق، ص٢٨٤٠.

٢٦-محمود إبراهيم سليم، منهاج تربية الطفل المسلم (القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت) ص٣٠-٤٠٠.

٢٧-رواه البخاري.

٢٨-أحمد حمد أحمد، الأسرة: التكوين، الحقوق والواجبات: دراسة مقارنة في الشريعة والقوانين (الكويت: دار القلم، ١٩٨٣) ص ١٩٨.

٢٩- رواه ابن ماجة وأحمد في مسنده.

٣٠-رواه الطبراني في المعجم الكبير.

٣١-أحمد حمد أحمد. مرجع سابق، ص ٢١٨.

٣٢-رواه أبو داود عن أبي الدرداء بإسناد حسن.

٣٣-أحمد حمد أحمد. مرجع سابق، ص ٢٨٢.

٣٤-خليفة أحمد العقيلي، الزواج والطلاق في الشريعة الإسلامية (بنغازي، ليبيا: دار الكتاب الوطنية، ١٩٩٠) ص ١٦٧.

٣٥-جزء من حديث رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

٣٦-أخرجه مسلم وأبو داود.

٣٧-أحمد حمد أحمد. مرجع سابق، ص ٢٥٦.

٣٨-كمال البوهي، مرجع سابق، ص ١٥٢٠

٣٩-أحمد حمد أحمد. مرجع سابق، ص ٣١٣.

٤٠-رواه مسلم عن ابن عمر.

٤١-عماد الدين خليل. ملاحظات في تاريخ المجتمع الإسلامي (القاهرة: مكتبة النور، ١٩٨٩) ص٤-٥.

٤٢-محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ط ٥ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣) ص ٤٩.

٤٣-رواه الشيخان و أبو داود والترمذي.

٤٤-رواه أحمد.

٤٥-رواه أحمد.

٤٦-رواه مسلم.

٤٧-رواه البخاري.

٤٨-شارلز شيفر & هوارد ميلمان، مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، ترجمة نسيمة داود& نزيه حمدي، ط ١ (عمان: الأردن، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩) ص٤٥٥٠.

٤٩-رواه أبو داود.

٥٠-رواه أحمد.

٥١-رواه البخاري.

٥٢-محمد الغزالي، خلق المسلم، ط١ (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٧) ص ٥١.

٥٣-رواه مسلم.

٥٤-فتنت مسيكة بر. حقوق المرأة بين الشرع الإسلامي والشرعة العالمية لحقوق الإنسان (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٩٢) ص ١٩٠.

٥٥-رواه البخاري.

٥٦-فتنت مسيكة بر. المرجع السابق. نقلاً عن: ابن حزم، كتاب الإحكام في أصول الأحكام.

٥٧-رواه الطبراني.

٥٨-رواه البيهقي.

٥٩-رواه البخاري.

٦٠-رواه أحمد.

٦١-رواه أحمد.

٦٢-رواه البيهقي.

٦٣-رواه ابن ماجه.

٦٤-رواه الطبراني.

٦٥-رواه أحمد.

٦٦-رواه الحاكم.

٦٧-رواه البخاري.

٦٨-محمد الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ١٢٧.

٦٩-رواه مسلم.

٧٠-رواه البخاري.

٧١-رواه الطبراني.

٧٢-رواه مسلم.

٧٣-رواه مسلم.

٧٤-رواه مالك.

٧٥-محمد عثمان نجاتي، علم النفس والحياة، ط ١٥ (الكويت: دار القلم، ١٩٩٣) ص١٤٦.

٧٦-رواه البزار.

٧٧-رواه الترمذي.

٧٨-محمد الغزالي، مرجع سابق، ص ١٤٦.

٧٩-رواه ابن ماجه.

٨٠-رواه أحمد.

٨١-رواه البخاري.

٨٢-رواه مسلم.

٨٣-رواه الحاكم.

٨٤-رواه ابن ماجه.

٨٥-زيدان عبد الباقي، الأسرة والطفولة، مرجع سابق، ص٣٨.

٨٦-سناء الخولي، الأسرة في عالم متغير، مرجع سابق، ص٢٠٤٠.

٨٧-رواه الترمذي.

٨٨-رواه أحمد.

٨٩-رواه أبو داود.

٩٠-رواه الترمذي.

٩١-رواه أبو داود.

٩٢-رواه البيهقي.

٩٣-رواه الترمذي.

٩٤-رواه الطبراني.

٩٥-رواه البخاري.

٩٦-رواه الطبراني.

٩٧-رواه البخاري.

٩٨-رواه مسلم.

٩٩-محمد الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص٩٩.

١٠٠-انظر في ذلك: عبد الناصر توفيق العطار، تطبيق الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٣) ص ٥٦.

١٠١-محمد يوسف موسى، نظام الحكم في الإسلام(القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣) ص١٣٦٠.

١٠٢-علي عبد الواحد وافي، الأسرة والمجتمع، ط٧

(القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧) ص٤.

خاتمة

الأسرة هي المجال الأول الذي تتشكل من خلاله الشخصية، وهي مصدر الإشباع النفسي الرئيسي والتشكيل الديني الأولى، والإثراء الفكري الممتد، والأسرة هي خط الدفاع الأول ضد كل ما يتناقض مع النمو الديني والأخلاقي لشخصية الفرد، وبالتالي فإن الأسرة المسلمة تقع عليها المسؤولية الأولى في تطبيق الشريعة الإسلامية، ويكون ذلك من خلال إعمال المعايير الإسلامية في الاختيار الزواجي حتى تؤسس الأسرة وفق مبادئ صحيحة منذ البداية، والالتزام بأخلاق الإسلام في تربية وتنشئة الأبناء وفق الأصول التربوية الإسلامية، والالتزام المتبادل بالحقوق والواجبات بين أفراد الأسرة، ثم الالتزام بالأخلاق الإسلامية في تعامل الأسرة مع المجتمع.

فالأسرة المسلمة هي التي تتخذ الإسلام عقيدة ومنهج حياة، بحيث يتم تطبيق الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لهذا الدين الحنيف (١٠٠). فإذا التزم الآباء والأمهات والراشدون من أبناء الأسرة بهذه الفكرة في حدود هذه الدائرة الاجتماعية (الأسرة) يكونون قد قاموا

بواجبهم في تطبيق الشريعة الإسلامية، ومن المؤكد أن في مقدمة واجبات الحكم الإسلامي وغاياته "بيان الدين للناس بياناً صحيحاً يدفع الشبهات عنه، وأخذ الناس به برفق، وحفظه من الملحدين والمعتدين، والانتصار لشريعة الإسلام إذا أراد أحد مخالفتها" (١٠١) لكن في معظم جوانب حياة الأفراد نجد أن التشريعات والسياسة لا يمكنها فرض ما لم تستطيع أن ترسخه التربية والتنشئة، فنظم الأسرة ليست من صنع أفراد، ولا هي خاضعة في تطورها لما يريده القادة والمشرعون، وإنما تنبعث من تلقاء نفسها عن العقل الجمعي واتجاهاته، وتخلقها طبيعة الاجتماع وظروف الحياة، وتتطور وفق نواميس عمرانية ثابتة لا يستطيع الأفراد سبيلاً إلى تغييرها أو تعديل ما تقضي به، وأن القادة والمشرعين ليسوا في هذه الناحية وغيرها إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين عن رغباتها وما هيئت له.

فإن انحرفوا في تشريعهم هذا عن السبيل كان نصيبهم الإخفاق المبين (١٠٢)، وبالتالي فإن القادة والمشرعين لا يمكنهم فرض أنماط معينة للعلاقات ونظم التفاعل، وأساليب التربية اليومية داخل الأسرة بما في ذلك

من قواعد دينية تؤثر في الفكر والعقيدة والسلوك. فهذه الأمور خارج سيطرة القادة والمشرعين بينما هي في مقدور الأسرة، وتحت سيطرتها بحكم المعايشة اليومية والانتماء والترابط النفسي وغير ذلك من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. فإذا التزمت الأسرة بتعاليم الإسلام يكون تطبيق الشريعة الغراء عن اقتناع وفهم ومعرفة، والمسلم الحق هو الذي يطبق الشريعة الإسلامية على نفسه وأهله في السر والعلن، وليس في العلن دون السر، ومن المؤكد أن تنفيذ العقوبات من قصاص وحدود وتعزير هي من اختصاص الحاكم بحيث يقف الجميع عند حدود الله، فالمواريث مثلاً حدود الله.

ولا يمكن ترك تطبيقها لوارث طامع أو وارث يفرضها بقوته على باقي الورثة، وإنما لابد من "سلطة" تضمن أن يصل لكل ذي حق حقه. ولكن الشريعة الإسلامية ليست في هذا الإطار الضيق، بل إنه حتى في هذا الإطار لابد من الوعي العام، والالتزام الفردي والجماعي وهذه مسؤولية التنشئة بمؤسساتها المختلفة، والأسرة على وجه الخصوص.

فإذا أخذنا في اعتبارنا أن تطبيق الشريعة الإسلامية لابد أن يأتي من داخل الأسرة، فإن الدين الإسلامي الحنيف قد أحاط الأسرة بعناية فائقة، لقد وضع لها الضمانات التي تكفل لها القوة والاستمرارية وإنتاج وتربية الأجيال الصالحة ديناً ودنيا، كما حدد الحقوق والواجبات والمعايير والمسؤوليات والقيم الأخلاقية التي يجب أن تلتزم بها الأسرة بما يجعل منها وحدة اجتماعية تقوم على الالتزام والوفاء بحقوق الله والدين والفرد والمجتمع.

وقد اهتم الدستور الكويتي اهتماماً واضحاً بالأسرة من المنظور الإسلامي، ففي المادة الثانية، ينص الدستور على أن "دين الدولة الإسلام، والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع"، وفي المادتين التاسعة والعاشرة، ينص الدستور على أن "الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن، يحفظ القانون كيانها ويقوى أواصرها ويحمي في ظلها الأمومة والطفولة" وكذلك "ترعى الدولة النشئ من الاستغلال وتقيه الإهمال الأدبي والجسماني والروحي".

بمثل هذا الأسلوب الجاد يؤكد الدستور أقوى وثيقة تشريعية أهمية وضرورة الإسلام في حياة الفرد والجماعة والمجتمع. وإيماناً من الدولة بهذه الأهمية صدر المرسوم الأميري بإنشاء اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ونص المرسوم على أن مهمتها "وضع خطة لتهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مع مراعاة واقع البلاد ومصالحها، ولها في سبيل ذلك دراسة القوانين السارية في مختلف المجالات واقتراح ما تراه بشأنها لضمان توافقها مع أحكام الشريعة الإسلامية. والواقع أن هذه المهمة العظيمة (وضع خطة لتهيئة الأجواء) لابد لها من مداخل تنفيذ، يأتي في مقدمتها الأسرة، فما لم تقم الأسرة الكويتية بدورها في تربية وتنشئة الأبناء على الإسلام، وما لم يلتزم جميع أفراد الأسرة بآداب وأخلاق الإسلام في تعاملاتهم، فإن الحديث عن تطبيق الشريعة يصبح غير ذي موضوع.

في نهاية هذه الجولة هناك مجموعة من الاقتراحات التي يؤدي تنفيذها إلى تفعيل مساهمة الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية، فيجب أولاً تركيز الممارسات

الثقافية في اتجاه تأصيل هوية المجتمع الكويتي باعتبار أن هذه الهوية تنعكس بالتأكيد على كافة التنظيمات الاجتماعية داخله. فالمجتمع الكويتي مجتمع عربي إسلامي، وهو في الوقت نفسه جزء من الإنسانية يتفاعل معها ويتأثر بها ويؤثر فيها.

إنه جزء من العالم المعاصر بكافة خصائصه، ومن جهة ثانية، يجب القضاء على أي مظهر للتضارب في الممارسات بين الجهات المختلفة تجاه الأسرة، وهذه الفكرة في غاية الأهمية، لأن التناقضات التي ظهرت في الآونة الأخيرة، يمكن أن تفسد جهود تلك الجهات، فنحن نسمع مثلاً برنامجاً إذاعياً أو تليفزيونياً، أو نقرأ تحقيقاً في صحيفة أو مجلة مبيناً الآثار السلبية التي تترتب على زواج الكويتي من غير كويتية، ثم نفاجأ في نفس الوقت بتحقيق في إحدى المجلات، أو بخطبة في أحد المساجد بما يؤكد الآثار الإيجابية لمثل هذا الزواج وشرعيته، فلماذا لا يكون هناك توحد في المنطق، ويكون لدينا الجرأة لحسم الموضوعات الخلافية المتعلقة بالأسرة حتى لا يقع المواطن فريسة للتشكك وعدم التصديق، بدلاً من ترك الأمور على أعنتها؟

وهناك عشرات القضايا بشأن الأسرة لا يوجد بعد الحد الأدنى من الاتفاق حولها بسبب التضارب غير المبرر في المواقف بل والممارسات.

الاقتراح الثالث الذي نقدمه يتمثل في إنشاء مراكز للإرشاد الأسري المتخصص، تتولى إعداد الشباب لممارسة دور الوالدية، وتبصرهم بالثقافة النفسية والاجتماعية والتربوية فيما يتعلق بالاختيار الزواجي والتنشئة والتنظيم السليم للمناخ الأسري بحيث يكون مواتياً (إيجابياً)، أما الاقتراح الرابع، فهو نشر وترسيخ الثقافة الإسلامية بشأن الأسرة من خلال برامج التربية، والتعريف بالنتائج الإيجابية التي تعود على الفرد والجماعة والمجتمع من جراء الالتزام بالأسس والمبادئ التي أقرتها الشريعة الإسلامية بشأن الأسرة.

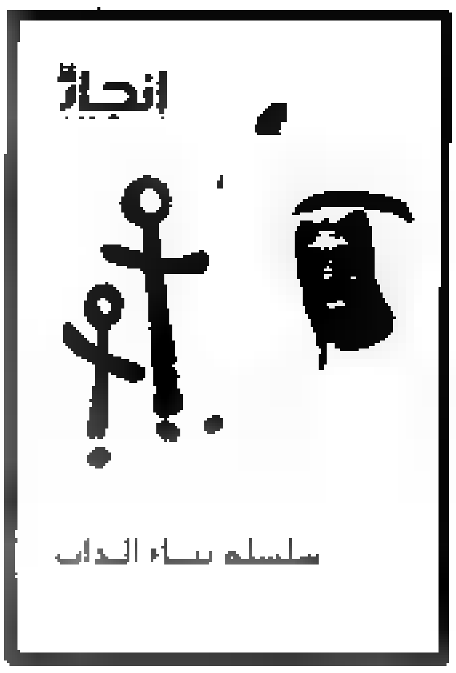

سلسلة بناء الذات

المراحل الاساسية في بناء الذات البشرية وهو أهم بناء على الإنسان الاهتمام به.

السلسلة الصوتية الأولى لأستاذ الدكتور بشير صالح الرشيدي وفيها يتكلم عن المراحل الأساسية في بناء الذات البشرية وهو أهم بناء على الإنسان الاهتمام به. وتتكون هذه السلسلة من ثلاثة إصدارات وهي، كمال النفوس ـ تقدير الذات ـ وقوة الاختيار. وهي رحلة غوص في النفس البشرية للتعرف على أسرارها وكيفية استثمارها والتمتع في هذه الحياة اللطيفة.

الشجرة

رواية شاب سيطرت فكره في ذهنه - أراد أن يزيل الفكرة لكنها واقع يريد إزالته.

الشجرة رواية ترسم تاريخ فكرة نبتت. وترعرعت وسيطرت على ذهن شاب أصبحت الفكرة تُسير حياته. وتُقيم علاقاته. ترسم خطواته. حاول أن يزيل الفكرة من الواقع لأنه لم يستطع تحمل وجود الشجرة في ذهنه. لكنها واقع يريد إزالته. حاول أن يحشد الإمكانيات المادية والبشريه لإزالة الشجرة ولكنه لم يفلح لاختلاف الصور في أذهان الآخرين. لم يتحمل سالم هذا الاختلاف. لأنه يريد تحقيق إزالة الشجرة من الواقع. وكما ترسم الرواية تكوين الفكرة في العقل.

أمواج

الحياة بحر يسبح به الانسان وفيها أمواج تقبل وتدبر وفي هذه الرواية مشاهد لمن اراد ان يتعلم أدوات التمتع بالحياة.

الحياة بحر يسبح به الإنسان. وفيها أمواج وأفجاج. تقبل على الإنسان يوماً وتدبر عنه أيام. والإنسان في ابحاره في أمواج الحياة يتعلم منها مهارات. ويزداد معلومات ويكون اتجاهات. ليست رحلة الحياة بالسهلة ولكنها ليست كذلك صعبه لمن أراد أن يجعلها رحلة لطيفه. يتعلم كيف يركب الأمواج. ويتسلق الجبال. إنها رحلة مغامرة لطيفه. يتمتع بها المقبل عليها ويشقى بها الذي لا يعرف أدوات التمتع بتياراتها.

مجاهد

قصة مجاهد الشاب الذي فقد هويته وقبض عليه عند قربه من انفجار.

مجاهد قروي الأصل، حيوي الروح، أراد أن يعيش حياة المدينة، لكي يعرف الحياة، هجر قريته، وصل مدينته، سرقت محفظته، وضاعت هويته، حصل انفجار حال وصوله تم القبض عليه، طلبت الأجهزة الامنية بطاقة إثبات للهوية لأنها سرقت، تم احتجازه للتحقيق، وطالت فتره احتجازه تعرض خلالها لمعاناة حقيقية تحت ضغوط التحقيق التي لم يكن لها بداية ولا نهاية، وفي السجن تعرف على أصحاب القضايا المختلفة التي تخالف النظام.

إكتشف ذاتك

كتاب يعرض فلسفة في الحياة مفادها أن الصور الذهنية هي التي تحكم السلوك.

الإنسان ذات كلية لابد أن يحدد غاياته لكي يستثمر إمكانياته، وقد تعرض الكتاب إلى مفهوم السلوك، وركز على الانفعالات التي هي أساس سعادة الإنسان، وأكد أنها من اختيار الإنسان، وليست رغماً عنه أو نتيجة الظروف الخارجية التي تحيط به.

وقد تطرق المؤلف إلى عوامل تحقيق الغايات، وأكد أنها تتمحور حول الاختيار والعزم والاستعانة ومن ثم الصبر على كل ذلك، وقد ناقش الكتاب أمثلة على أهمية تقدير الذات وكيفية الوصول إلى ذلك المستوى، ليكون الإنسان شيئاً مذكوراً، ويترك أثراً وأجرا موفوراً.

التعامل مع الذات

الناس تعرف كيف تتعامل مع الناس ولكن لا تتقن التعامل مع الذات.

كتاب يتحدث عن ضرورة التعامل مع الذات ليس فقط للمساعدة على التغلب على المعاناة ولكن أيضا لتأكيد فكرة أن الخطر (المعاناة) مصدره هذه البنية، وجاء هذا الكتاب أثر التماس الكاتب الحاجة لضرورة التوصل إلى استراتيجيات وسبل من أجل تفعيل مهمة الإنسان في الحفاظ على برامج وخطط هادفة، أو من خلال جلسات إرشاديه وإجراءات علاجيه تعمل على تمكين الشخص من التغلب على معاناته، والكتاب به ثلاثة عناصر رئيسية وهي المعرفة، المحبة، الممارسة.

إكسب ذاتك

كتاب يتحدث عن كيفية كسب الذات، وهي بضاعة غالية الثمن، ومن أستطاع كسبها أصبح من عِداد الفائزين.

كتاب يتحدث عن كيفية كسب الذات، وهي بضاعة غالية الثمن، ومن استطاع كسبها فقد أصبح من عِداد الفائزين والدعوة إلى الكسب على غرار كسب الملايين والتي تسمع عنها ويقبل عليها الناس لكن الأمر بالنسبة للمؤلف يتمثل في أثمن ما في الوجود على الإطلاق وهي الذات البشرية، فهي أغلى ما يملك الإنسان في حياته. وقد توصل المؤلف إلى معادلات نفسيه في كيفية التعامل معها، وحدد أبعاد كسب الذات في ثلاث محاور أساسية.

الراحلة

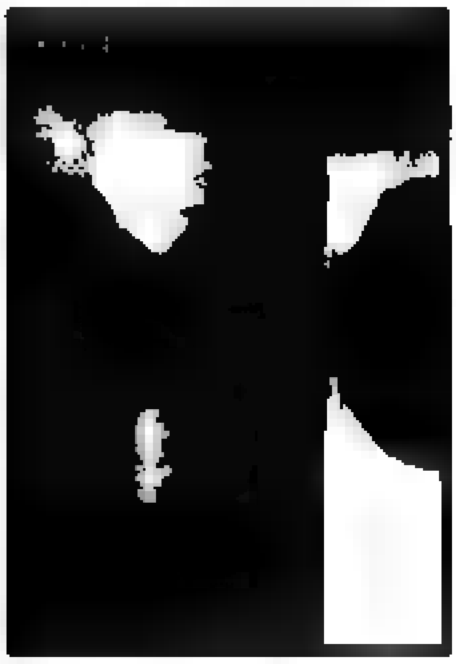

رجل عشق صورة امرأة في ذهنه صدمته في واقعه، أحداث متكررة تُعالج في رواية.

الراحلة قصة رجل عشق صورة امرأة في ذهنه صدمته في واقعه، لكن الواقع المختلف لم يغير قناعته، فقد صورها في عقله وعاشها فتره من الزمن في غربته، عاد إليها، لم تغير طبعها، إنها صوره تحكم سلوك العاشقين ترى من الواقع ما يناسب الصورة لكن محبوبته لم تضعه في اعتبارها تعامله كشخص يستحق المساعدة مثله كالآخرين تعطي كل منهم حاجته، لكنه أرادها مختلفة وأرادت أن تكون مختلفة عن صورتها عنده، صراع بين عقل يرى وقلب يريد.

الإرشاد النفسي

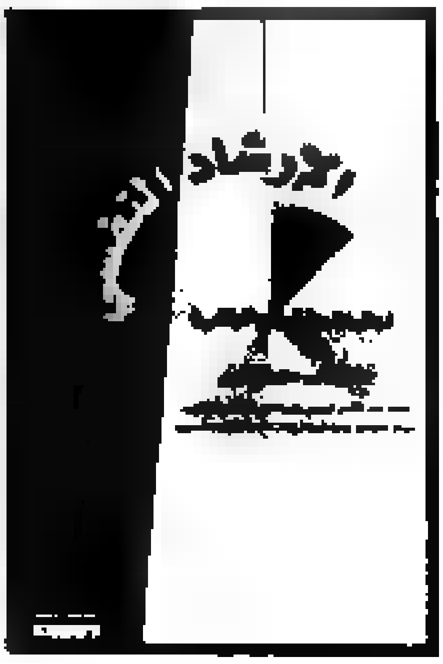

كتاب الإرشاد النفسي وفق نظرية العلاج الواقعي، حيث يجمع الإرشاد النفسي العلم والفن.

ولقد تم تطبيق نظرية العلاج الواقعي في مجال الأسرة والزواج وكذلك في مجال الأعمال والمهن، ويتضمن هذا الكتاب ستة فصول، تختص الفصول الثلاثة الاولى بالجانب النظري للعلاج الواقعي والفصل الرابع والخامس يناقشان الجوانب التطبيقية لنظرية العلاج الواقعي وأما الفصل السادس يعرض نماذج تطبيقية لنظرية العلاج الواقعي في مجال الأسرة وتربية الأطفال... الخ، وعلماً بان هذه الأمثلة جزء من المجالات العديدة التي تطبق فيها النظرية.

مناهج البحث التربوي

البحث العلمي أحد المتطلبات الأساسية لتقدم الأمم والشعوب.

من واقع تعامل المؤلف مع الباحثين لاحظ نوعاً من عدم الرسوخ أو العمق المنهجي لدى الكثيرين منهم على الرغم من أن البحث العلمي هو أحد المتطلبات الأساسية لتقدم الأمم والشعوب. فبفضل جهود العلماء والباحثين حقق الإنسان تقدماً ملموساً في كافة المجالات.

وقد تحول البحث العلمي إلى مهنه واحتراف بموجب تطور أدوات البحث ومناهجه.

هبة الأحلام

رواية من عالم الواقع يقع فيها المهندس سالم في حب جنيه، هل يتزوجها؟ أم ماذا يفعل؟

رواية تحكي قصة (سالم) الذي عشق جنيه تدعى (هبه). دخلت (هبه) على (سالم) في دار نومه، لم يخطر في باله أن يراها أمامه. وقد اندهش من وجودها، نشأت بينهما علاقة حب قويه. لكنه عان من هذا الحب بسبب اختلاف شخصية كل منهما، فهو (إنسان) بينما هي (من الجن)، حاول أن يشكلها لنفسه، غير أنه وجد نفسه وقد تشكل لها.

غليون الزعيم

مجموعه قصصيه قصيرة تُعالج أحداثاً واقعيه مختلفة.

(غليون الزعيم) مجموعه قصصيه تُعالج أحداثاً إنسانيه مختلفة، تبدأ بالبحث عن الحظ كما في القصة (حتى في النوم) وتصور للقارئ أنه غالباً ما سيجد ما تخيليه واقعاً. ويعرج الكاتب على (غليون الزعيم) – عنوان الكتاب– ليقرر أن السلطة شهوه عندما تُسيطر على الإنسان تنسيه أبجديات الحياة، فيكون الغليون رمزاً للشعب. كما تستعرض المجموعة القصصية بعض اللمحات الحقيقية التي تتجاوز القياس المادي وتترك أثراً سلوكياً مختلفاً.

تمتع بحياتك

دعوه خاصة لمن أراد التمتع بالحياة وأن يكون له حياه خاصة به، دون انقطاع عن غيره.

دعوه خاصة لمن أراد أن يكون له حياه خاصة به، دون انقطاع عن غيره، دعوه للنظر فيما يجري داخل الذات من انفعالات وتصورات تُشكل في مجموعها ألوان الحياة من حولك، إنما دعوه للسباحة في أعماق الذات البشرية لكي تقدر إمكانية تشكل الدنيا من حولك بغض النظر عن ألوانها وتياراتها التي قد تكون معك أو ضدك، تعرف عما تملك وتتمتع به وترك ما لا تملك فإنه لم يكن لك. تمتع بحياتك وليس بالدنيا، فالفرق بينهما شاسع.

رحلة لطيفة

ناصر يفقد زوجته لطيفه التي هي جزء من كيانه. هل تصبح الحياة لطيفه بعد موت لطيفه؟

رواية تقوم على فلسفه خلاصتها أن الحياة حلوه طالت أم قصرت، والتفاعل بها واجب وإن كانت دقائق معدودة، إن أردت أن تحيا فلتحيا بكل عناصر الحياة، ولا تفكر بالرحيل وإن كانت أيامك معدودة، افعل ما تريد فعله حسب اعتقادك فإن كثيراً من الناس قد طالت أعمارهم على غير راحة في الحياة، وقليل من الناس قد استمتعوا بحياتهم رغم قصرها، إذن الحياة ليست بعدد السنين ولكن في كيفية استثمارها والإقبال عليها، آه فما أحلى الحياة.

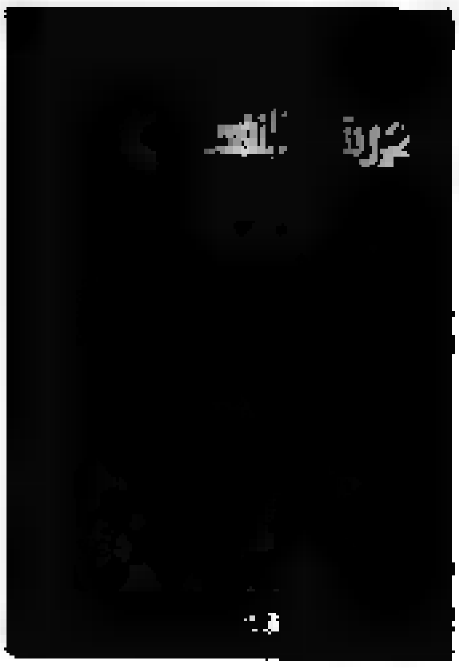

مقدمة في الإرشاد النفسي

كتاب مقدمه في الإرشاد النفسي

(بالاشتراك مع د. راشد السهل)

مفهوم الإرشاد النفسي ومقترحات عمليه لمواجهه تلك التحديات وتفعيل دور الإرشاد النفسي في الواقع العربي.

قام بتأليفه الدكتور بشير الرشيدي بالاشتراك مع الدكتور راشد السهل يتضمن عشرة فصول، تغطي كلاً مفهوم الإرشاد النفسي وحرفيته، نظرية الإرشاد السلوكي، نظرية العلاج بالواقع.

نظرية الاختيار

نظرية الاختيار من النظريات الحديثة في هذا العصر ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع.

وهو من أهم الكتب التي تناولت نظرية الاختيار، والتي وضعها وليم جلاسر. يعرض الكتاب جوانب أساسيه تتمثل في الحاجات والدوافع من حيث دلالتها للسلوك الإنساني، الجهاز العصبي والتحكم في السلوك، مجموعة الصور الذهنية والسلوك، كما يعرض الكتاب نماذج من المشكلات النفسية وطرق التعامل معها، ويغطي موضوعات متنوعة.

سيكولوجية الأسرة و الوالدية

كتاب يتضمن فكراً علمياً شاملاً عن مفاهيم ونظريات والأسرة.

تعتبر الأسرة المكون الأساسي في السياق الوظيفي لتكوين الشخصية، ولأنها الجماعة النفسية والاجتماعية الأولى التي تتلقى الأفراد فإنها من أهم المؤثرات في تكوين شخصياتهم وتشكيل سلوكهم. و انطلاقا من أهمية الأسرة يأتي هذا الكتاب الذي يتضمن فكراً علمياً شاملاً عن مفاهيم ونظريات الأسرة.

الجهاد

الجهاد بين منظوري الشرع وعلم السلوك

إن الجهاد في سبيل الله من أجمل القربات وأجل الطاعات، وقد وضع التشريع السماوي أصول للجهاد وكيفيته ووسائله ومع هذا فإن هذا التشريع العظيم قد فهمه بعض المتشددين فهما خاطأ لأنهم مدفوعين بالعاطفة وقال بن عثيمين العاطفة إذا لم تضبط تحولت لعاصفة، وضيقوا مفهوم الجهاد وحصروه في نيل الشهادة ولكن ما حكم الجهاد؟ وهل هو فرض عين أم فرض كفاية؟

ونحن هنا نبين الجهاد بمفهومه الواسع ...

دور الأسرة في تطبيق الشريعة الإسلامية

ينطلق هذا الكتاب من فكرة أهمية دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

تطبيق الشريعة الإسلامية يكون من خلال الأسرة قبل أن يكون بموجب قرار سياسي أو مرسوم أميري. فالأسرة هي التكوين الاجتماعي والامتزاج النفسي الأول، وهي المحضن الأول للتربية والتنشئة، وعلى الزوجين مسؤولية تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجي.

الآن

شاهد برنامج

اعرف ذاتك

أ.د.بشير صالح الرشيدي

YouTube™

برنامج اعرف ذاتك مع أ.د.بشير صالح الرشيدي يقدمة المذيع محمد المرشد ويتناول البرنامج مفهوم الذات وكيفية معاملتها وثقافة الذات وطرق تنميتها.

www.youtube.com/injazgroup

www.injazgroup.com

من نحن

نبذة

تأسست شركة إنجاز العالمية للنشر والتوزيع في عام ٢٠٠١ ورؤيتها نشر وتوزيع المنتجات المتخصصة في التنمية البشرية وتعمل إنجاز على تسهيل حصول العميل منتجاتها من خلال تعدد مواقع التوزيع وللشركة وسائل فكرية متعددة منها كتب تطوير الذات وروايات نفسية ومرئيات وسمعيات ومنتجات وخدمات أخرى.

رؤيتنا

أن تكون شركة إنجاز العالمية للنشر والتوزيع الشركة الرائدة في الوطن العربي في تقديم الكتب والصوتيات والمرئيات في مجال التنمية البشرية.

الرسالة

المساهمة في المعرفة العالمية فيما يتعلق بتحرير الإنسان من عوائقه النفسية واستثمار إمكانياته الذاتية للتمتع بحياته وتحقيق غاياته الشخصية وذلك على قواعد إسلامية تقدم للناس كافة بغض النظر عن دينهم ومكانهم أو زمانهم ونشر الوعي بين الناس فيما يتعلق بطرائق التعامل مع ذواتهم والآخرين.

إنجاز العالمية للنشر والتوزيع
Achievement for Publishing & Distribution

الكويت ـ حولي ـ شارع تونس ـ مجمع البرازيلية.

هاتف: ٢٦٤٣٣١٣ ـ ٢٦٤١٤٩٩ـ ٢٦٢٨٤١٥ (٠٩٦٥+).

فاكس: ٢٦٢٨٤١٦ (٠٩٦٥+).

www.injazgroup.com

info@injazgroup.com

دور الأسرة في تطبيق
الشريعة الإسلامية

ينطلق من فكرة أهمية دور الأسرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

إن المرسوم الأميري الكريم بتشكيل اللجنة العليا لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية يؤكد صدق توجه الدولة في هذا الشأن. والأسرة تقع عليها مسؤولية التطبيق العملي لهذا التوجه.

فتطبيق الشريعة الإسلامية إنما يكون من خلال الأسرة قبل أن يكون بموجب قرار سياسي أو مرسوم أميري. فالأسرة هي التكوين الاجتماعي والامتزاج النفسي الأول، وهي المحضن الأول للتربية والتنشئة. وعلى الزوجين مسؤولية تطبيق معايير الإسلام في الاختيار الزواجي، وعليهما أيضا مسؤولية غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الأبناء وتنشئتهم وفق النظام التربوي الإسلامي. وعلى أفراد الأسرة تقع مسؤولية الوفاء المتبادل بالحقوق والواجبات الأسرية كما يقررها الشرع، والالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية في المعاملات بوجه عام.

إنجاز العالمية للنشر والتوزيع
Achievement for Publishing & Distribution
2 001039 920077